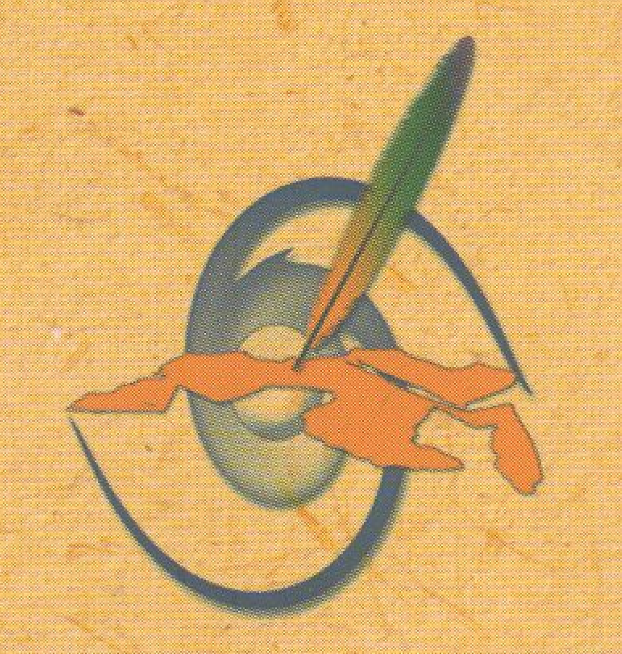



شهرية تصدر عن نادي تراث الإمارات
السنة السابعة - العدد ٨١
جمادى الآخرة/ رجب ١٤٢٦هـ - أغسطس ٢٠٠٥م



## نادي التراث.. الشخصية الثقافية لجائزة العويس

- المحيربي: استفدنا من اللوثة حتى دارت الأيام
- نجم سهيل يبعثر أوراق الشعراء
- آثار اليمن نهب للضياع والمقاومة تغوص في رمال متحركة
- اللقى الأثرية في الإمارات تكشف جانباً من المعتقدات الدينية
- د. الداية يكتب عن: يوم فسحة
- هدية العدد
(ملصق عن المسجد الأقصى)

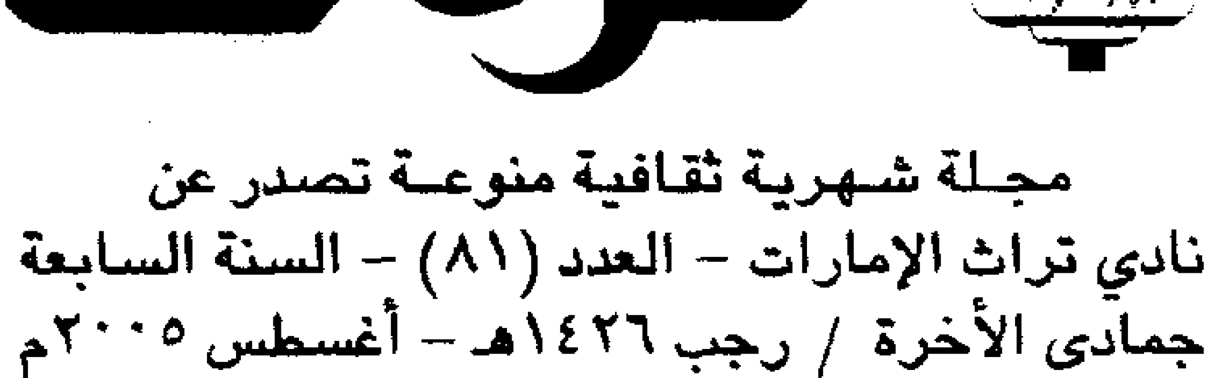
# المسجد الأقصى
## أقدم أسير في العالم يحلم بيوم الحرية

# در حديثاً

## عن لجنة الشعر
## بنادي تراث الإمارات




# تراث




مجلة شهرية ثقافية منوعة تصدر عن
نادي تراث الإمارات - العدد (٨١) - السنة السابعة
جمادى الأخرة / رجب ١٤٢٦هـ - أغسطس ٢٠٠٥م





**المراسلات:**
نادي تراث الإمارات، ص.ب: ٢٧٧٦٥ أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة، هاتف: ٤٤٦٦١١٦
فاكس: ٤٤٣٠٨٨١ (٠٢)
بريد الكتروني
email: turathmag@yahoo.com



**ثمن النسخة**
الإمارات ٥ دراهم، قطر والسعودية ٥ ريالات
البحرين والكويت ٥٠٠ فلس، عُمان: ٥٠٠ بيسة
مصر: ٤ جنيهات، اليمن: ١٥٠ ريالاً
الأردن: دينار ونصف
الدول العربية دولار أمريكي واحد
أوروبا وأمريكا والدول الأجنبية ٢ دولار

**مندوب تراث:**
■ القاهرة: عبد العال الباقوري
محمول: ٠١٠١٦١٠٢٠٩

**الاشتراك السنوي (درهم)**

| | محليا | خليجيا | عربيا |
|---|---|---|---|
| أفراد | ٨٥ | ٢٠٧ | ٢٧٩ |
| مؤسسات | ١٥٠ | ٢٦٧ | ٣٣٩ |

**التجهيز الطباعي**
قسم الإعلام - نادي تراث الإمارات


## أهلاً بكم

***ترحب مجلة «تراث» بمساهمات الكتاب والقراء والتي تتعلق بالتراث والتاريخ باعتبارهما الخط الأساسي للمجلة، موضحة أن المقالات التي يتم نشرها تعبّر عن وجهة نظر أصحابها وليس بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.. ونحن نرحب بالمقالات والمساهمات وفق المعايير التالية:***

■ أن تكون المقالات جديدة.. ومخصصة لمجلة تراث فقط.. ولم يسبق نشرها.. ومرفقة بصور حديثة وملونة للموضوع.

■ أن تكون المساهمات مطبوعة على الحاسب الآلي أو الآلة الطابعة على وجه واحد من الورقة.. مذيلة بالمراجع التي تم استقاء البحث منها، مع تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

■ زاوية «خزانة الكتب» التي يتم فيها استعراض الكتب القديمة أو الحديثة هي من اختصاص هيئة التحرير فقط.. وتعتذر عن عدم قبول أي مساهمات في هذا المجال.

■ التحقيقات والاستطلاعات واللقاءات مع كبار المفكرين والشخصيات هي من اختصاص هيئة التحرير، أو بطلب مباشر منها.

■ المقالات التي يتم الاعتذار عن عدم نشرها ليس بالضرورة لعدم جودتها، وإنما قد تكون المجلة سبق لها أن نشرت موضوعاً أو عدة موضوعات حول الفكرة نفسها ولا ترغب في المزيد أو منعاً للتكرار.

■ المجلة غير مسؤولة عن إعادة المقالات أو المساهمات - التي لم تنشر - إلى أصحابها.

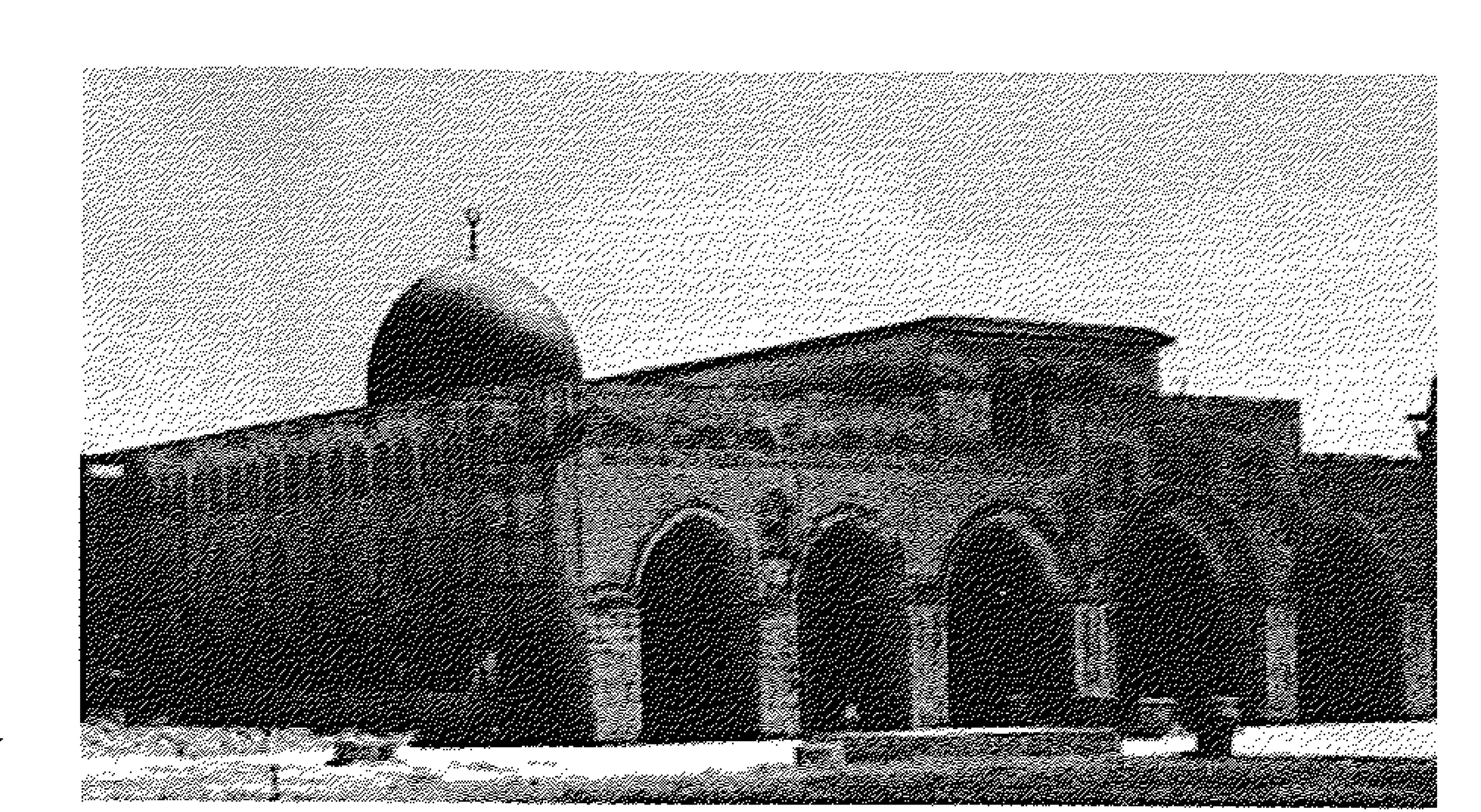
■ قد يتأخر نشر بعض المساهمات نظراً لارتباطها بمناسبة معينة، أو لكثرة المساهمات التي تصل من السادة الكتّاب.

■ المساهمات أو المكاتبات التي تنشر في زاوية «رسائلكم وصلت» لا تخصص لأصحابها مكافآت مالية.

■ عند استلام المساهمة.. يتم إخطار الكاتب بوصولها موضحاً إن كانت تحت الدراسة أو الاعتذار عن عدم النشر، وفي حال النشر يتم إرسال نسخة من العدد المنشورة فيه للكاتب.

■ ترجو المجلة من السادة الكتّاب أن يوضحوا في ورقة منفصلة اسم الكاتب ثلاثياً على الأقل، وأرقام الهواتف أو الفاكسات أو البريد الإلكتروني والعنوان البريدي الذي يمكن الاتصال به عن طريقه، ورقم حسابه في البنك الذي يتعامل معه حتى يمكن إرسال المكافآت المالية بطريقة أسرع وأكثر سهولة. وفق النظام المالي المعمول به في المجلة.

# محتويات العدد

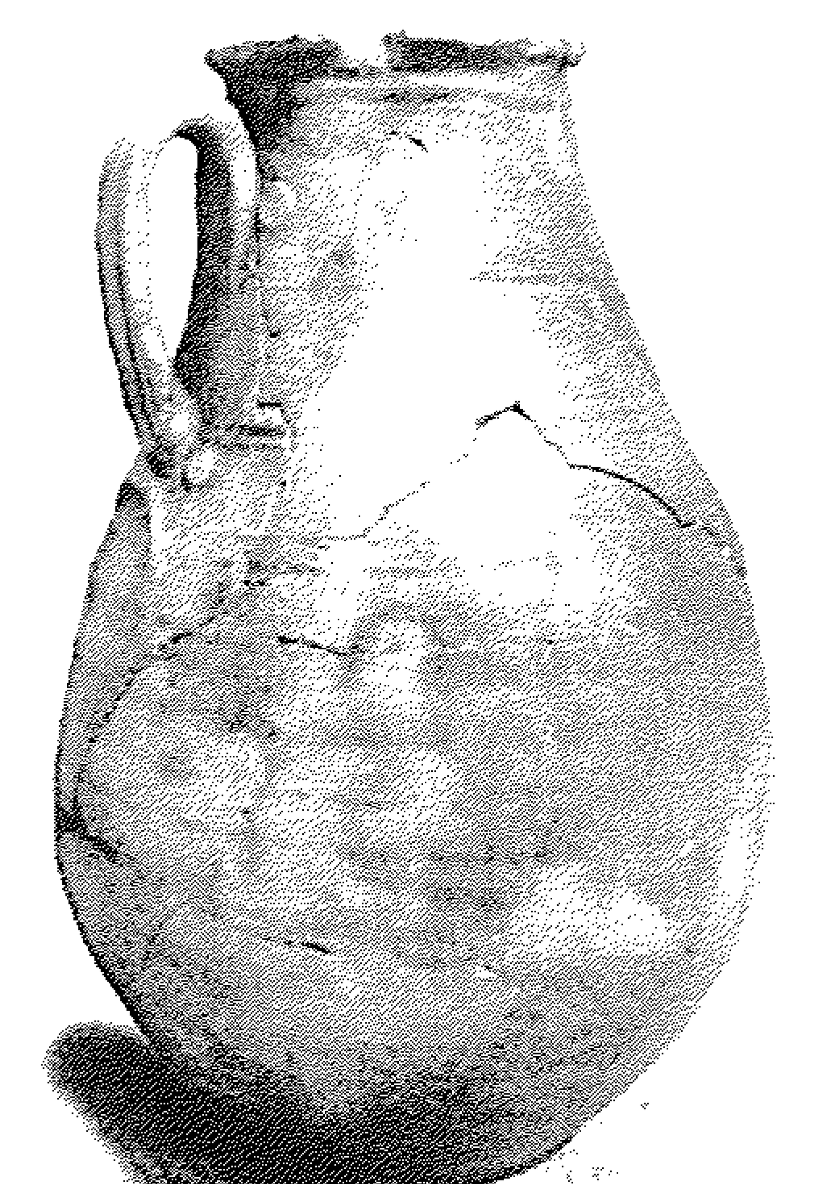


■■ موضوع الغلاف:



## تاريخ وآثار



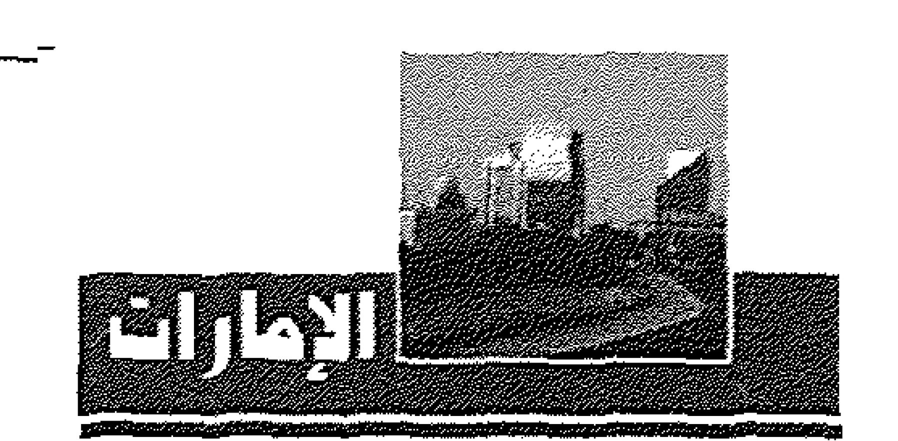


## لغة وآداب





## مقالات



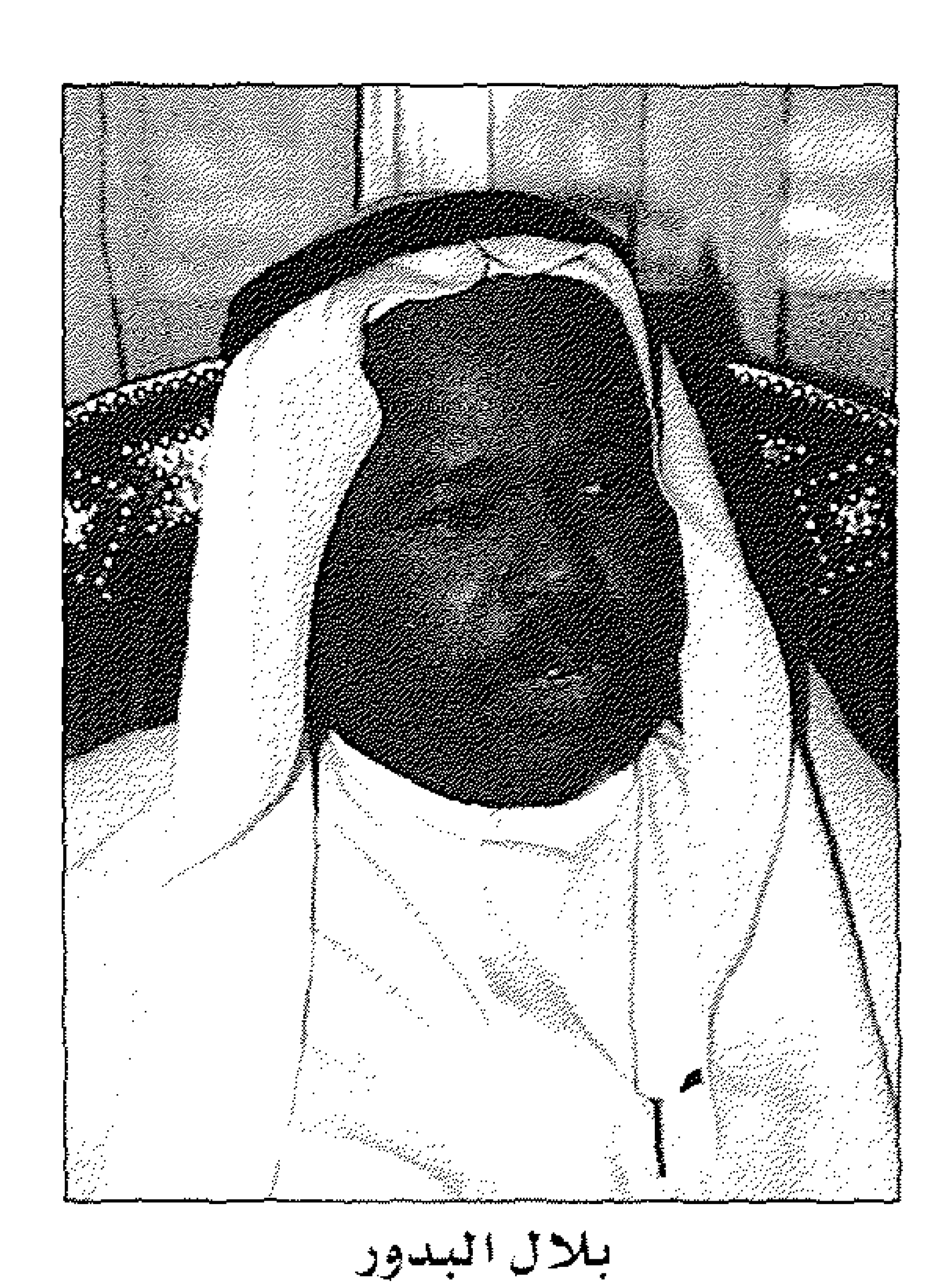

# «يستاهلون»

## ندوة الثقافة والعلوم تختار نادي تراث الإمارات الشخصية الثقافية لعام ٢٠٠٥م

■ محمود بدر:

استقبلت الأوساط الثقافية بالإمارات اختيار ندوة الثقافة والعلوم الشهر الماضي لنادي تراث الإمارات
ليكون الشخصية الثقافية للدورة ١٥ من جائزة العويس للدراسات والابتكار العلمي، استقبلت ذلك الاختيار بالترحيب، وكان رد الفعل لدى تلك الأوساط (يستاهلون).

بلال البدور وكيل وزارة الإعلام والثقافة المساعد، أمين السر العام للندوة أكد على أحقية النادي في الحصول على هذه الجائزة قائلاً: لقد قدم النادي وعبر سنوات من الجهد المتواصل والعمل بصمت خدمات جليلة وكبيرة في مجال الثقافة التراثية، سواء في مجال التوثيق والعناية بنشر التراث الإنساني، أو التنبيه لأهمية تراث الإمارات من خلال (مجلة تراث) أو من خلال الاصدارات القيمة لمركز زايد للتراث والتاريخ ولجنة الشعر، وجهود إداراته المختلفة في ترسيخ التراث في ذهن وقلوب أبناء الإمارات الشباب وغيرهم، إضافة إلى توظيف هذا التراث في البناء الثقافي للإنسان وبطريقة علمية واعية في مواجهة الثقافة الدخيلة والتحديات الخارجية التي تستهدف شبابنا في حضارتهم وتراثهم، أي ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم أيضاً.


بلال البدور

وأضاف البدور: إن الجائزة منحت للنادي من خلال مراقبة ومتابعة مستمرة لجهوده وجهود المسؤولين فيه للارتقاء بمستوى التعامل مع التراث وفهمه وتعليمه للشباب، وبذلك تحوّل الجهد إلى عمل مؤسسي ليكون منبراً ونبراساً للتوعية وبناء الشخصية، إلى جانب الاهتمام بتاريخ وتراث المنطقة من خلال برامج مبتكرة استحوذت على اهتمام كافة الفئات في المجتمع، لذلك كان من الضروري لفت انتباه العالم للدور الكبير الذي يلعبه النادي في الحفاظ على الهوية الوطنية وصيانة التاريخ القومي.. وإذ نهنئ النادي بفوزه بهذه الجائزة، فإننا نهنئ أنفسنا لكوننا انتبهنا إلى مجهود إنساني لم ولن يقبل المساومة في بناء ثقافة الجيل الجديد من خلال

أدبيات وأخلاقيات وإبداع الجيل الماضي قبل اكتشاف النفط.. ونثق أن مسيرة النادي ستظل على وتيرتها المتسارعة.. نحو مزيد من الإبداعات وخلق (حالة) إنسانية تتصل حلقاتها ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، كون النادي أصبح له أثر طيب في نفوس الجميع لعطائه الكبير والمتواصل في مجال خدمة الثقافة والإنسان، وكونه أصبح حلقة متينة من حلقات ثقافة مواجهة الآخر في ظل الهجمة الخارجية على ثقافتنا وهويتنا وشبابنا.

## الرميثي:
## توجيهات سلطان وراء النجاح الكبير

وتعقيباً على فوز النادي بالجائزة قال سعادة محمد سعيد الرميثي رئيس مجلس الإدارة مدير النادي لـ «تراث»: «إنها تمثل حافزاً لنا لتقديم المزيد من الإصدارات التراثية والتاريخية وكل ما يمس تاريخ المنطقة، والمزيد من الجهد في سبيل خدمة الثقافة التراثية وصيانة الفكر الإنساني المتعلق بها وعلى كافة المستويات». وأضاف: «لقد جاءت الجائزة تقديراً صريحاً لجهود النادي ودوره الفاعل في تقديم عمل ثقافي يعي دوره في بناء الإنسان لا سيما الجيل الجديد، وما كان هذا ليتحقق لنا لولا رعاية واهتمام ودعم وتوجيه سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس النادي «حفظه الله» الذي أسهم بصورة كبيرة بعطائه اللامحدود لبرامج النادي وخططه ومشاريعه الثقافية، انطلاقاً من مقولة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان: «من ليس له ماض ليس له حاضر أو مستقبل».

إن ما حققه النادي خلال سنوات من العمل الدؤوب كان بمستوى طموحات كافة العاملين في المؤسسة، سواء في جانب الأنشطة بشكل عام أو في الجانب الثقافي المتمثل في الإصدارات التراثية والبرامج الموضوعة ضمن سياسية واعية لبناء جيل منتمٍ، قادر على مواجهة التحديات، وكانت حافزاً له للالتصاق بتراثه والاقتراب منه أكثر في ظل (ثقافة العولمة) و(ثورة المعلومات) التي تشكك هذا الجيل في تراثه وحضارته وأفكاره وتطلعاته.. فكان لا بد من وضع برامج تعلم شبابنا التراث وتجسد لهم حياة الماضي بمرّها وحلوها أيضاً.. لأن ما ينعم به جيل اليوم من رفاهية ورغد كان ثمرة من ثمرات تعب وشقاء الجيل القديم.. وقد نجحنا في استقطاب الشباب بمشاريع وبرامج وملتقيات تربطهم بماضيهم وتعرفهم بكل تفاصيل ومفردات ذلك الماضي، من خلال رحلات الغوص وصعوبتها ومرارتها، والتعرف على المهن التراثية القديمة عند الآباء والأجداد، وكيف استفادوا من البيئة المحيطة بهم.. وكيف كانوا يغامرون من أجل العيش وتحقيق الذات في ظل أجواء لم تعرف ترف اليوم، فكان منهم الشعراء والغواصون وتجار اللؤلؤ، وتركوا لهذا الجيل تراثاً أصيلاً وعريقاً، وجدنا من مهمتنا المحافظة عليه وحمايته وتعليمه لهم.. ونظن أن بناء شباب له صلة قوية بوطنه وتراثه وتاريخه أمر يستحق الاهتمام.. فكانت الجائزة على صلة بمثل هذا الإنجاز وغيره من الإنجازات التي نسعى إليها مستقبلاً، لا سيما ما نخطط له في مجال حفظ وأرشفة تراثنا الشفهي من خلال جمع المعلومات المتعلقة بذلك من (الشواب) الموجودين حالياً فهم يمتلكون كنوزاً تراثية وثقافية وأدبية لا يمكن تعويضها إذا لم نتدارك ذلك سريعاً.

واختتم الرميثي حديثه بتوجيه الشكر للقائمين على الجائزة وقال إن نظرتهم للنادي كانت في محلها.. لأنه انطلق وما زال من خلال منظومة من الأفكار الهادفة إلى حفظ تراث الأمة.. وصيانة تاريخها من خلال الفروع والمراكز والمتاحف التي قام بإنشائها لخدمة التنمية الثقافية في المجتمع.

## الراشد: الجائزة حافز قوي

في جانب آخر وجّه عادل محمد الراشد -مدير إدارة العلاقات العامة والإعلام ورئيس تحرير مجلة تراث في النادي- الشكر للقائمين على أمر الجائزة على اختيارهم للنادي شخصية العام الثقافية.. وقال: «إن تقديرهم للمؤسسات التي تهتم بالشأن الثقافي والتنمية الثقافية في المجتمع ومن بينها النادي هو أمر لافت للانتباه ومحفز لمزيد من العطاء والعمل من أجل خدمة العمل الثقافي بدرجاته الإنسانية والفكرية».

وفي معرض ردّه على سؤال حول الإصدارات والكتب التي يقوم النادي بإنجازها ضمن خطته السنوية قال الراشد: «لم يكن كمّ الإصدار في حد ذاته هو الهاجس الأهم للنادي، بل كان التركيز على النوعية في الخطاب الفكري والتراثي، إلى جانب اهتمام الكثير من الإصدارات بالنشء الجديد والشباب على الصعيد



الاجتماعي والإنساني، كما اهتمت البرامج الميدانية وتعليم الأنشطة التراثية بنفس هذا الإطار مما كان محفزاً بأن تكون الثقافة التراثية هي الجزء الأهم من حياة الشباب، كما أنه لم يغفل النخبة المثقفة مركزاً في جوانب نشاطاته وبرامجه ومشاريعه على البحوث والدراسات التراثية والتاريخية الخاصة لاستقطاب جهود الخبراء وتقديم التراث بصورة علمية إنسانية، تعنى بشكل رئيس بتراث الدولة وتراث الأمة بالإضافة إلى تنظيم المؤتمرات والندوات المتخصصة، التي استطاع من خلالها أن يجمع عدداً كبيراً من الخبراء والباحثين والمتخصصين لتقديم تجربتهم وخبراتهم لمزيد من حوار التجارب لدراسة تراث وتاريخ المنطقة الأمر الذي وضع لافتة كبيرة أمام جهود النادي وحضوره الدائم على كافة المستويات حتى جاء الاعتراف بهذه الجهود وتثمينها من خلال الجائزة».

وأضاف: «لقد كان للنادي منذ تأسيسه وإشهاره رسمياً في العام ١٩٩٣م رؤية واضحة في الشأن الثقافي والفكري والتراثي، تمثلت في إنشاء مركز زايد للتراث والتاريخ الذي قطع أشواطاً طويلة وناجحة في ميدان التراث والتاريخ، ولا يزال يتميز بعطائه وطموحاته بما يتناسب والرؤية الموضوعة له ضمن أهدافه ورسالة النادي في تهيئة كوادر مؤهلة من الباحثين المواطنين، وجاء إصدار مجلة «تراث» في ديسمبر من العام ١٩٩٨م لتكون رافداً آخر من روافد العطاء الثقافي في الساحة الثقافية العربية، ولتكون أيضاً منبراً يجسد رؤية النادي وتطلعاته في ملء الفراغ الذي تعانيه الساحة في التعامل مع قضية التراث والهوية، وتقديم النهج التراثي بصورة مبسطة لا تعقيد فيها، ومناقشة قضايا ملحة تتعلق بهذا الموضوع لا سيما ما طرحته في عددها الثالث عشر الصادر في شهر ديسمبر من العام ١٩٩٩م، وأثارت المجلة من خلاله (قضية غياب قانون اتحادي يحمي تراث الإمارات من العبث والتهريب ويحفظ للآثاريين حقوقهم) مما سارع بصدور قانون رسمي بهذا الخصوص، كما طرحت الكثير من القضايا والإشكاليات لا سيما السلسلة الهامة التي انفردت بها بملف (اللغة العربية في مهب الريح) والتي وصلت إلى ٥٩ حلقة حتى الآن ولا تزال مستمرة.. وهي تلقي الضوء على أسباب تراجع اللغة من جانب أبنائها وفي إطار تخصصي بمشاركة خبراء في هذا المجال.. واستطاعت المجلة بفضل الله وبدعم من قيادة وإدارة النادي أن تقطع مراحل وأشواطاً كبيرة في هذا المضمار، كما أنها نجحت في استقطاب العديد من الأقلام والكتاب الأكاديميين والباحثين والمختصين على الصعيد المحلي والإقليمي والعربي والدولي.. ومن ثم إلقاء الضوء على المشهد التراثي حول أهم قيم وأخلاقيات المجتمع الإماراتي القديم لا سيما مجالات ومفردات رحلات الغوص المريرة، وإجراء مسابقات للشعر النبطي والفصيح أسهمت في اكتشاف نخبة ممتازة من الشعراء والشاعرات المحليين الذين أصبح لهم صدى في المحافل الشعرية والإعلامية.

وقال الراشد: لقد اتخذت المجلة منذ بدء انطلاقتها الأولى منهجاً خاصاً يقرّبها من الناس وأن تكون على

صلة وثيقة بهم وخاصة القراء العاديين، وكافة شرائح المجتمع وغير بعيدة عن القراء من النخبة والمثقفين وذوي الاختصاص فخرجت بصيغة منفردة بكل ما تحويه (المهنية الصحيحة) من معان. ولكل هذا وذاك كانت المجلة وما أحدثته من حراك في المجال الثقافي والتراثي جزءاً من النجاح الذي حققناه جميعاً دون استثناء لنيل هذه الجائزة، وهي محفز جديد لنا على التواصل مع منهجيات وعوامل الثقافة الجادة من تأصيل في مجال الفكر وتطوير مفاهيم التعامل مع الثقافة الجماهيرية، وبناء سلسلة من الجسور مع الكتاب والمبدعين على كافة مستوياتهم.

## تتويج لجهود النادي

من جهته قال الدكتور حسن محمد النابودة مدير مركز زايد للتراث والتاريخ بمدينة العين لـ «تراث»: إن الجائزة جاءت في وقتها المناسب، وإنها تتويج حقيقي للجهود التي يقوم بها النادي على مستوى المنطقة بأكملها.. وأيضاً هي تتويج لجهود المركز في الحفاظ على التراث وتاريخ المنطقة وتوثيقه ودراسته، من خلال الإصدارات التي قدمها، ومن خلال دعم وجهود قيادة إدارة النادي، مؤكداً على دور المركز المستقبلي في تحقيق أهدافه لحماية تراثنا وتراث المنطقة، وتشجيع البحوث العلمية التراثية والتاريخية ودراستها وتحقيقها وتوثيقها، وتأهيل جيل من الباحثين المواطنين في هذا المجال.. وكان النجاح في تحقيق ذلك هو الذي أهّل النادي للحصول على الجائزة التي نعتزّ بها.

## إصدارات المركز محل اهتمام الجميع

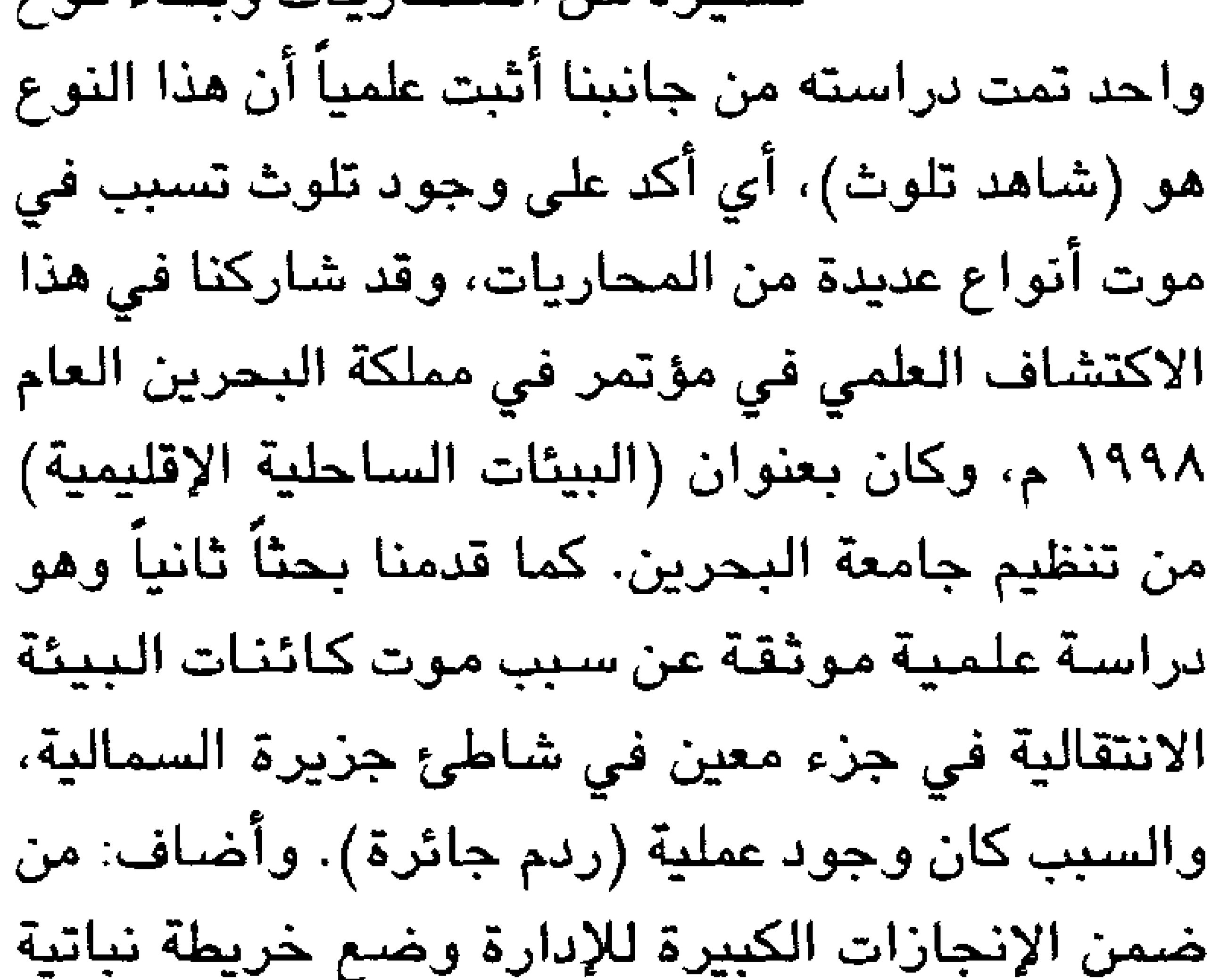
وأضاف النابودة: لقد كانت إصدارات المركز محط اهتمام الجميع، وكانت ملفتة لانتباه جمهور معارض الكتب التي شاركنا بها داخل وخارج الدولة، لا سيما الكتب التي جاءت تحت مظلة مشروع (إحياء أمهات الكتب)، كذلك نجاحنا في إنجاز المراحل الأساسية لمشروع لهجة الإمارات العربية المتحدة ليصدر في أكثر من مجلد، فقد كانت الحاجة ماسّة إلى إعداد معجم كامل يضم في جنباته فيضاً غزيراً وثميناً من المفردات والتعابير اللغوية للهجة الإمارات.. إلى غير ذلك من كتب ونشرات ودراسات وبحوث أعدها خبراء وباحثون متخصصون في المركز، إلى جانب باحثين متدربين، حيث نعمل على تأهيل كوادر جديدة في مجالات التراث والتاريخ كافة.

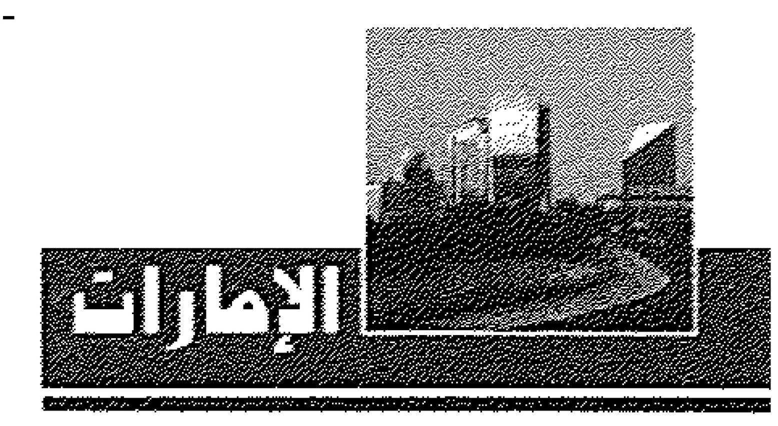
## درويش: إنجازات علمية بيئية قادمة

عبد المنعم درويش مدير إدارة البحوث البيئية في النادي يرى أن الجائزة تتويج كبير لجهود النادي الثقافية وإسهاماته في مجالات عدة، من بينها الاهتمام بتحقيق درجة كبيرة من الوعي البيئي لدى الناس والطلبة على وجه الخصوص. وأكد على أن فوز النادي بالجائزة كان نتيجة جهود صادقة عرفت كيف تتعامل مع مفردات الفكر والثقافة البيئية التي توّجت مؤخراً بإنجاز علمي مهم تمثل في إصدار (الأطلس البحري). وحول إسهامات النادي البيئية وارتباطها بالجائزة قال درويش لـ «تراث»: لقد نظمنا سلسلة ناجحة من المؤتمرات البيئية العلمية الدولية، ونشرت أبحاثها في كبريات المجلات البيئية الدولية.. وهو الأمر الذي أسهم في لفت الانتباه إلى جهودنا في هذا المجال.. على النحو الذي نشرناه في بحث حول اكتشاف نوع مهم من أنواع (المحاريات)، وقد اعتبر هذا البحث اكتشافاً لأن اختفاء أنواع كثيرة من المحاريات وبقاء نوع واحد تمت دراسته من جانبنا أثبت علمياً أن هذا النوع هو (شاهد تلوث)، أي أكد على وجود تلوث تسبب في موت أنواع عديدة من المحاريات، وقد شاركنا في هذا الاكتشاف العلمي في مؤتمر في مملكة البحرين العام ١٩٩٨ م، وكان بعنوان (البيئات الساحلية الإقليمية) من تنظيم جامعة البحرين. كما قدمنا بحثاً ثانياً وهو دراسة علمية موثقة عن سبب موت كائنات البيئة الانتقالية في جزء معين في شاطئ جزيرة السمالية، والسبب كان وجود عملية (ردم جائرة). وأضاف: من ضمن الإنجازات الكبيرة للإدارة وضع خريطة نباتية



عبد المنعم درويش






تاريخية لجزيرة السمالية وذلك عن طريق فحص البصمة الوراثية لحبوب اللقاح، إلى جانب العديد من الإنجازات، من بينها إقامة عدة ورش تدريبية في مجال البيئة لطلبة الجامعات، مما أسهم في تأهيل كوادر مواطنة في مجال البحوث والدراسات البيئية، ومنهم من أسهم في إنجاز الأطلس البحري وهو إنجاز علمي بيئي في المنطقة.

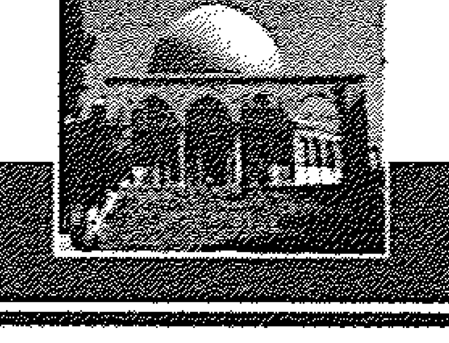


العصري المهيري

### إبداعات الشعراء

لجنة الشعر الشعبي في النادي والتي تأسست بقرار من سمو رئيس النادي لكي تقوم بجمع وتدوين وتحقيق وطبع ونشر الشعر الشعبي في أبو ظبي وبقية الإمارات تكريماً لهذا النوع من الأدب الذي يحمل في ثناياه عبق التراث والأصالة، وحفظه من الاندثار، كان لها حضور مهم في إنجازات النادي في المجال الثقافي. وقد أعرب (العصري بن كراز المهيري) رئيس اللجنة لـ «تراث» عن سعادته البالغة بنيل النادي للجائزة، وقال حول دور اللجنة في هذا الإطار: لقد عملنا على جمع الدواوين القديمة والأشعار المخطوطة.

وقامت اللجنة في الفترة ما بين ٢٠٠١ و٢٠٠٤م بإصدار مجموعة من الدواوين من أهمها: ديوان قصائد مهداة إلى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «رحمه الله» لمجموعة من شعراء النبط. وديوان فيض الوجدان في الشيخ زايد لمجموعة من شعراء الفصحى المعاصرين من شعراء محليين وعرب، وأيضاً ديوان الأخوين للشاعر عمير بن حيي الهاملي والشاعر محمد بن حيي الهاملي، وصدر العام ٢٠٠٣ وغيرها من الدواوين الشعرية الهامة إلى جانب ما نسعى إلى تحقيقه وطباعته من دواوين ستصدر قريباً ومنها: ديوان منثور الجمان في أشعار آل نهيان، وديوان المختارات في مديح حكام الإمارات. كما نسعى إلى تحقيق أهداف اللجنة والسعي للارتقاء بمستوى الشعر بأنواعه والمحافظة على مفردات الأدب الشعبي والتواصل مع كافة الأجيال من شعراء المنطقة لمزيد من الإنتاج الأدبي التراثي الذي يمثل صورة من صور الحياة ولوناً من ألوان التعبير الشعبي في دولة الإمارات.■




# الجدار العنصري.. «يقضم» القدس

أقرت حكومة الاحتلال الصهيوني مطلع الشهر الماضي قراراً بمحاصرة القدس المحتلة بـ (جدار الفصل) العنصري وعزل أكثر من مائة ألف مقدسي، تمهيداً لسحب الهوية منهم، في إطار مخطط تهويد المدينة المقدسة المحتلة، مما سيؤدي أيضاً إلى إبعاد ٣٦٥٥ طالباً عن مدارسهم التي ستصبح وراء الجدار العنصري حسبما أكد المسؤولون الصهاينة أنفسهم. وذكرت مصادر سلطات الاحتلال أن حكومتهم قررت إبقاء ضاحيتي شعفاط وكفر عقب في شمال القدس خارج الجدار العنصري، الذي تطلق عليه (غلاف القدس) ويضم الغالبية العظمى من القدس الشرقية المحتلة إلى الصهاينة.

وفي حين اعترفت سلطات الاحتلال بأن مسار الجدار العنصري سيؤدي إلى عزل ٥٥ ألف فلسطيني، إلا أن المعطيات الفلسطينية تؤكد أنه سيؤدي إلى عزل أكثر من مائة ألف فلسطيني، سيعيشون في منطقة منعزلة، لا هم تابعون للكيان العنصري ولا للسلطة الفلسطينية.

وقال مدير دائرة الخرائط في جمعية الدراسات العربية خليل توفكجي: إن هذا القرار سيكون تمهيداً للخطوة الأكثر خطورة، والتي سيتم بموجبها سحب الهويات من المقدسيين، وبالتالي تضمن للمحتلين خريطة ديمغرافية بأكثرية يهودية. وذكر توفكجي أن القرار العنصري يحقق مخطط إفراغ القدس المحتلة من سكانها الفلسطينيين بحلول عام ٢٠٢٠م لإقامة (القدس الكبرى) بضم معاليه ادوميم والكتل الاستيطانية إلى المدينة المحتلة.

وكالعادة.. سارعت حكومة الكيان للاستفادة من الموقف والطلب من الولايات المتحدة ٢,٢ مليار دولار في شكل مساعدات خاصة لتمويل انسحابها المزمع من قطاع غزة، وأن هذه الأموال ستستخدم في تمويل الانسحاب المقرر أن يبدأ في شهر أغسطس الحالي.
(طالع ص ٢٦).■

# أول القرطاس

جاءت هكذا بلا ترتيب.. وما أجمل أن تأتي عفوية قدرية.. وما أجمل أن يتزامن إعلان فوز نادي تراث الإمارات بجائزة (شخصية العام الثقافية) التي تُمنح سنوياً ضمن جائزة العويس للدراسات والتفوق العلمي، مع انطلاق (عقد التنمية الثقافية) في الوطن العربي ليمتزج الاثنان معاً في قالب حلو المذاق.. لمن منح الجائزة.. ولمن استحقها.

«جائزة العويس» التي تنظمها وتشرف عليها ندوة الثقافة والعلوم بدولة الإمارات، تكتسب تميزاً من بين مثيلاتها، كونها تتم باختيار مباشر من قبل (الجائزة) للفائز بها.. دون أن يكون لهذا الأخير دور في هذا الاختيار. وسبيل ذلك متابعة أعمال وإنجازات ودور الأشخاص والمؤسسات العاملة في حقل الثقافة وبحوثها ووسائل تنميتها في محيطها الاجتماعي، متجاوزة في ذلك الأسلوب التقليدي الدارج لدى معظم (الجوائز) التي تعتمد على المرشح ليقدم نفسه، وينتقي من أعماله خيارها بحثاً عن فرصة الفوز.

لذلك جاء اختيار نادي تراث الإمارات ليكون أهلاً لهذه الجائزة بناءً على متابعة وتقييم لكل الجهود التي بذلها النادي بـ (مؤسساته) المتعددة لخدمة التراث والثقافة. فكان ذلك دون علم أو تدخل أو حتى نيّة مسبقة من القائمين على النادي في هذا الاتجاه، لأنهم يعتقدون بأن اتساع دور النادي في ثنايا وطنهم، ووصوله إلى فتيانه وفتياته، كما (لشيبانه)، هي أكبر جائزة يحصدونها نتاج العمل المخطط والمتواصل.. القائم على رؤية واضحة، ورسالة محددة، وأهداف تتخطى حدود (النخب)، وتداعب طموحات الوطن وقيادته، وتحاكي النهضة الشاملة التي يشهدها هذا الوطن، فتبدأ من القواعد.. لتداعب تلك الأنامل الناعمة، وتفتح تلك الخزائن المعمرة، لتصل الزمن بالزمن، وتجبر الكسر الذي تسببه التحولات الثقافية والبيئية في نفوس الأجيال.

وهذا لعمري هو أصل التنمية الثقافية ولبّها. ومنه نوجّه الدعوة لكل النخب الثقافية ومؤسساتها العاملة بالدولة.. وفي كل أرجاء البيت العربي الكبير لتكف عن مخاطبة بعضها بعضاً، وتتجاوز أسوار قصورها التي غاصت في غبار وأتربة الزمان وفصوله المتعاقبة، وأن تخرج من عزلتها، وتغيّر مفاهيمها، وتتنازل عن شيء من استعلائها، لتتصل بمجتمعاتها وناسها.. الذين لا شك سيصلونها.. ليكون التواصل متبادلاً، وذلك هو النجاح.■

عادل محمد الراشد

# آثار اليمن.. نهب للضياع

## والمقاومة تغوص في رمال المعركة

■ صنعاء - محمد السيد

■ تصوير: ناجي السماوي

**تقوم حضارات وتندثر حضارات وتبقى آثارها ومعالمها، فيما تمر السنون وتدور عجلة الزمن، فتتحول هذه الآثار إلى كنوز، وفي اللحظة التي تصير الكنوز كنوزاً، يولد اللصوص وتحاك المؤامرات ويسيل لعاب الطامعين ممن أدمنوا المتاجرة بتراث وآثار الشعوب.**

**قديماً جاءوا إلى وطننا العربي كمستعمرين ومبشرين بالنهوض والتطور، فأعملوا في تراثنا نهباً وسرقة، واليوم يجندون شبابنا وأبناءنا في ترحيل آثارنا وطمس هويتنا تحت إغراء الورق الأخضر! فعندما يهين التراث تضيع الأرض ويرخص الإنسان.**

**اليمن تمثل جزءاً من هذا الوطن العربي الكبير.. دفعت ولاتزال فاتورة مؤلمة وقاسية جراء استمرار مسلسل استنزاف آثارها إلى الخارج بدون جواز سفر، في عمليات وصف بعضها بأنها من العيار الثقيل أبطالها عرب وأجانب. مئات المواقع الأثرية تحت رحمة لصوص الآثار الذين يعملون في الظلمة، حفراً ونبشاً، فيلتقطون كل ما خف وزنه وغلا ثمنه لتبدأ رحله جديدة من التغريب الطويل. تفتح الأبواب الخلفية لتهريب الآثار اليمنية.**

## أول اللصوص!

اهتمت المؤسسات العلمية والمتاحف العالمية باقتناء الآثار والنقوش اليمنية منذ بدء الرحلات الاستكشافية في القرن الثامن عشر، ثم بتنظيم رحلات البعثات العلمية والآثارية إلى اليمن لجلب الآثار، وازدادت عملية جمع واقتناء الآثار في العصر الحديث، وذلك خلال الوجود التركي والاستعمار البريطاني والحكم الإمامي، حيث شجعت عملية بيع وتهريب الآثار للخارج.

ووجدت في اليمن شبكات تجميع الآثار ونقلها إلى عدن، حيث يوجد تجار وسماسرة التراث، تمهيداً لنقلها عبر السفن إلى بلدانهم وبيعها هناك.

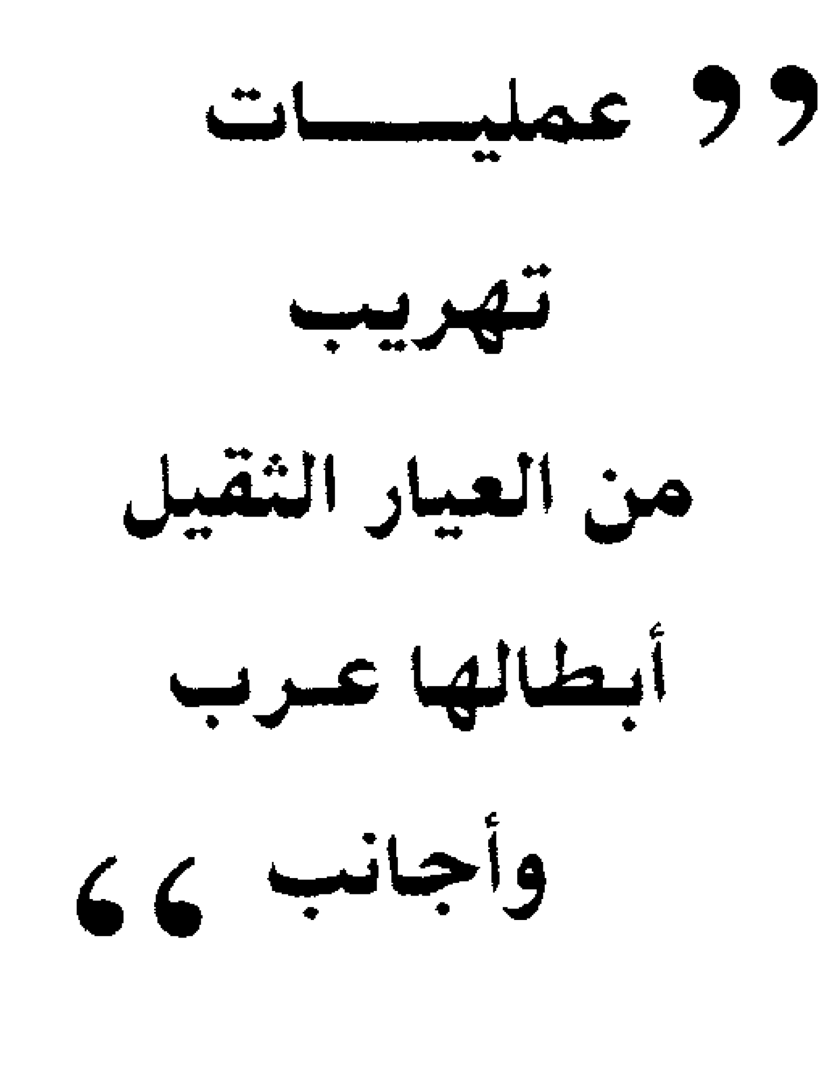
ولهذا نجد الآن كميات كبيرة من النقوش والقطع الأثرية في حوزة المتاحف العالمية ولدى أرباب المجموعات الأثرية الخاصة.

يقول الدكتور محمد عيسى صالحية -باحث في مجال الآثار-: لقد تأكدت مأساة تغريب التراث عندي من خلال عدد الوثائق التي عثرت عليها في الملف رقم (79 o.ldbg.) المحفوظة في مكتبة جامعة أبسالا- بالسويد (٩١) وثيقة. وهي معظم الرسائل المتبادلة بين الكونت دي لندبرج الذي زار اليمن عدة مرات ما بين عام ١٨٨٢- ١٨٩٤م وكان يلجأ إلى تغيير اسمه فبلغ في إحدى زياراته محافظة مارب تحت اسم (الشيخ حسين).

ويضيف الدكتور صالحية: لقد شعرت بالدوار وكادت الأرض تميد بي وأنا أستغرق في قراءة الرسائل المتبادلة بين الكونت وبين مجموعة من أولي الشأن وأصدقائه في تلك المناطق اليمنية، حيث يحوي الملف القصة الكاملة لتغريب ونفي التراث اليمني، فالمؤلف يبيّن الطريقة والوسائل والكيفية التي أخرجت بها الأحجار الحميرية والنقود والمسكوكات والأعمدة والمخطوطات والتحف والألواح والنُّصب والأختام وغيرها، كما توضح الوثائق التنافس بين الإنجليز والألمان والإيطاليين والفرنسيين والسويديين للحصول على الذخائر التراثية اليمانية.

وقد استطاع الكونت لندبرج بفعل دهائه ومعاونيه من اليمنيين النجاح في إخراج مئات الأحمال من الآثار والنقوش باستخدام الجمال لنقلهاإلى السفن ومن ثم إلى خارج البلاد.

كما أن من بين الذين ترددوا على اليمن في تلك الفترة اليهودي (هالفي) الأستاذ بمدرسة الدراسات العليا في جامعة السوربون، حيث كلفته أكاديمية النقوش والآداب الجميلة في باريس بوضع معجم للنقوش السامية، فسافر إلى اليمن ١٨٧١م وبمعاونة بعض من الجالية اليهودية تمكن من النفاذ إلى داخل البلاد بملابس متسولي يهود القدس، وخلال جولاته تمكن من نقل ٦٨٦ نقشاً من الكتابات الحميرية الحجرية، وجلب معه الكثير من الآثار والنقوش والتماثيل، لكن تعد رحلات ادوارد جلازر من أخطر الرحلات التي جابت اليمن، وهو يهودي نمساوي درس اللغة العربية عند إقامته في شمال أفريقيا والقاهرة وتونس وتزود بالعادات والتقاليد العربية، وقد قام خلال (١٨٨٢ - ١٨٩٢م) بأربع رحلات إلى اليمن، كان يشتري خلالها كل ما يقع عليه نظره، كما علّم البدو طريقة طبع الأحجار على أوراق خاصة وحصل على مئات النقوش، وقد ادّعى الإسلام ولبس ملابس علماء المسلمين، وتسمّى باسم (الحاج حسن) وكانت حصيلة جلازر من رحلاتة الأربع ٣٧ نقشاً أصيلاً من شمال اليمن و١٥٠ نقشاً من جنوبه و٢٨٤ نقشاً سبئياً






كانت معدة للتهريب لكن لم يحصل نصيب

**دراسات حصلت على أسماء بعض المتاحف والتي يصل عددها إلى أكثر من ٤٠ متحفاً عالمياً تضم قطعاً آثارية يمنية، أهمها متحف (إسطنبول) بتركيا، ومتحف (هامبورج) بألمانيا، ومتحف (بومبي) بالهند، ومتحف (ا للوفر) بفرنسا، و(المتحف الوطني) بروما، ومتحف (فينا) بالنمسا، والمتحف (الأشمولي اكسفورد)، والمتحف البريطاني بلندن، ومتحف (برلين) بألمانيا، ومتحف (برمنجهام) ببريطانيا، ومتحف (جامعة كامبردج)، ومتحف (فيتزوليم كامبردج)، وكذا متحف (الايرمتياج لينجراد) بروسيا، ومتحف (مانشستر) ببريطانيا، ومتحف (بنسلفانيا) بالولايات المتحدة الأمريكية، ومجموعة (دمبرتون أواكس) في واشنطن، ومتحف جامعة الملك سعود بالرياض، وغيرها من المتاحف العالمية الأخرى.**

**أما المجموعات الخاصة بالخارج التي يوجد لديها آثار يمنية فتتمثل أهمها بمجموعة (إيفرسون - ليتمن) بأسمرا، ومجموعة (ابيبسكوبي) بقبرص، ومجموعة (برناردكاسل درهام) ببريطانيا، وأيضاً مجموعة (كاليبجيان) بباريس وغيرها.**

وحميرياً أصيلاً، و٤٥٠ نسخة لكتابات عربية جنوبية، و٢٥٠ مخطوطة باعها للمتحف البريطاني، و٢٤٦ مخطوطاً اشترتها منه المكتبة الملكية ببرلين.

وأخيراً فإن مغامرات عبدالله فيلبي في جدة وعسير ونجران وشبوة اليمنية وحضرموت وتريم والشحر لا تزال موضع اهتمام الباحثين عن تغريب التراث العربي واليمني، فقد حمل معه ١٢ ألف نموذجاً كتابياً أثرياً، و٩ آلاف نموذج ثمودي، و٣ آلاف نقش من سبأ، بالإضافة إلى نقش أبرهة الحبشي وآخر لذي نواس.

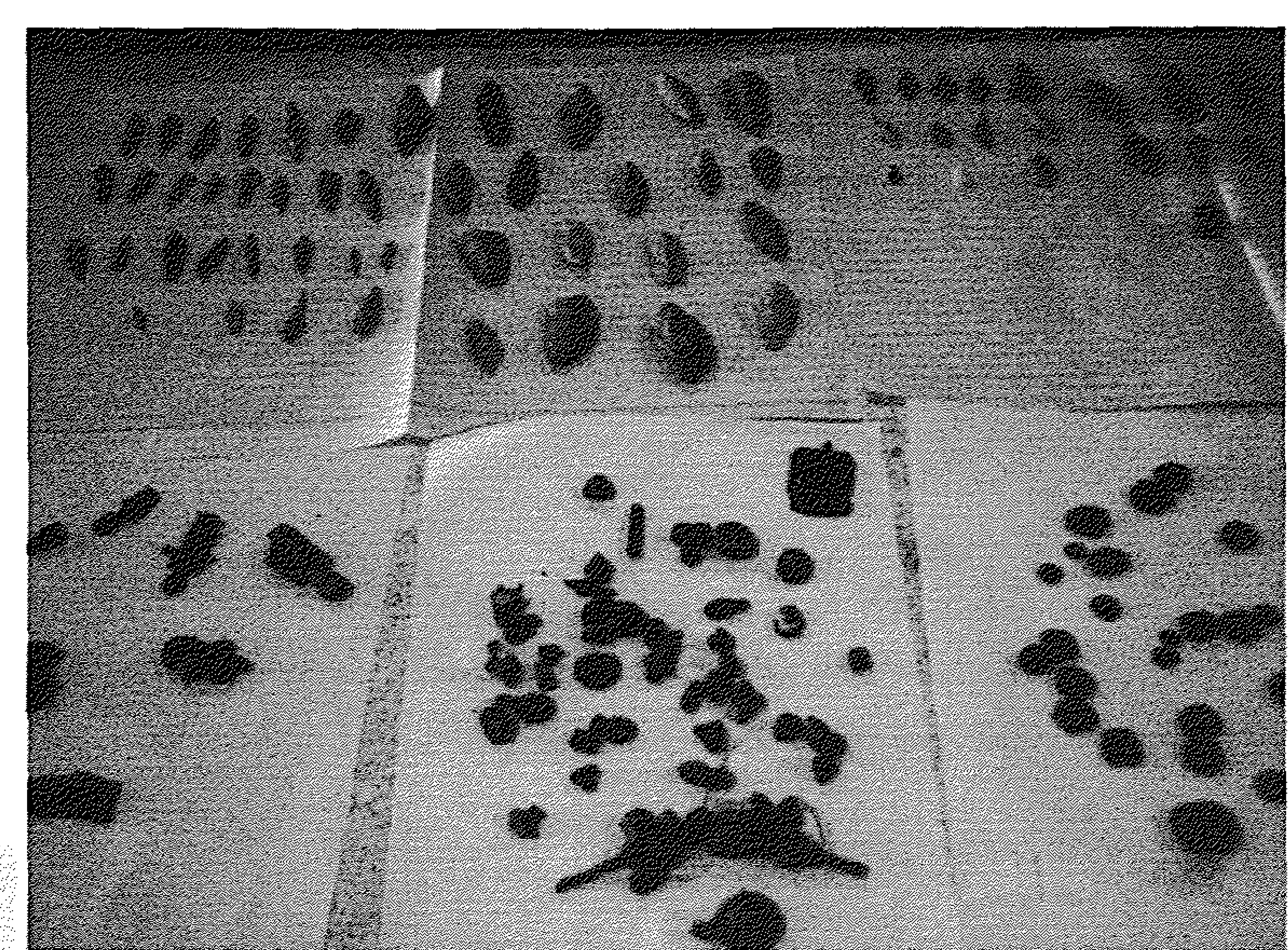
## بلاحدود!

الدكتور يوسف محمد عبد الله أستاذ الآثار والنقوش بجامعة صنعاء (رئيس هيئة الآثار سابقاً) يؤكد بأن اليمن يمتلك ثروة أثرية ضخمة وكنوزاً تراثية لا تقدّر بثمن، ولا يستطيع المرء أن يحددها برقم معين نظراً لأن جزءاً كبيراً منها لا يزال تحت الرمال وأخرى تم تهريبها، فيما الجزء الآخر في المتاحف المحلية، إلاّ أنه يُصنف مراكز ثقل الحضارة اليمنية القديمة ومواطنها إلى ثلاثة مستويات، الأول الجبلي، حيث استوطن الإنسان اليمني مناطق ترتفع (١٥٠٠ - ٣٧٠٠) متر عن سطح البحر، شيَّد فيها الإنسان حضارة عريقة، مشيراً إلى أن المستوى الصحراوي يعد أكبر مواطن الحضارة اليمنية القديمة وأكثرها عمراً وثراءً بالآثار، وتتمثل في مناطق ترتفع عن سطح البحر ١٠٠٠ متر، حيث استوطن الإنسان اليمني القديم وشيد حضارات معين وقتبان وسبأ وحمير، استمرت ١٥٠٠ عام دونما انقطاع، وما تزال بعض معالمها على السطح، في حين بقي معظمها في باطن الأرض حتى اليوم، لأنها شيدت في مناطق محصنة تحصيناً طبيعياً من الغزووالدمار. أما المستوى الثالث لموطن الحضارة اليمنية القديمة فهو حسب الدكتور يوسف (الساحلي)، حيث استوطن الإنسان اليمني بأعداد محدودة ولفترات متقطعة مناطق مطلة على ساحلي البحرين الأحمر والعربي، وشيّد حضارة فيها.

ومضى الدكتور يوسف يقول: إن الاكتشافات الأثرية الجديدة في اليمن عديدة وأكثر من أن تحصى، خاصة في السنوات العشر الأخيرة، مؤكداً بأنه يتم يومياً اكتشاف آثار جديدة وهامة لكتابة تاريخ اليمن القديم وتحقيق ما قد كتب منه، موضحاً أن بعثة يمنية أمريكية عثرت عام ١٩٩٠م في ٢٨ موقعاً من أصل ٣٠ موقعاً أثرياً مكتشفاً على ٢٣٨١ قطعة أثرية عبارة عن أدوات صوانية وحصوية لبلطات ومفارم جانبية وعلوية ومكاشط، وأضاف: أن الإنسان الأول (الهومو بريستس) عُرف باستخدامه لها في العصر الحجري، حيث أثبتت أن الإنسان الأول استوطن جنوب الجزيرة العربية وتحديداً الجزء الجنوبي الغربي منها.

إلاّ أنه يشير إلى أن تردد اليمن وإبطاءها في مجال البحث والتنقيب والتدوين والصيانة الأثرية لعقود طويلة يعد واحداً من أهم أسباب دمار الآثار وضياعها.

واعتبر أن ما شهده العقد الأخير من تكثيف عمليات



قطع أثرية حاولوا تهريبها داخل النرجيلة.. ففشلوا

د. يوسف محمد عبد الله



التنقيب والبحث والمسح عن الآثار وتدوينها في السجل الوطني يعد خطوات هامة للحفاظ على هذا التراث.

وحول ظاهرة تهريب الآثار يشير الدكتور يوسف إلى أن تنامي الظاهرة يعكس القصور في تطبيق القانون من جهة، وضعف الوعي لدى المواطنين من جهة أخرى.

وأضاف: يعد النبش العشوائي في المواقع الأثرية عاملاً أساسياً في تهيئة ظروف التهريب، حيث شهدت المواقع الأثرية حملة لا هوادة فيها من النبش العشوائي تقوم بها جماعات ضالة وطامعة ممن يحبون أنفسهم ويقل حبهم للوطن، ومعظم القطع الأثرية التي يتم تهريبها هي في الواقع من نتائج ذلك النبش وخير مثال على ذلك النبش، الجاري في محافظة الجوف وخاصة في كل من مدن (السوداء والبيضاء ومعين).. إذ لم يترك العابثون بقعة في هذه المدن التاريخية إلاَّ وأسرفوا فيها نبشاً وهدماً، وكل ذلك في سبيل الحصول على حفنة من الآثار وبيعها لتجار الآثار ولعشاق الكنوز الحالمين، نفس الوضع يتكرر في منطقة (حنو الزرير) بمحافظة شبوة والأمثلة كثيرة لا حصر لها.

## ولايزال التهريب مستمراً!

واليوم لاتزال الآثار اليمنية تتعرض إلى عمليات تهريب من العيار الثقيل أبطالها عرب وأجانب، أضخمها محاولة تهريب شخص عربي يعمل في إحدى شركات الشحن اليمنية. لنحو ٧٨٨ قطعة أثرية إلى خارج البلاد وقد ضبطتها السلطات اليمنية في منزله مطلع فبراير الماضي إلى جانب جهازي رقابة كانا موجهين من نافذة منزله باتجاه منزل رئيس جهاز الأمن السياسي وسط صنعاء، وكذا مجموعة من أجهزة الاتصالات وجهاز حاسوب، حيث وصف أحد المسؤولين اليمنيين هذه الكمية من القطع الأثرية بأنها تكفي لإقامة متحف إقليمي في أي مدينة من المدن اليمنية، تعود إلى عصور تاريخية مختلفة (حميرية، سبئية، إسلامية، حديثة) وتشمل نقوشاً جميلة وأواني نحاسية مزخرفة بشكل بديع وأكثر من ٢٠٠ تمثال آدمي وحيواني من النحاس والبرونز وعملات نقدية وذهبية.

**"سويسري يطالب متحف (اللوفر) بمليون يورو قيمة عرش أثري اشتراه من البدو"**

وفي تطور ديناميكي متسارع للأحداث استطاع باحث آثار بلجيكي (من أصل سوري) يعمل باليمن بعد نحو

٢٠ يوماً من وقوع هذه الحادثة أن يفجر قنبلة إعلامية كشفت المستور وفضحت أخطر شبكة عربية وأجنبية متخصصة في تهريب الآثار اليمنية إلى الخارج.

فقد أكد الباحث البلجيكي (منير عربش) الذي يعمل بالمعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء في حوار له بثه موقع الحزب الحاكم في الـ٣ من مارس الماضي، أن الآثار اليمنية تتعرض لعمليات تهريب وبيع منظمة إلى تجار وسماسرة أجانب. وأشار في الحوار -تحتفظ تراث بنسخة منه- إلى أن الكثير من الآثار قد بيعت لسماسرة وتجار من قبل مواطنين يمنيين، وأوضح عربش أن عرشاً أثرياً بيع هو الآخر لتاجر سويسري بمبلغ زهيد وهو عرش حجري يؤرخ القرن الثالث قبل الميلاد وموجود الآن في سويسرا، حيث يطلب التاجر من متحف (اللوفر) مليون يورو قيمة هذا العرش.

وأضاف: منذ شهر باعوا عرشين لشخص من الإمارات من ذات الموقع الأثري نفسة (السوداء) بمحافظة الجوف اليمنية (١٧٠) كم من صنعاء، بمبلغ ٦٦ ألف دولار، إلاَّ أنهما لايزالان في الجوف وينتظران النقل، وقد أبلغتُ الحكومة اليمنية بذلك، ونوه إلى أن تجار هذه الآثار يقومون بتفجير هذه الاعمدة التي يتكون منها العرش والتي تبلغ أطوالها نحو ٦ أمتار ثم تهريبها للخارج عبر الشحن.

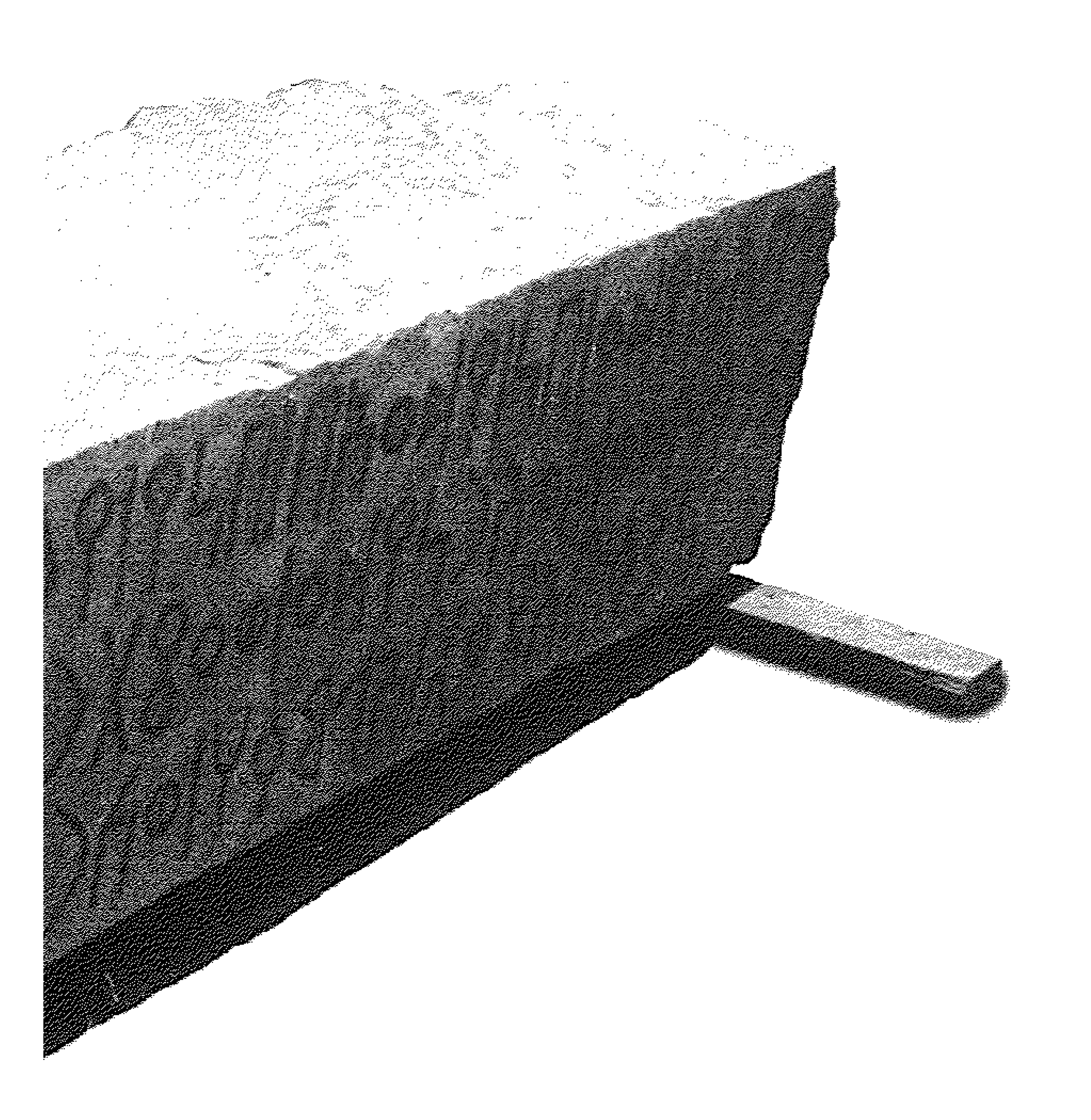
وكشف الباحث عريش أيضاً عن وجود شبكة تهريب تضم في عضويتها أشخاصاً من جنسيات عربية بعضها معروف لدى سلطات الأمن اليمنية، حيث أخبره الأهالي في منطقة الجوف أن هناك مواقع أثرية تنبش في الليل، وفي الصباح يتم تسعير ما تم العثور عليه بالدولار، ليأتي هؤلاء الأشخاص ويشترون!

أوضح أن صالات عرض في باريس تحتوي على الكثير من الآثار اليمنية، لكنه قال: إن اليمن لن تتمكن من إرجاع بعض القطع الأثرية التي بيعت، لأنها - حسب قوله- أخرجت من اليمن بشكل رسمي! وقال إنه دفع ١٦٥٠٠ دولار للأهالي أثناء تواجده بالمنطقة بمهمة أثرية مع عدد من زملائه، وذلك مقابل ٥٠٠ قطعة أثرية، من نفقة البعثة الفرنسية ونفقته الشخصية ونفقة زميله الفرنسي (ريمي أ دوان)، وقال: لم يكن لدينا حل آخر، إما أن نشتريها أو تُباع للخارج وهذا شيء مؤسف!

وفي أول تعليق على ما نشره الموقع من تصريحات منير عربش نفى مدير عام حماية الآثار أن يكون هذا الباحث البلجيكي قد اشترى القطع الأثرية من نفقته الشخصية، بل من نفقة الصندوق الاجتماعي للتنمية، واصفاً كلام عربش بالمغالطات، مؤكداً عدم منح أي تصاريح بخروج آثار من اليمن.

إلاَّ أن عربش استطاع أن يرمي الكرة في ملعب السلطات الأمنية اليمنية التي تحركت لفتح تحقيقات عاجلة حول ظاهرة تهريب الآثار بعد أربعة أيام من نشر الحوار عبر موقع (المؤتمر نت) الذي يديره الحزب الحاكم، لكن كان عربش نفسه أول من يقع في قبضة الأمن اليمني الذي شك بأن يكون الباحث البليجيكي أحد تجار الآثار أيضاً، كونه كشف عن عدد من الأسماء والجهات المهربة للآثار، بالإضافة إلى قيامه بشراء ما يقارب ٥٠٠ قطعة أثرية من محافظة الجوف، إدعى أنه سلمها للمتحف، لكن عملية الشراء تمت دون إذن من الهيئة العامة للآثار.

وبدورنا ذهبنا إلى الجهة التي استجوبت عربش للبحث عن تفاصيل، وهناك قيل لنا إن أول تساؤل وجه للباحث البلجيكي من قبل الأجهزة الأمنية اليمنية كان حول شخص (أردني الجنسية) وهوالذي ذكر عربش في حواره بأن الداخلية اليمنية تعرفه، حيث قبض عليه عدة مرات، وهذا ما شكّل أول الخيوط للوصول إلى أخطر عصابة منظمة لتهريب الآثار اليمنية إلى الخارج يتزعمها عربي.



تم استرجاع هذا الأثر من مخالب سارقيه

فقد تم إلقاء القبض على مواطن يمني في منطقة الجوف بتهمة قيامه بالتعامل بالآثار المهربة وبيع قطع أثرية لأجانب، وقد أكد هشام الغزالي مدير عام مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة: أن اكتشاف العصابة التي يتزعمهاالشخص العربي تم بعد أن ألقي القبض على شخص آخر (يمني الجنسية) أقر بأنه ينشط في المتاجرة بالآثار اليمنية لعناصر أجنبية، ومن أبرزهم ذلك العربي الذي يقيم في اليمن منذ سنوات.

وأشار مدير مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة إلى أنه على ضوء ما ورد في أقوال الشخص اليمني، فقد تم التحري وجمع المعلومات حول زعيم العصابة ورصد تحركاته، ليتم دخول المنزل الذي يسكنه وتفتيشه والقبض عليه، مؤكداً أنه تم ضبط أكثر من كيلو جرام من الذهب الحميري الخالص داخل المنزل، وعشرات القطع الأثرية التي من بينها تماثيل حجرية وبرونزية وفضيات وأوان مختلفة نحاسية وبرونزية تعود إلى العصور السبئية، كذا معاضد وأساور وسلوس وأختام وأخراص ذهبية، إلى جانب كمية من الأحجار الكريمة من العقيق والتماثيل الحيوانية والبرونزية، وقطع أثرية متنوعة.

إضافة إلى معمل آثار متنقل ومتكامل يشتمل على أجهزه علمية دقيقة ومتطورة تستخدم في فحص المعادن النفيسة والآثار وعملية تنظيف وصيانة وترميم القطع الأثرية والتنقيب عنها.

مصادر في الأجهزة الأمنية، أكدت أن زعيم المجموعة اعترف أثناء التحقيقات بأنه يقوم منذ سنوات بتهريب الآثار اليمنية إلى عدد من دول العالم عبر مطارات عدة دول عربية، حيث يتم إخراج الآثار بالتعاون مع عصابات عالمية متخصصة.

وكشفت نفس المصادر أن زعيم المجموعة، وإلى جانب القطع الأثرية التي قام بشرائها، كان يقوم أيضاً بعمليات تنقيب في بعض المواقع بالتعاون مع آخرين مستخدماً أدوات وأجهزة حديثة بعضها غير متوفر لدى الهيئة العامة للآثار والمخطوطات باليمن.

## النساء يدخلن على الخط!

عملية التهريب التي تمارسها عصابات من جنسيات يمنية وعربية وأجنبية تشترك في بعضها عناصر نسائية من الداخل والخارج، هكذا قال لنا مدير مكافحة تهريب الآثار في مطار صنعاء الدولي علي محمد المحسن، مؤكداً أن المهربين يتبعون حيلاً مختلفة وأساليب متنوعة للمرور من المنافذ، كشف بعضها موظفو الجمارك والآثار في مطار صنعاء، حيث يستخدم المهربون التمور والعسل لإخفاء القطع الصغيرة كالعملات القديمة بعد حفظها في أكياس نايلون أو وضعها في ثنايا الثياب والخياطة عليها، فيما يتم وضع المخطوطات في داخل كتب عادية توضع عادةً أسفل الحقيبة، أما القطع الكبيرة كالتماثيل فيتم لفها بالقطن أو القصدير وحشرها بين الأمتعة وجعل الوجه إلى الأسفل بحيث يتعذر معرفتها بسهولة.

وقال المحسن: إن إدارته تعمل في عدة منافذ داخل المطار وهي صالة المغادرة وهنجر الشحن ومنفذ المرسى وصالة التشريفات، ومن خلال هذه المنافذ الأربعة تم عرض كثير من القطع على مندوبي الآثار المناوبين في المطار الذين يتمثل عملهم في الإفتاء حول هذه القطع وما إذا كانت أثرية يجب مصادرتها، أو أنهاقطع تقليدية عادية يُسمح لها بالخروج.

إلاَّ أن هناك من أكد لنا، بأن جميع الآثار التي يتم ضبطها في بعض المنافذ تُكتشف أثناء عملية شحن عفش المسافرين من السياح والأجانب والأشقاء من عرب ويمنيين! كما أن دقة وتنوع أساليب التهريب ولّدت لدى الجهات المسؤولة شكوكاً في أن لبعض العاملين في شركات الشحن ضلعاً في التهريب، يؤكد ذلك مدير إدارة المعلومات في الهيئة العامة للآثار بقوله: «أكثر من





يبحثون عن الآثار في وضح النهار

شركة شحن نجد فيها قطعاً أثرية وكانت تسبب لنا إشكالات.. لذلك اتبعنا نظام استمارة الفحص والتفتيش»!!.

الدكتور عبد الرحمن جار الله وكيل الهيئة العامة للآثار أبدى استغرابه من كون معظم تجار ومهربي الآثار أجانب، وقال: لقد فوجئنا وازددنا حسرة كون العنصر الأجنبي أصبح له يد في اليمن يتصرف بالآثار بيعاً وشراءً وله علاقات بمواطنين في الداخل. وأضاف: أن اتساع المساحة وكثرة عدد الأماكن الأثرية في ظل عدم وجود طاقم حراسة يفي بالغرض وعدم توفر الإمكانيات لدى فروع الهيئة بالمحافظات، كل ذلك يفشل أي جهود للسيطرة على تلك المواقع الأثرية. مشدداً على ضرورة تدخل القوات المسلحة ومدّ يد العون والمساعدة لحماية تراث البلاد، ولاسيما وأن هناك مناطق لها خصوصية معينة كمحافظات مارب والجوف وشبوة والمناطق الصحراوية والقبلية.

**تنويه!**

من جانبه قال هشام الثور مدير وحدة مكافحة تهريب الآثار: كلما شددنا وسائل وإجراءات الضبط والرقابة كلما وجدنا تجار الآثار والمهربين يخترعون وسائل وحيلاً جديدة لعملياتهم في سرقة الآثار ومحاولة تهريبها إلى الخارج.

وهذه الظاهرة نعاني منها في جميع المنافذ الرسمية، فعلى سبيل المثال في مطار صنعاء فقط يصل متوسط عدد حالات الضبط في الأسبوع الواحد ما بين ٢-٣ مرات وهذه مشكلة تؤرقنا!

إنّ اليمن يعد متحفاً مفتوحاً، حيث ينتشر فيه عدد كبير من المواقع الأثرية نسبة منها مسجلة لدى هيئة الآثار ومعلن عنها، وهناك مواقع غير مسجلة وغير مكتشفة وهذه تتعرض لاعتداءات وحفر من قبل تجار الآثار، والمُدهش أن نجد بعض العناصر الأجنبية ممن يملكون أجهزة ومعدات حفر متطورة كالمواطن العربي

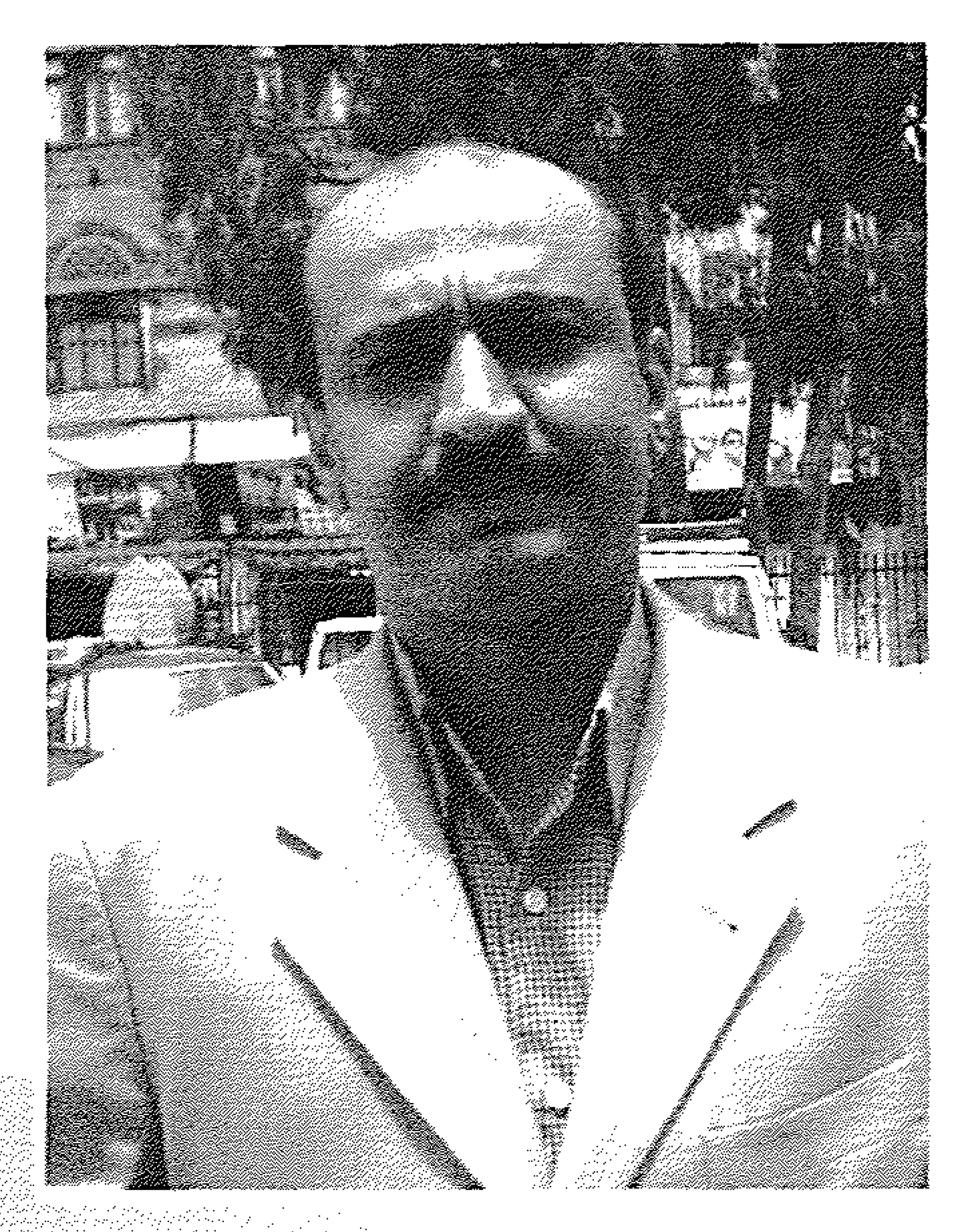
الذي كان يتنقل مع اليمنيين في العديد من المناطق اليمنية للتنقيب عن الآثار بطريقة غير شرعية، وقد صدمنا فعلاً عندما ضبطنا في منزله عدداً كبيراً من القطع الأثرية القيمة والأجهزة المتطورة، وكذا ورشة متكاملة لصياغة الذهب الحميري وإعادة تصنيعه!

الثور أكد أن هناك جهوداً كبيرة يتم بذلها للحد من الظاهرة، إلاَّ أنه يعترف بوجود صعوبة في عملية اكتشاف تلك القطع الأثرية الصغيرة، والتي كلما صغر حجمها ارتفع ثمنها!!

## «روح إلعب بعيد»!

سوق الملح.. أحد أهم وأشهر الأسواق اليمنية على الإطلاق يقع داخل صنعاء القديمة، وفيه تُعقد معظم صفقات البيع بين طرفين، وفي بعض الأحيان بين ثلاثة من بينهم الوسيط الذي عادة ما يتدخل لقول الرأي الفصل عن قيمة القطعة الأثرية في حال اختلاف البائع مع المشتري. فعلى مدى يومين ونحن نتردد على المكان وتحديداً سوق الفضة.. أناس يأتون وآخرون يذهبون، والعديد منهم لا يشترون لكنهم يتطلعون باهتمام بالغ للمعروضات التي تتضمنها محلات الفضة والعقيق والنحاسيات والتحف المختلفة.

فكثيراً ما تُشاهد أبناء القبائل وهم يجوبون مثل هذه الأسواق. في أحد المحال سمعنا أحدهم يقول للبائع: «أريد الأصلي!» ليرد الأخير: «الأصلي مكانه ليس هُنا.. الأصلي غالي.. هل ستدفع»! غادرتُ المكان فوراً بعد أن تلقيت نظرات متكررة من البائع بعد تصريحه هذا! لأنتقل إلى محل آخر لبيع التحف النحاسية، وهنا قلت للبائع: «أريد أن أهدي شيئاً تراثياً قيماً لأحد الأصدقاء في الخارج، ولي حوالي يومين دون أن أهتدي إلى ضالتي.. أرجو المساعدة ولك ماتريد»!.. لم ألق جواباً سوى نظرات الشك والتأمل.. كررت عليه نفس الكلام.. فجاء جوابه: «صُورتك مش مشتري»! أجبت: مايعرف الغيب الاَّ الله! ليرد البائع: خبرتي الطويلة جعلتني أعرف المشتري وهو على بعد كيلو من المحل.. روح إلعب بعيد!! طبعاً استمعت الكلام فرحتُ بعيداً أكرر المحاولة من جديد ولكن هذه المرة استعنت بأحد الأشخاص بعد أن وضحت له مدى حاجتي إلى هديه أثرية، فطلبت منه المساعدة لإرشادي إلى أحد تجار التحف القديمة وسوف أعطيه أتعابه، بدا (سعد) أكثر تعاوناً معي فاصطحبني في شوارع وأزقة ضيقة أشبه بالكلمات المتقاطعة، لنصل في الأخير إلى الشخص



هشام الثور مدير وحدة مكافحة تهريب الآثار

المطلوب.. طلب مني (سعد) أن أقف بجانب الباب، بينما راح هو يتحاور مع أحدهم يبدو أنه كان موجوداً في الداخل، وبعد خمس دقائق سمعت سعداً يقول: «طلبك موجود، لكن الرجل يخشى من أن تكون زبوناً مُزيَّفاً.. أُفضّل أن تجعله يشاهد المال ليطمئن قلبه وإذا معك دولار فهوأضمن!»، من جانبي أصررت أولاً على مشاهدة نماذج من هذه القطع، غادر سعد المكان وعاد بعد (١٠) دقائق وبيده نحو ١٥ صورة لنماذج مختلفة من القطع الأثرية تشمل تماثيل وختومات وعملات قديمة وخناجر أغمدتها فضية و..و.. قلت: أريد قطعاً أثرية لا صوراً. قال: هذه نماذج لتختار ما تريد فقط وتعرف السعر أما زمان ومكان البيع فيتم لاحقاً! بدوري اخترت قطعتين واتفقنا على العودة مساءً ومعي كل المبلغ المتفق عليه (٤٠٠) دولار!!.

في محل آخر لبيع الفضة والعقيق قلت: «هل أجد هدايا قديمة ترفع الرأس.. الأخضرجاهز»! وفجأة ودون أي مقدمات طلب مني البائع أن أُريه المال وأفتح الحقيبة، حاولت المراوغة دون فائدة وفي الأخير فتحت الحقيبة ليظهر فيها جهاز التسجيل.

حينها سمعت البائع يقول: لقد عرفت بأنك صحفي من أول لحظة دخلت بها إلى المحل، فالأسلوب هذا يا بابا.. قد اعتدنا عليه ومللناه لذا من الأفضل أن تغادر المكان.. وإلاَّ..!!

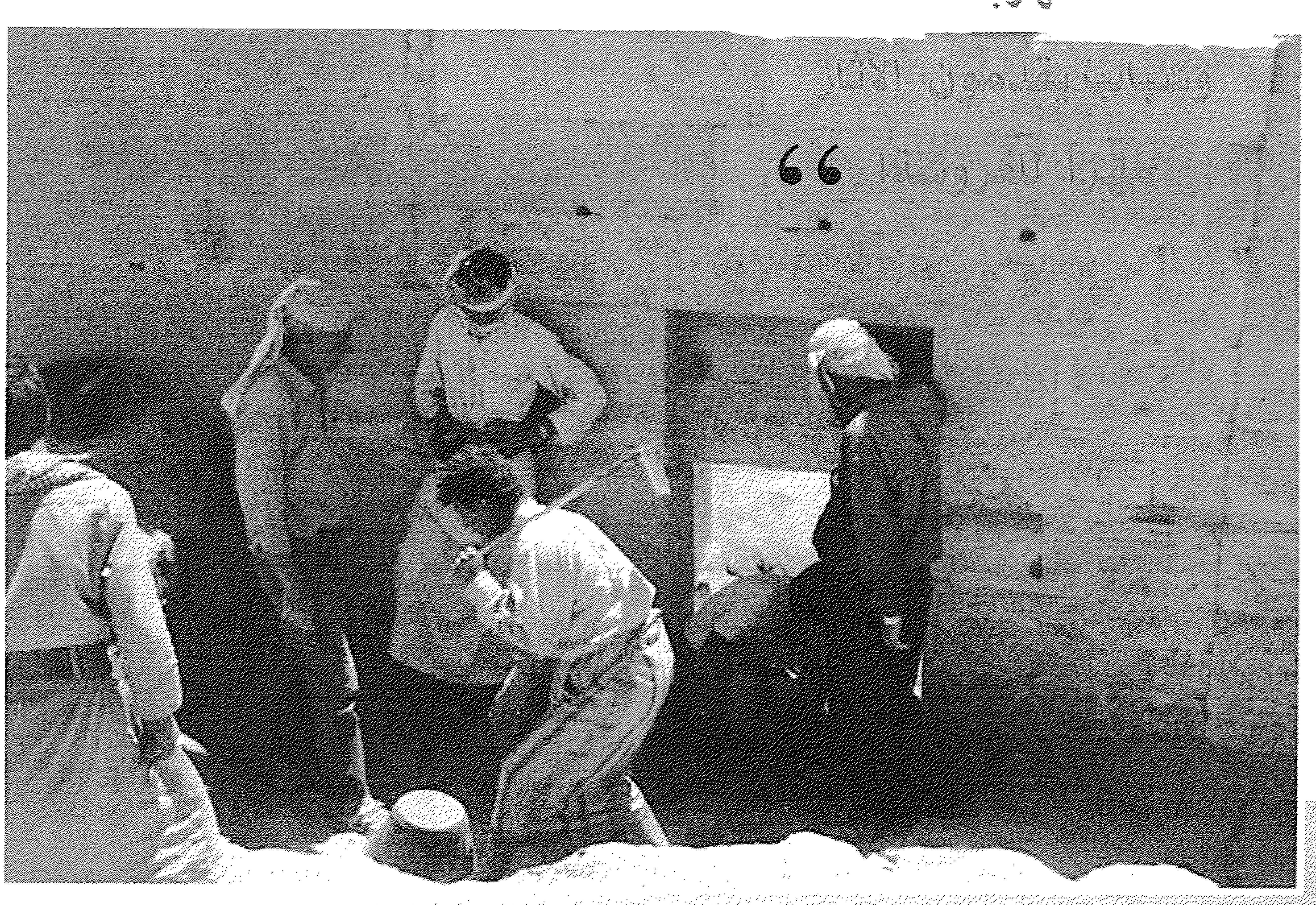
وهنا أحب أن أشير إلى أن هذا الحرص ومحاولات التخفي من جانب بعض الباعة قد يكون ناتجاً عن الإجراءات التي بدأت السلطات الأمنية اليمنية تتخذها مؤخراً خاصة في مراقبة مثل هذه الأسواق وهو ما لم يألفه الباعة هنا خلال الفترات السابقة!

## الجوف.. البحث عن الذهب!

حتى نضع النقاط على الحروف كان يجب علينا زيارة بعض المناطق التي تقع تحت رحمة لصوص الآثار، وبعد تردد طويل، وقع الاختيار على محافظة الجوف، فرحلتُ يُرافقني المصور إلى أعماق المحافظة التي تصافح صحراء الربع الخالي نبحث عن حضارة معين التي ضاهت فنون حضارات مراكز الشرق القديم في مصر وبلاد الرافدين، وصدّرت الطيوب واللبان إلى مختلف معابد العالم، فأصبحت مقصداً هاماً للمستشرقين العرب والأجانب خاصة خلال القرنين الثالث والثاني ق.م، تنقلنا بين العديد من الأماكن التي وجدناها تحتشد بعشرات من المواقع الأثرية.. في المكان يصدمك تحول العديد من هذه الأماكن إلى مرتع للعديد من اللصوص.

الناس هُنا لايرحبون بالغريب الذي يقدم إلى مثل هذه الأماكن، خاصة إذا كنت ترتدي بنطالاً وقميصاً، وهو ما يعني أنك ستواجه العديد من المضايقات وعلامات الاستفهام التي ستطاردك أينما توجهت، إلاَّ أننا وجدنا من يقول لنا إن هناك عناصر محلية وأجنبية عملت خلال الفترة الماضية دون كلل على سرقة واغتصاب الآثار. هؤلاء يمثلون الحلقة الخطيرة في الموضوع، فهم يملكون معدات متطورة وخرائط دقيقة وكاميرات تصوير وتلسكوبات مختلفة وأجهزة متقدمة، معظم هوايتهم هذه يمارسونها تحت جنح الليل حتى غدا الناس هنا يلقبونهم بـ(خفافيش الظلام)! لكن في المقابل تسمع عن حفر من نوع آخر، وهو الذي يمارسه البعض من السكان في محاولة للفوز بالذهب والفضة، فقد أدت الشائعات التي تروّج عن وجود هذين المعدنين في المواقع الأثرية إلى خروج العديد من السكان يمارسون النبش والحفر بحثاً عن وهم اسمه (الذهب)، فقد كانت هذه الشائعات هي بداية الداء الذي أصاب تراث الأجداد، فانتشر كما تنتشر النار في الهشيم، بل

„ نساء بدرجة مهربات "



يبحثون عن الآثار

يصل الأمر بأن تشاهد بعض النساء في إحدى المناطق الأثرية بمدينة (كمنا) التاريخية يقمن بعملية نخل التراب بالمناخيل (الغرابيل) تحت إصرار الحصول على المعدن الأصفر، فيما يقوم البعض من الرجال بأعمال حفر ونبش على أمل الحصول على قطعة أثرية يتم بيعها بـ (الدولار)!! مشهد مُرعب لايزال يُطارد عبد الصمد الخولاني خريج الآثار جامعة صنعاء والذي عايشه بتفاصيله أثناء زيارته للمكان ضمن رحلة نظمت إلى المحافظة، فما كان من الدكتور غسان طه ياسين رئيس قسم الآثار حينها سوى ذرف الدموع بحسب شهادة الخولاني، ولايقتصر الأمر على ذلك فقط، بل إن بُعد هذه المناطق وعدم توفر حماية لها قد أغرى العديد من الشباب ممن لم يجدوا فرص عمل بالتوجه للحفر لعل وعسى يصادفهم الحظ.

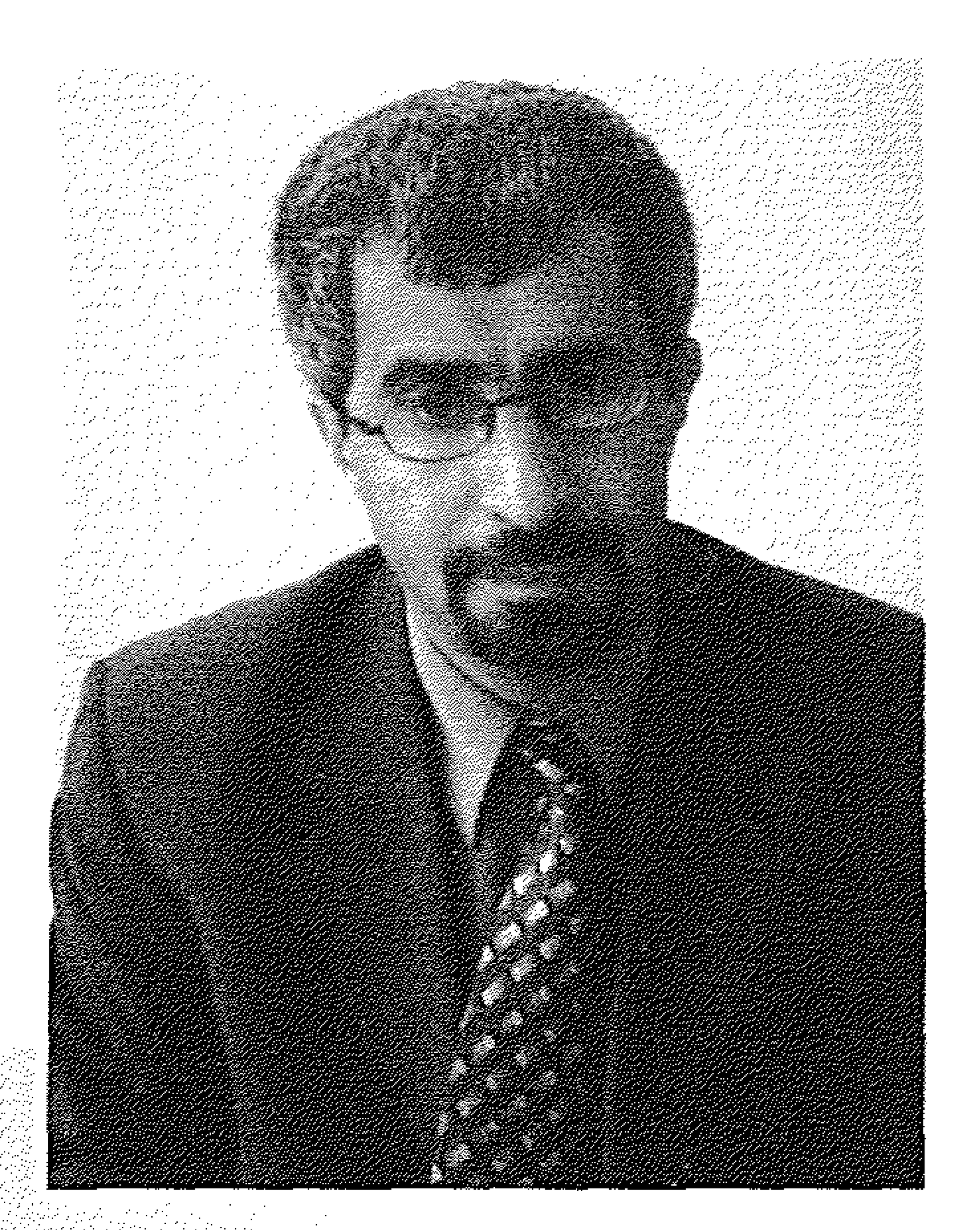
يقول أحد الشباب -رافضاً الكشف عن اسمه- مهدداً بكسر جهاز التسجيل طالباً الاستماع فقط-: الذي وجدناه هذا الأسبوع كان نحساً وشؤماً، فلم أحظ بأي شيء، مقارنة بالأسبوع الماضي، فيمكن للشخص منا أن يظل يحفر على مدى أيام الأسبوع متنقلاً هنا وهناك، وفي معظم الأوقات قد لايجد شيئاً، وأحياناً يبتسم له الحظ في النهاية، كما حصل لي الأسبوع الماضي، حيث عثرت على قطعتين أثريتين وأنا موعود ببيعهما بـ (٢٠٠) دولار وأتمنى أن أحصل على المزيد حتى أتمكن من الزواج في أقرب وقت، فلا يوجد لدي أي عمل آخر وتكاليف الزواج هنا باهظة!

وفي الوقت الذي كنا فيه نودّع الشاب مُتمنين له زواجاً سعيداً، كانت الجوف تستعد لإقامة أول مهرجان في عهدها أطلقت عليه اسم (مهرجان قرناو التراثي والسياحي) حضره كبار المسؤولين في الدولة اليمنية، فقد حمل المهرجان خمسة أهداف رئيسة جاء هدف (حماية المناطق السياحية والأثرية من العبث والحد من تهريب الآثار) على رأس القائمة!

## المتحف الوطني

المتحف الوطني يمثل هو الآخر حلقة هامة من حلقات هذا التحقيق، فالزائر للمكان الذي يتوسط قلب العاصمة صنعاء يجده يضم آلاف القطع الأثرية الهامة والقيمة نسبة كبيرة منها تم احتضانها من مواقع التنقيب، وانتزعت من أيدي تجار الآثار، يقول عبد العزيز الجنداري أمين عام المتحف: يمتلك المتحف الوطني ثروة عظيمة من المقتنيات الأثرية المتنوعة والتي تعود لمعظم فترات التاريخ ابتداءً من عصور ما قبل التاريخ وعصر الحضارات اليمنية القديمة (سبأ - معين - حضرموت - أوسان - قتبان - حمير) والحضارة الإسلامية، وجزءاً كبيراً من الموروث الشعبي من مختلف المحافظات، والتي تدل على عظمة الفنان اليمني عبر العصور التاريخية وتبين ازدهار وقوة الحضارة اليمنية، حيث يبلغ عدد القطع الأثرية الموجودة أكثر من ٢٥ ألف قطعة أثرية موثقة في السجلات الرسمية للمتحف. الجنداري أشار إلى أن الكنوز التراثية التي توجد بالمتحف رغم عددها الكبير وتناميها المستمر، إلاّ أنها تمثل جزءاً متواضعاً مما تخفيه الأرض اليمنية من ثروة تراثية هائلة لا يستطيع الباحثون أن يختصروها برقم معين، منوهاً بأن اليمن تمثل متحفاً مفتوحاً، وكل يوم يشهد اكتشافات أثرية جديدة.

**" عندما يحل الظلام يبدأ الحفر لالتقاط ما خف وزنه وغلا ثمنه "**



عبد العزيز الجنداري أمين عام المتحف الوطني بصنعاء



قطع أثرية كانت معدة للتهريب

## نضال في رمال متحركة!

السلطات اليمنية واستشعاراً منها بخطورة الظاهرة، تحاول من وقت لآخر بذل الجهود للحد من زحف المشكلة والعمل على إيقافها، إلاَّ أن تلك الجهود وُصفت بأنها (نضال في رمال متحركة)! كان أبرزها إعلان الهيئة العامة للآثار تنفيذ خطة تستهدف اقتناء المخطوطات والقطع الأثرية النادرة التي تعود ملكيتها لبعض الأفراد من خلال شرائها مقابل مبالغ رمزية، بدأ تنفيذ الخطة في نوفمبر ٢٠٠١م وذلك باقتناء عشرات القطع الأثرية، تزامنت هذه الخطة مع خطة أخرى هدفت إلى حصر وتوثيق الآثار والمخطوطات المنقولة وغيرها من منتجات حرفية وتقليدية تتمتع بقيمة أثرية.

واعتبر مسؤولون الخطة يومذاك بداية طموحة لحماية التراث الثقافي اليمني من الاستنزاف للخارج، غير أن النتائج اللاحقة جاءت نقيض المتوقع منها، فازدادت حركة القرصنة والنهب والتهريب للآثار والمخطوطات اليمنية.

من جانبها وجدت السلطات المعنية أنها أمام معركة فُرضت عليها في وقت لم تستعد بعد للنزال، لتحقق الأخيرة العديد من النجاحات والمكاسب في مجال مكافحة تهريب الآثار، إلاَّ أنها لم تنج من الإخفاقات! آلاف القطع الأثرية تم ضبطها قبل أن يُغادر بها المهربون، وأخرى تم استعادتها من لندن ونيويورك وغيرها، ناهيك عن تلك التي تم ضبطها في المطارات والمنافذ الجمركية لبعض الدول العربية كالمملكة الأردنية الهاشمية، كذلك الأمر مع سلطنة عمان التي أحبطت محاولة لتهريب حوالي طن من الآثار على حدودها وأعادتها للسلطات اليمنية، منها مائدة قرابين منحوتة من الرخام.

عمليات تهريب عديدة تحدث مسؤولو هيئة الآثار اليمنية عن إحباطها، مشيرين إلى أن حصيلة أسبوع واحد فقط كانت ضبط ٤١ تمثالاً آدمياً من المرمر تعود إلى العصرين السبئي والحميري، إضافة إلى ٥٢١ قطعة أثرية نادرة تم اكتشافها مع عرب وأجانب ويمنيين!

ومن أشهر العمليات التي نجحت الأجهزة اليمنية في إحباطها كانت في مطار صنعاء عندما تم ضبط (٥٠٠) قطعة أثرية في عملية واحدة حاول مجموعة من الأشخاص تهريبها إلى خارج البلاد، وفي عام ٢٠٠٤م أحبطت السلطات اليمنية في المطار محاولات لتهريب ١٠٠٠ قطعة أثرية، ٦٠٪ منها قطع مزورة! مع الإشارة بأن ٣١ قطعة أثرية تم ضبطها مع هندي الجنسية يعمل في إحدى شركات الشحن.

واعلنت هيئة الآثار اليمنية في مطلع ٢٠٠٥م أنها تمكنت من استعادة ٣٠٠ قطعة أثرية من مواطنين في صنعاء، و٤٠٠ قطعة أثرية أخرى كانت بحوزة عدد من المسافرين الأجانب والمواطنين اليمنيين!

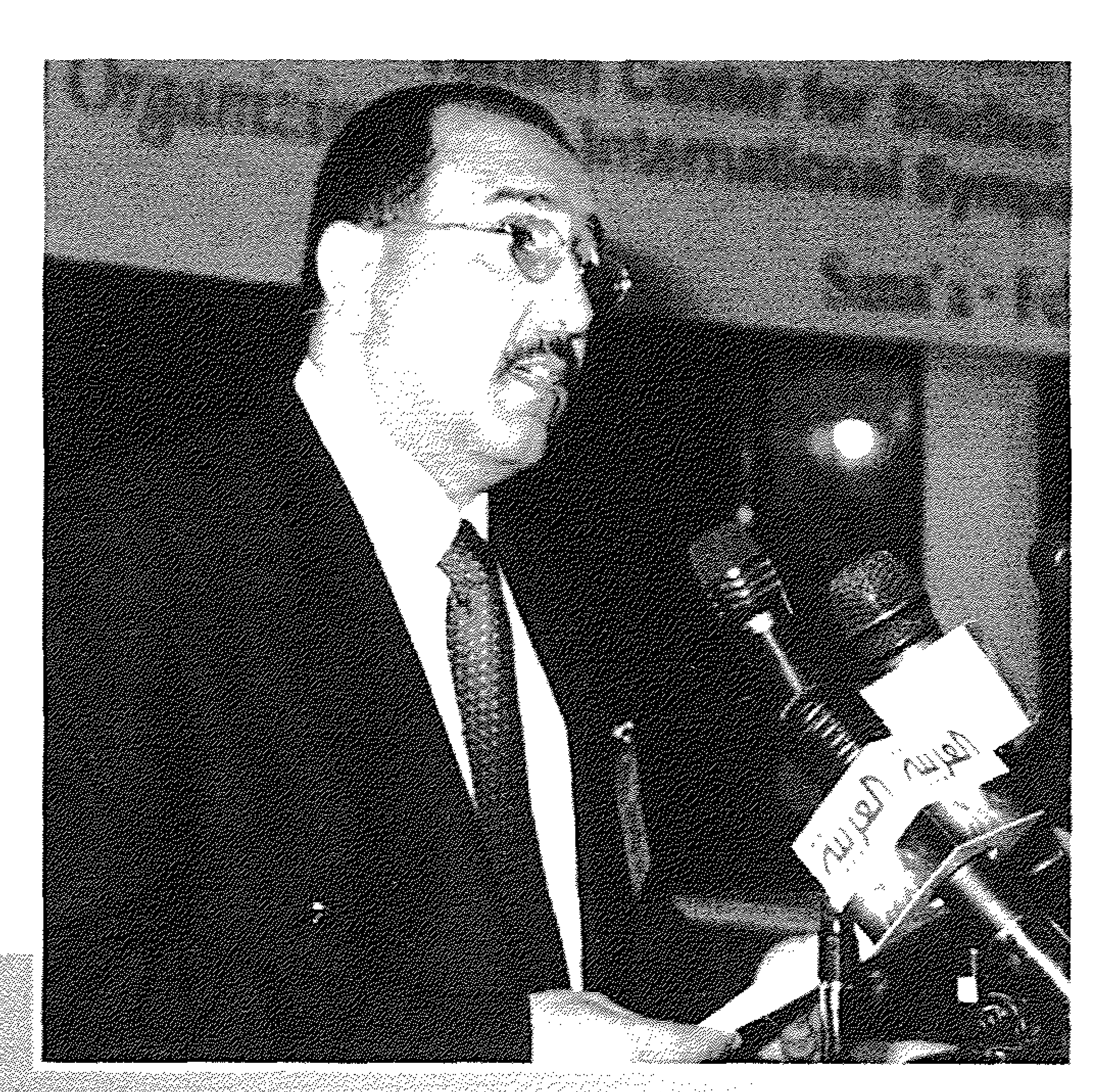
غير أن مصادر في هيئة الآثار اليمنية أكدت لـ «تراث» أن ما يتم استرجاعه وضبطه من آثار لا يمثل سوى ٥٪ من إجمالي ما يتم تهريبه إلى خارج البلاد عبر ٢٤ منفذاً برياً وبحرياً وجوياً، تسعى الهيئة إلى فرض سيطرتها على جميع المنافذ، إلاَّ أن شح الإمكانيات، ووجود ١٦ مشرفاً فقط يتبعون للهيئة يحول دون ذلك!!

## إلى وزارة الثقافة

لم تحظ الآثار اليمنية باهتمام ورعاية حكومية مثل ما

هي عليه اليوم، حيث شهد هذا التراث في الفترة الأخيرة نشاطاً مكثفاً ومنظماً سواءً فيما يتعلق بمسح مواقعها أوالتنقيب عنها وتدوينها وصيانتها، وكذا حمايتها من التلف والسرقة والعبث.

فإذا كانت هناك آثار لاتزال تغطيها الرمال، فإن هناك كنوزاً يتم اكتشافها يومياً، وأخرى تضبط قبل تهريبها إلى خارج البلاد.. بهذه العبارات استهل خالد عبد الله الرويشان وزير الثقافة والسياحة اليمني حديثة معنا وقال: صحيح الآثار تتعرض لمحاولات عديدة للتهريب من قبل عصابات محترفة، لكن لا يعني ذلك أننا نقف موقف المتفرج، بل إننا شددنا من عمليات الحماية والمراقبة في العديد من المنافذ الهامة، فاستطعنا إحباط وإفشال المئات من عمليات ومحاولات التهريب، وعن طريقها تم استرجاع آلاف القطع الأثرية الهامة والثمينة، منها على سبيل المثال إحباط تهريب (١٠٠٠) قطعة أثرية خلال عام ٢٠٠٤م.



خالد عبد الله الرويشان، وزير الثقافة والسياحة اليمني

وخلال الأشهر الأربعة الأخيرة من عام ٢٠٠٥م تم ضبط أكثر من ١٥٠٠ قطعة أثرية، أضخمها ما تم ضبطه في مسكن الشخص العربي بصنعاء أثناء محاولته تهريب أكثر من (٧٨٨) قطعة أثرية متنوعة، إضافة إلى ١٢٠٠ قطعة أثرية في مطار صنعاء فقط خلال ديسمبر ٢٠٠٤ - إبريل ٢٠٠٥م.

ويقول وزير الثقافة اليمني: إنّ الحفاظ على الآثار يمثل هماً رئيساً بالنسبة لنا، وحتى ننجح في معركتنا هذه اتخذنا العديد من الخطوات الهامة والعاجلة منها التوسيع في عمليات التنقيب الأثري بالتعاون مع العديد من البعثات الأجنبية التي تعمل تحت إشرافنا ووفق برنامج سنوي منظم، حيث نقوم بتدوين هذه الآثار في السجل الوطني أولاً فأولاً حمايةً لها من الضياع، وضماناً لاستعادتها في حال إذ اما سُرقت أو هُرّبت، والإجراء الثاني تمثل باعتماد خطة تستهدف اقتناء الآثار والمخطوطات النادرة التي بحوزة بعض الأفراد من خلال شرائها بمبالغ رمزية، وقد أثمرت هذه الخطوة في استرجاع المئات من القطع الأثرية.

فيما تمثلت الخطوة الثالثة في تسوير الكثير من المواقع الأثرية بعموم محافظات الجمهورية وتعيين حراس لها. كما مثلت عملية التوسيع في تعيين مندوبين للهيئة العامة للآثار في المنافذ لمكافحة سرقات الآثار عن طريق التنسيق مع أجهزة الجمارك والأمن، إحدى الإجراءات الهامة في مجال الحفاظ على هذا التراث وحمايته.

وأشار الرويشان إلى أن الفترة الأخيرة شهدت تعاوناً ملموساً بين السلطات المعنية باليمن والشرطة الدولية (الإنتربول) في مجال الحماية والتبليغ واستعادة أية قطع أثرية تم تهريبها، حيث تم مؤخراً ولأول مرة استعادة العشرات من القطع.

**"عشرات المواقع تحت رحمة اللصوص ودعوات لتدخل الجيش"**

وأكد الوزير اليمني عزم بلاده التوقيع على الاتفاقيات الدولية، لتصبح عضواً فاعلاً فيها، ولتضمن استعادة حقوقها في أي لحظة، موضحاً بأن جهود الوزارة سوف تركز خلال المرحلة القادمة على تعزيز ودعم مكاتب فروع هيئة الآثار بالمحافظات، وتوفير الكادر اللازم لتغطية احتياجات كافة المنافذ الرئيسة لمحاصرة الظاهرة، وبث الروح بالقوانين والتشريعات الخاصة بحماية الآثار، والاستمرار في تنفيذ المسح الشامل للمواقع الأثرية، بهدف الوصول إلى تحقيق الخارطة


طيور الظلام تحفر في الليل بحثاً عن الآثار.. وتختفي في النهار

الأثرية، وإنشاء شبكة إلكترونية في جميع المنافذ لضبط عمليات التهريب، وتبادل الخبرات والتجارب والمعلومات المتعلقة بحماية الآثار.

وقال الرويشان: إن تدشين خطة الانتشار الأمني التي حظيت باهتمام الرئيس اليمني وشملت جميع مناطق ومحافظات الجمهورية، قد ساهمت بدور كبير في ضبط الحدود والمنافذ، وأفشلت العديد من محاولات تهريب الآثار، وأشاد وزير الثقافة اليمني بمستوى التعاون الملموس بين اليمن وعدد من الدول العربية والأجنبية في مجال مكافحة ظاهرة تهريب الآثار، والذي كان ثمرته تسليم اليمن خلال الفترة الأخيرة العديد من القطع الأثرية الهامة والمخطوطات، منوهاً بأن ظاهرة تهريب الآثار والمتاجرة بها ظاهرة عالمية تُعاني منها العديد من دول العالم ومنها اليمن.

## حرب غير معلنة!

يُشكل مطار صنعاء الدولي أبرز المنافذ الرئيسة في اليمن، فمعظم محاولات تهريب الآثار يتم إحباطها في هذا المكان، وهنا يقول عبد الله علي العنسي مدير عام المطار الذي بدا أكثر تفاعلاً مع موضوع التحقيق: بصراحة أستطيع القول بأننا نخوض حرباً غير معلنة مع لصوص وتجار الآثار الذين يحاولون وبشكل مستمر ابتكار أساليب وطرق جديدة بهدف التمويه على رجال الأمن بالمطار، وترحيل آثار البلاد إلى الخارج، ولا أكون مبالغاً إذا قلت بأن معظم هذه المحاولات إن لم تكن جميعها تؤول إلى الفشل، بفضل جهود رجال الأمن الذين يتمتعون بخبرة طويلة في هذا المجال أكسبتهم الحاسة السادسة التي تمكنهم من كشف أي محاولة بعد أن يكون رجل الأمن قد ساوره شك بوجود (قطع أثرية أو مخطوطات معرضة للتهريب)، كان آخرها على سبيل المثال – كشف محاولة تهريب عملات نقدية قيمة وسكاكين تعود الى عصور ما قبل الإسلام داخل ما يسمى بالمداعة (النرجيلة) بالإضافة إلى أن المطار يتمتع بأجهزة متطورة تُساعد على الكشف أيضاً بالتعاون مع وحدة مكافحة تهريب الآثار في المطار ورجال الأمن والجمارك، بما في ذلك الكشف عن محتويات الصناديق التي تنقلها شركات الشحن.

## محاكم وقضايا

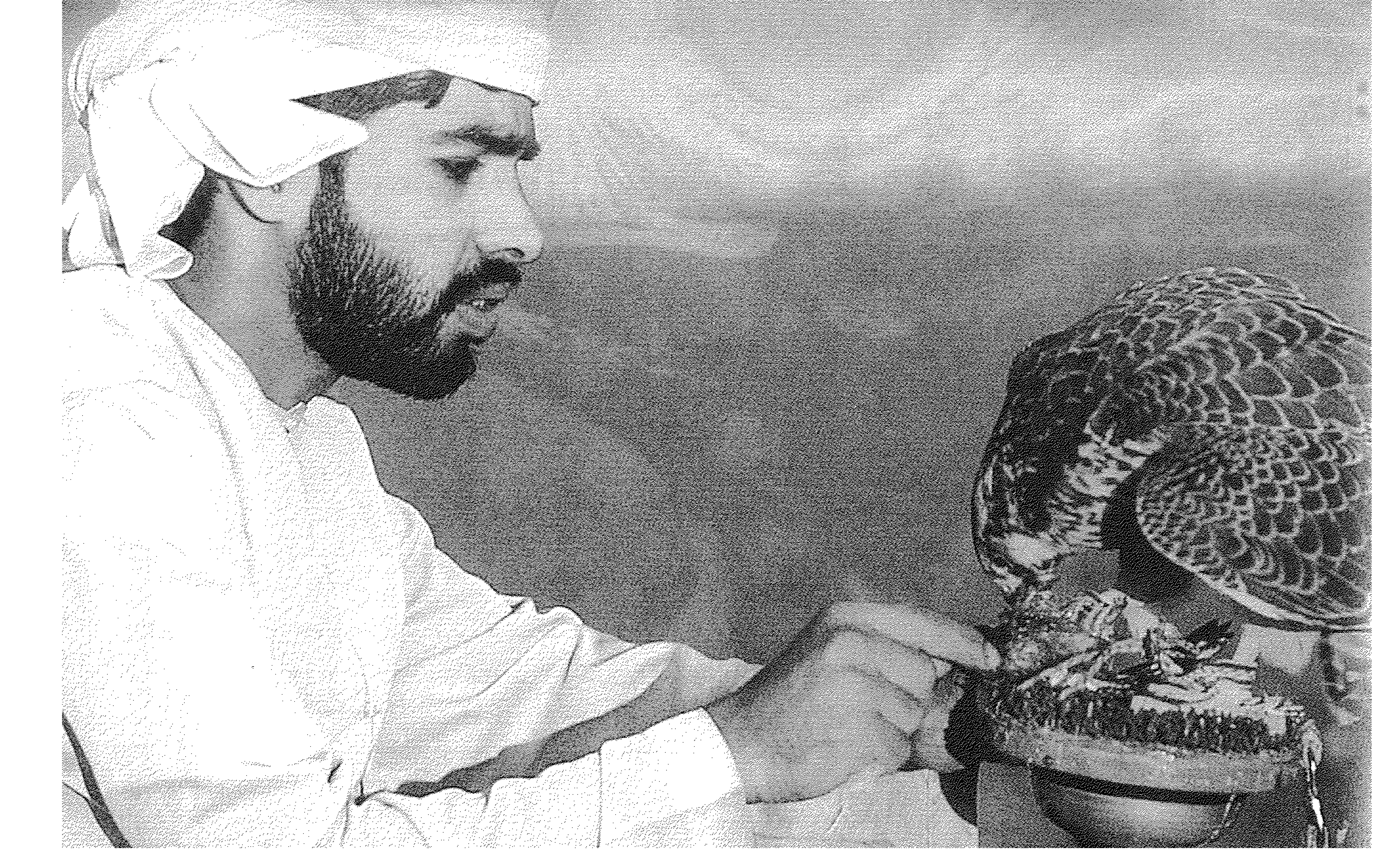
يُذكر أن السلطات القضائية اليمنية أصدرت أحكاماً خلال عامي ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤م في سبع قضايا فقط متعلقة بالآثار، وكانت التهمة واحدة (حيازة آثار)، وفي اثنتين (ترويج وتجارة آثار)، وفي قضية واحدة (تهريب آثار إلى خارج البلاد)، أما القضايا التي مازالت منظورة أمام المحاكم فلا يوجد معلومات دقيقة حولها، إلاّ أن مسؤولاً في نيابة الآثار أكد لنا بأنها لاتتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، ويشير قانونيون بأن العقوبات التي صدرت في حق المتهمين في القضايا السبع المذكورة، تعد عقوبات مخففة، فقد تراوحت بين السجن من ٨ أشهر إلى شهرين وبين دفع غرامة من ١٠٠ دولار إلى ٢٠٠ دولار، وقضية التهريب الوحيدة اكتفى الحكم فيها بالمدة التي قضاها المتهم في السجن وهي ستة أشهر، ويتساءل هؤلاء: «هل هذه العقوبات المخففة تتناسب مع جريمة المتاجرة بتراث البلاد وتاريخه»؟!!

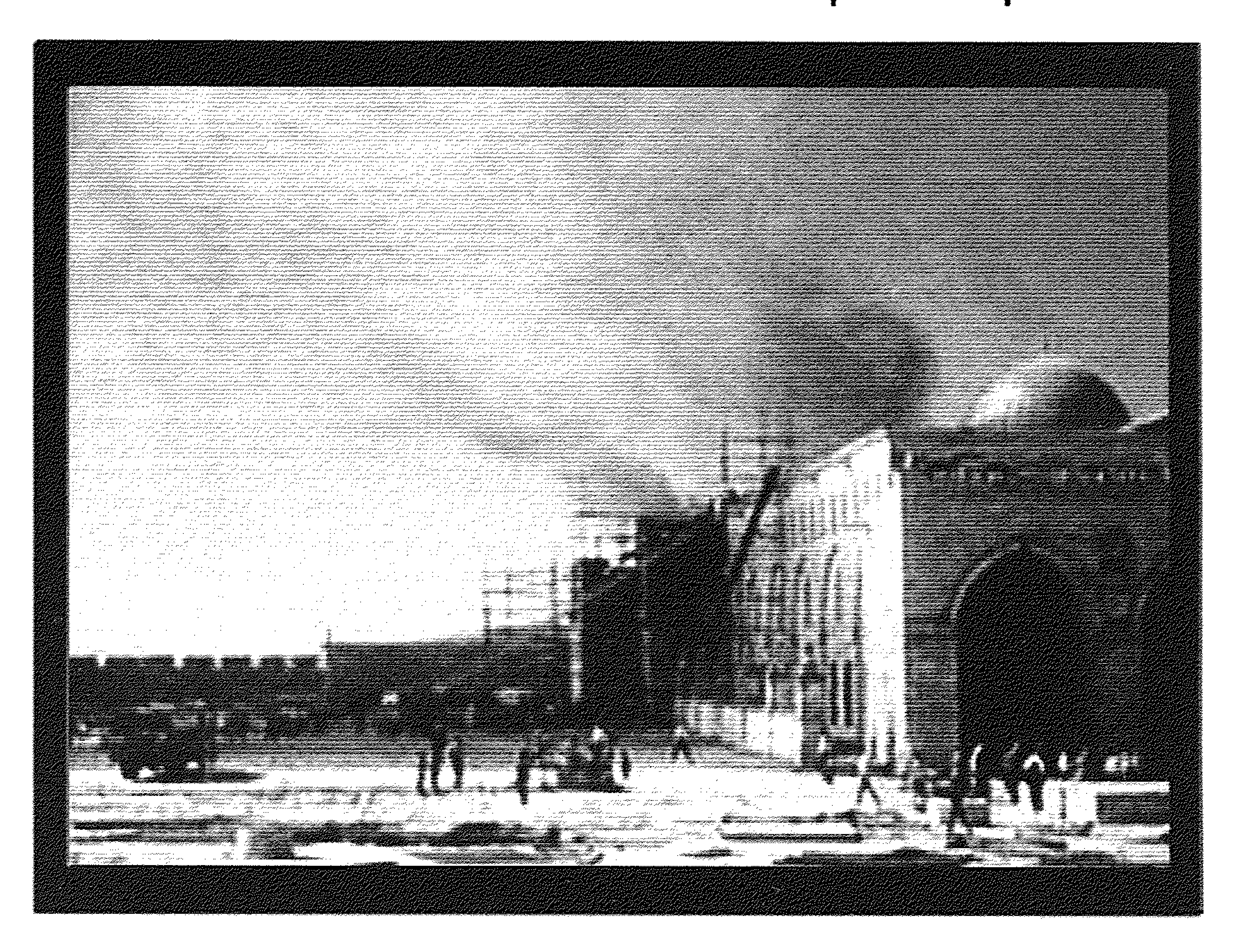
مؤكدين على أن القضاء على الظاهرة لا يمكن أن يتم إلاّ بإيجاد قانون يشدد على عملية تحريم المتاجرة بالآثار من خلال تضمنه عقوبات رادعة وقوية! ■

عدد سبتمبر المقبل

# الصيد بالصقور

عدد خاص





### المسجد الأقصى

# أقدم أسير في العالم.. يحلم بيوم الحرية

٣٨ عاماً تمرُّ على الأقصى أسيراً في أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلية.. و٣٦ عاماً تمرُّ على جريمة محاولة إحراقه في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، لكننا لا نستطيع أن نعدد يوماً أو أياماً تمرُّ دون أن تكون هناك حلقة في مسلسل الكيد للأقصى ومحاولة هدمه لبناء الهيكل المزعوم.

والحلقة تضيق خاصة بعد الإجراءات التي اتخذتها قوات الاحتلال بهدم العديد من المباني الوقفية التي تحيط بالأقصى لتفريغ الساحة من حوله تمهيداً لتوجيه الضربة التي ينتظرها المتعصبون الإسرائيليون، ثم بناء المستوطنات من حول القدس، وإحكام الخناق بالجدار الفاصل.. وبعدها يصبح الأمر سهلاً لهم.. منسياً بالنسبة لنا.. خاصة إذا ما مرت كل المحاولات السابقة واللاحقة.. بلا صدىً أو تصدٍ.

جريمة إحراق الأقصى وقعت في اليوم التالي لإنجاز بعض الحفريات التي تقوم بها حكومة (إسرائيل) تحت أرض المسجد الأقصى بحثاً عن ما تزعم إسرائيل أنه آثار مندثرة منذ ألفي سنة لهيكل سليمان.

محاكمة الشاب الأسترالي مايكل روهان الذي اتهمته (إسرائيل) بجريمة إحراق الأقصى.. ثم ادعت أنه مجنون ومعتوه.. بدأت بإصدار السلطات الإسرائيلية عدة بيانات متناقضة عن الحريق تضمنت تصريحات رسمية، قالت أولاً: إن الحريق حدث عرضاً من احتكاك الأسلاك الكهربائية، ثم عادت وقالت ثانياً: إن الحريق حدث من تطاير شرارة من جهاز لحام بالأوكسجين، كما تناقضت أقوال المسؤولين الإسرائيليين بشأن توقيت الحادث فادعوا أن الحادث وقع في الساعة السابعة والدقيقة العشرين صباحاً، والحقيقة أنه وقع قبل ذلك بساعة على الأقل، وأخيراً أعلنت السلطات الإسرائيلية في بيان رسمي أن شاباً أشقر دخل المسجد في ساعة مبكرة من الصباح، وعندما خرج منه ليختفي في الحي اليهودي كانت ألسنة النار تلتهم جميع أروقة المسجد.

الحريق المدبر أتى على ثلث القبة المزخرفة، والقسم الجنوبي الشرقي، ومعه منبر صلاح الدين والزخارف، ومحراب زكريا عليه السلام؛ حيث أحرق سقفه والزخرفة التي كانت عليه.. لكن الله أراد أن يسلم الأقصى فتمكن الرجال والأطفال والنساء ثم سيارات الإطفاء الفلسطينية التي هرعت إلى المكان من إطفاء نار الحقد.. وحفظ الله الأقصى.

محاولة إحراق المسجد الأقصى لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة.. ويبدو أن المحاولات ستستمر خاصة ونحن نرى بشكل يومي عمليات منظمة ومنتظمة لهدم الأقصى رغم الإدانة العالمية لذلك.. ورغم المسرحيات التي تؤديها الحكومة الإسرائيلية بدعوى وقف العنف وعمليات الهدم التي تعلن منظمات يهودية متطرفة عن نيتها تنفيذها.

جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف الإسلامية داخل مناطق فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨م أصدرت قائمة بأسماء بعض المساجد والمقامات المحولة إلى غير أهدافها الطبيعية منها: مسجد البصة – قضاء عكا (حظيرة خراف)، مسجد عين الزيتون – قضاء صفد (حظيرة للأبقار)، المسجد الأحمر ـ صفد (ملتقى للفنانين)، مسجد السوق – صفد (معرض تماثيل وصور)، المسجد الجديد في قيساريا – ساحل حيفا (مطعم وخمارة)، مسجد الحمة – هضبة الجولان (مغلق ويستعمل كمخزن للمطعم القريب ويخزن فيه الخمور ومعدات المطعم)، مسجد السكسك – يافا (الطابق الأرضي محول إلى مصنع بلاستيك أما الطابق العلوي فهو محول إلى مقهى للعب القمار)، مسجد الطابية – مغلق، مسجد مجدل عسقلان (محول إلى متحف وجزء منه محول إلى خمارة)، مسجد المالحة – القدس (اقتطع أحد اليهود جزءاً منه لبيته، ويستعمل سقف المسجد لإحياء السهرات الليلية للجيران).

ويكشف التقرير الفلسطيني أيضاً أن عدة مساجد ومقامات حولها اليهود إلى كناس ومعابد ويذكر منها على وجه الخصوص: مسجد مقام يعقوب ـ صفد (محول إلى كنيس لليهود)، مقام ياقوق – قضاء طبرية (محول إلى قبر لليهود باسم حبقوق)، مقام الست سكينة في طبرية (محول إلى قبر يهودية باسم راحل)، مسجد طيرة الكرمل – قضاء حيفا (محول إلى كنيس يهودي). مقام سمعان ـ قلقيلية (حول إلى قبر يهودي باسم شمعون)، مقام النبي يامين – قلقيلية (محول إلى قبر يهودي باسم بنيامين)، مقام الشيخ الغرباوي – غربي قرية المدية (حول إلى قبر يهودي باسم متتياهو).

وفي الجهة الأخرى يشير التقرير إلى وجود مساجد ومقامات إما تعرضت للهدم المقصود أو صارت مهملة لوجود تخوفات من استعمالها أو عدم السماح بذلك ومنها: مسجد أم الفرج ـ قضاء عكا والذي هُدِّم عام ١٩٩٧م، مسجد وادي الحوارث –قضاء طولكرم– قرب الخضير هدم على أيدي بعض اليهود في عام ٢٠٠٠م، مسجد الشيخ نعمة ـ صفد ـ هدم المسجد وبقيت المئذنة. مقام الخضر ـ البصة ـ مهمل. المسجد الزيداني في طبريا ـ مغلق ومهمل. مسجد ابطن المندثرة ـ قضاء حيفا ـ مهمل. مسجد أحمد ـ عكا ـ مهمل. مسجد السميرية ـ قضاء عكا ـ مغلق من قبل دائرة أراضي اسرائيل. مسجد إجزم ـ ساحل حيفا ـ مغلق من قبل دائرة أراضي اسرائيل، ويمنع الاقتراب منه

والمخالف يهدد بالسجن. مسجد عين كارم - القدس - مهمل ويستعمل وكراً لمتعاطي المخدرات وأعمال الرذيلة.

ويكشف التقرير كذلك أن جميع هذه المساجد والمعابد التي سبق ذكرها هي في الحقيقة لا تساوي ٣٪ من مساجد فلسطين التي هدمت فترة الاحتلال وهي تقدر بأكثر من ١٢٠٠ مسجد، وما بقي منها إلا القليل.

أما الأقصى فقد تعرض لكثير من محاولات هدمه طوال سنوات وقوعه في الأسر منها:

* ١٩٦٧/٦/٧م : اقتحام الجنرال موردخاي غور للحرم الشريف في اليوم الثالث من حرب حزيران يونيو وإعلانه السيطرة عليه.

* ١٩٦٧/٦/٩م : تعطلت صلاة الجمعة في الحرم القدسي إثر الاحتلال، وكانت هذه أول مرة تتعطل فيها شعائر الصلاة منذ تحرير صلاح الدين للقدس من الصليبيين في عام ١١٨٧ ميلادي.

* ١٩٦٧/٦/١٥م: في مشهد استفزازي لمشاعر المسلمين.. أقام الحاخام (شلومو غورن) الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي وخمسون من أتباعه صلاة دينية في ساحة الحرم.

* ١٩٦٩/٦/١٦م: السلطات الإسرائيلية تستولي على الزاوية الفخرية التي تقع في الجهة الجنوبية الغربية من ساحة المسجد.

* ١٩٦٩/٦/٢٤م : القوات الإسرائيلية تستولي على المدرسة التنكزية عند باب السلسلة وتستخدمها موقعا عسكريا.

* ١٩٦٩/٨/٢١م: (دنيس دوهان) يقتحم ساحات الحرم ويتمكن من الوصول إلى المحراب وإضرام النار فيه في محاولة لتدمير المسجد، السلطات الإسرائيلية اعتبرته معتوها وأفرجت عنه بعد محاكمة صورية.

* ١٩٧٦/١/٢٨م: القاضية (دوث أود) من المحكمة المركزية الإسرائيلية تعطي اليهود الحق في الصلاة داخل الحرم. وقد أعتبر مجموعة من الصهاينة أن ذلك تصريحا لهم باقتحام الأقصى والصلاة فيه.

* ١٩٧٩/٨/١٤م: حاولت جماعة (غورشون سلمون) المتطرفة اقتحام المسجد، إلا أن المواطنين تصدوا لها وافشلوا المحاولة وعمل المتطرف (مائير كهانا) وجماعته على تكرار المحاولة بدعم من قوات كبيرة من رجال الشرطة، إلا أن أكثر من عشرين ألف مواطن تصدوا لهم وخاضوا مع الجنود مواجهات ضارية للدفاع عن الحرم سقط خلالها العشرات من الجرحى.

* ١٩٧٩/١١/١١م: أطلقت الشرطة الإسرائيلية وابلا كثيفا من الرصاص على المصلين المسلمين مما أدى إلى إصابة العشرات منهم بجراح.

* ١٩٨٠/٤/١٩م: عقد الحاخامات اليهود مؤتمرا عاما لهم في القدس المحتلة خططوا خلاله للسيطرة على المسجد الأقصى.

* ١٩٨١/١/١٣م: اقتحم أفراد حركة أمناء جبل الهيكل الحرم القدسي الشريف يرافقهم الحاخام (موشي شيغل) وبعض قادة حركة هاتحيا، وأرادوا الصلاة وهم يرفعون العلم الإسرائيلي ويحملون كتب التوراة.

* ١٩٨١/٨/٢٨م: اكتشاف نفق يمتد من أسفل الحرم القدسي ويبدأ من حائط البراق، قام بحفرة حاخام حائط البراق مع عمال من وزارة الشؤون الدينية. وكبير الحاخامات (شلومو غورن) يأمر بإغلاق الممر نظراً لحساسية الموضوع.

* ١٩٨١/٨/٣١م: اكتشاف تصدع خطير في الأبنية الإسلامية الملاصقة للسور الغربي نتيجة استمرار الحفريات تحت المسجد الأقصى.

* ١٩٨٢/٢/٢٤م: رئيس مجموعة أمناء جبل الهيكل (غوشون سلمون) يقوم باقتحام ساحة المسجد لأداء الصلاة والشعائر الدينية.

* ١٩٨٢/٣/٢م: مجموعة مسلحة من المتطرفين اليهود في مستوطنة كريات أربع تقوم بمحاولة اقتحام المسجد الأقصى.

* ١٩٨٢/٤/١١م: الجندي الإسرائيلي (هاري غولدمان) يقتحم المسجد الأقصى، ويطلق النيران على المصلين مما نتج عنه استشهاد مواطنين وجرح أكثر من ستين آخرين، مما أثار سخط المواطنين، وأدى إلى اضطرابات عنيفة في الضفة الغربية وغزة وردود فعل عالمية غاضبة ضد الاحتلال الإسرائيلي.

* ١٠/٠٣/١٩٨٣م: إلقاء القبض على مجموعة يهودية متطرفة ثانية حاولت اقتحام الحرم القدسي الشريف من طرفه الجنوبي بهدف الاستيطان فيه، وكان بعض أفراد المجموعة مدججين بالسلاح ويرتدون الزي العسكري الإسرائيلي، ويحملون معاول وأكياساً مليئة بالمتفجرات.

* ١٢/٠٣/١٩٨٣م: اكتشاف عدة فتحات جديدة تحت الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى، حيث يعتقد أن المتطرفين اليهود قاموا بحفرها أثناء محاولتهم اقتحام الحرم الشريف.

* ٢٩/٠٣/١٩٨٤م: حدوث ثغرة طولها ثلاثة أمتار وعرضها متران وعمقها أكثر من عشرة أمتار أدت إلى انهيار الدرج المؤدي إلى مدخل المجلس الإسلامي الأعلى، وهذه الثغرة تؤدي إلى نفق طويل شقته دائرة الآثار الإسرائيلية بمحاذاة السور الغربي الخارجي للمسجد الأقصى،وتمتد من باب المغاربة حتى باب المجلس الذي يضم مكاتب دائرة الأوقاف العامة.

* ٢١/٠٨/١٩٨٥م: قررت الشرطة الإسرائيلية السماح للمتطرفين اليهود بأداء الطقوس في المسجد الأقصى إذا طلب عشرة منهم ذلك.

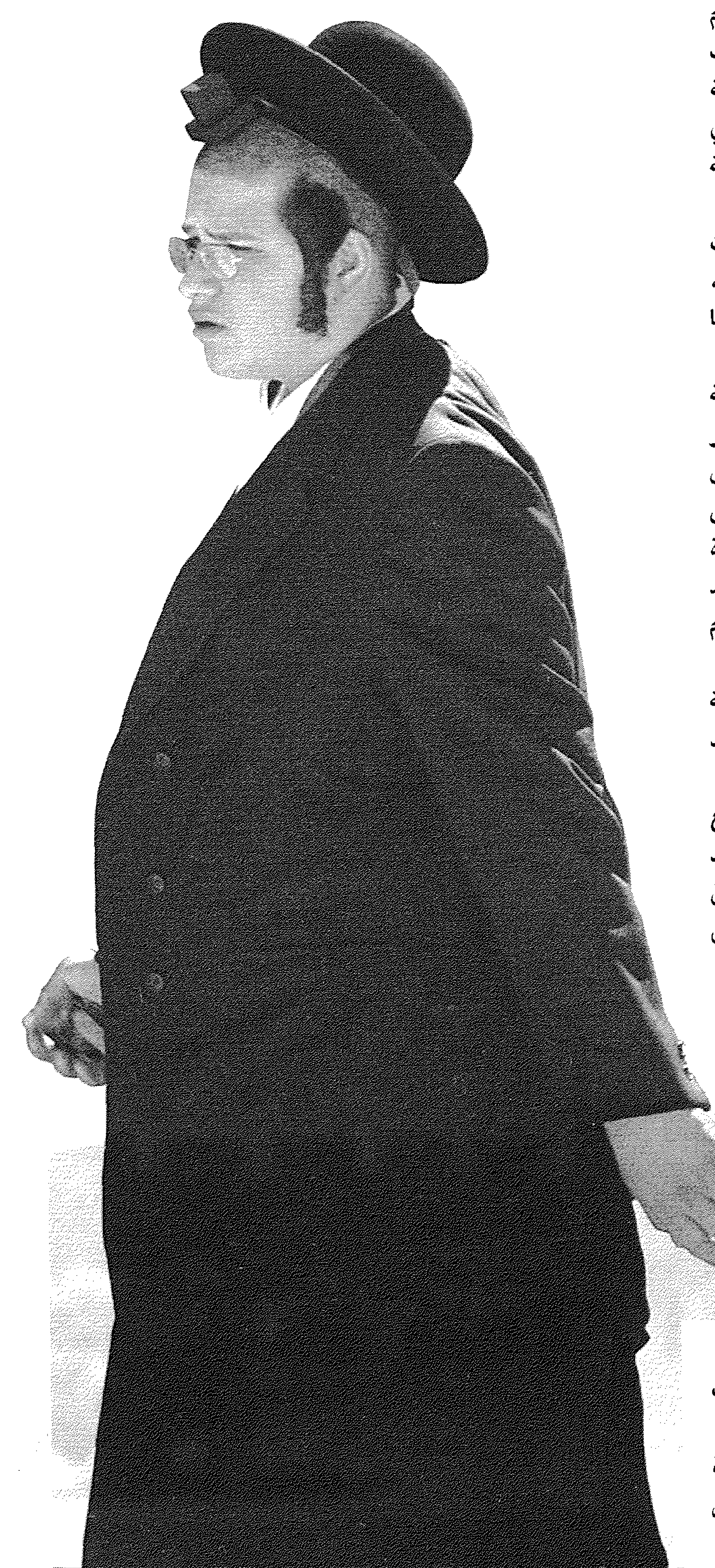
* ٠٤/٠٨/١٩٨٦م: القرار السابق شجع الحاخامات على التمادي..حيث قرروا في أحد اجتماعاتهم السماح لليهود بأداء الطقوس في المسجد الأقصى كما قرروا إنشاء كنيس يهودي في إحدى ساحاته.

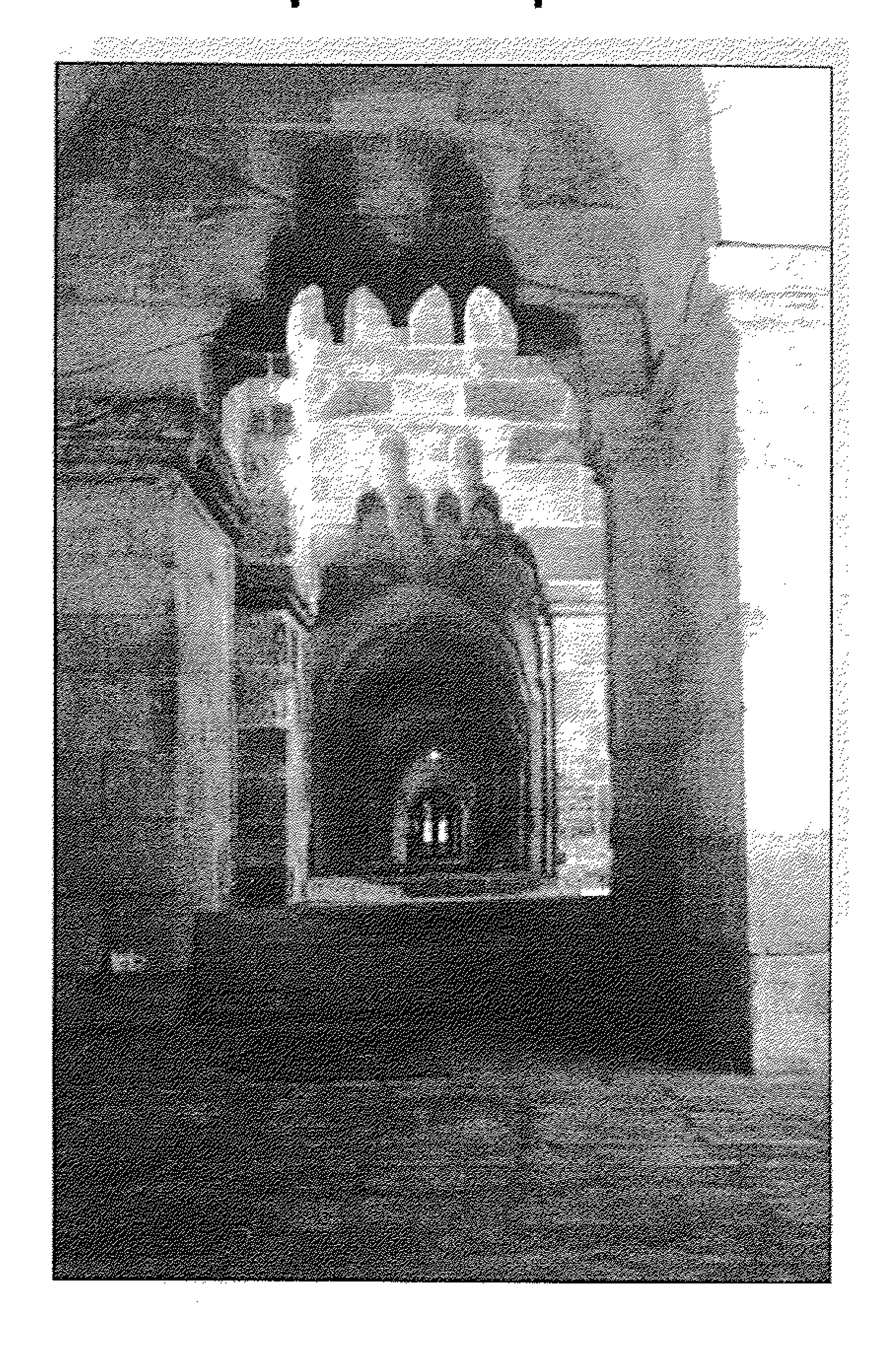
* ٠٢/٠٧/١٩٨٨م: حفرت وزارة الأديان الإسرائيلية نفقاً بالقرب من باب الغوانمة.

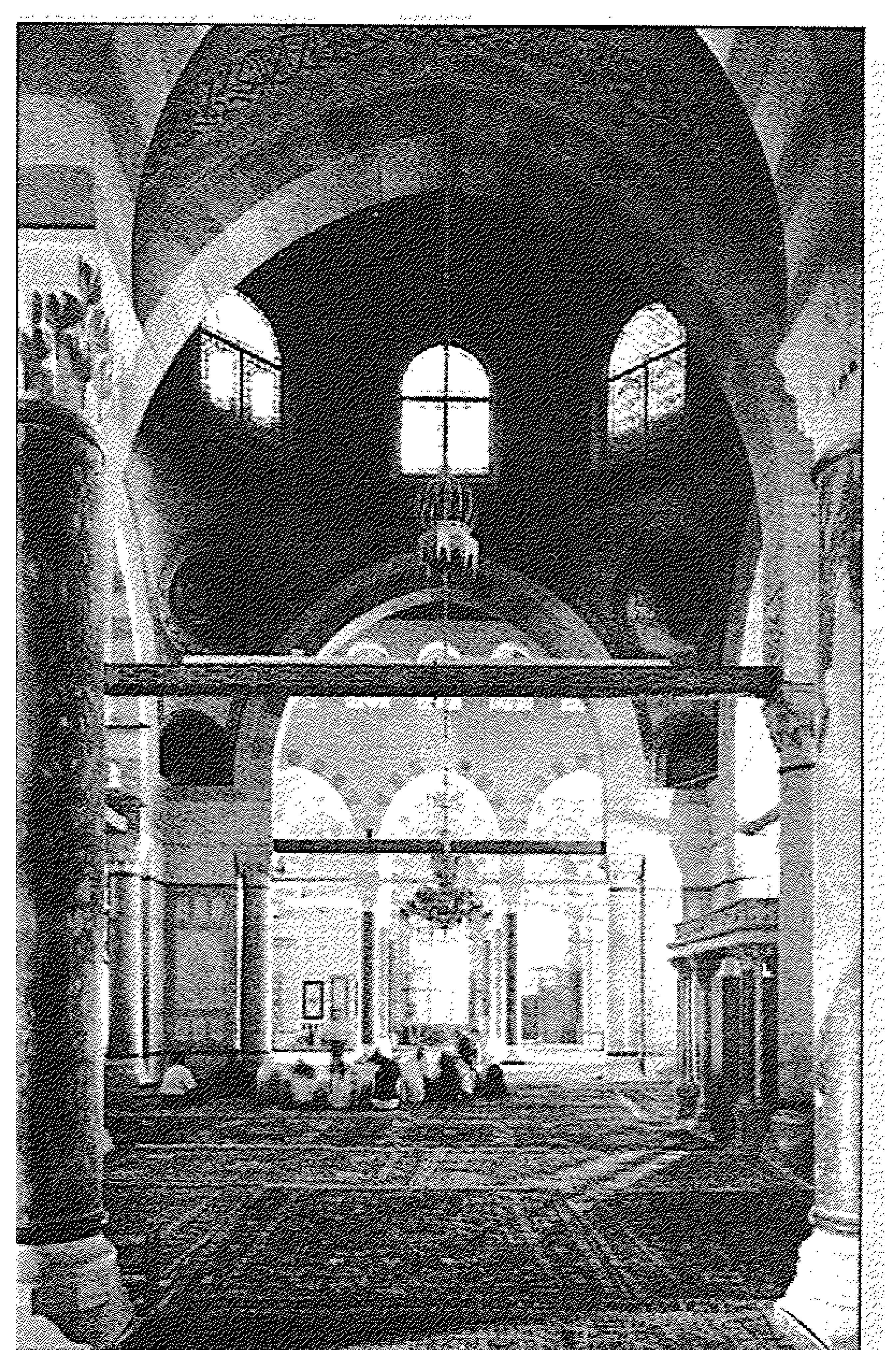
* ٠٨/١٠/١٩٩٠م: ارتكبت القوات الإسرائيلية مجزرة داخل المسجد، مما أدى إلى استشهاد ٢٢ مصليا وإصابة أكثر من ٢٠٠ بجراح.

* ٠٨/١٢/١٩٩٠م: سمحت الشرطة الإسرائيلية لعشرة متطرفين من أعضاء حركة كاخ العنصرية بالدخول إلى ساحة الحرم القدسي حيث قاموا باستعراض استفزازي ورددوا شعارات ضد العرب والمسلمين.

* ٠٧/٠٧/١٩٩٦م: حفريات إسرائيلية خطيرة تؤدي إلى اهتزازات في الحائط الجنوبي الغربي







للمسجد الأقصى.

* ١٩٩٦/٠٩/٢٤م: فتح نفق تحت السور الغربي للأقصى.

* ١٩٩٧/٠١/٢٨م: استمرار الحفريات الإسرائيلية من الجنوب الغربي للمسجد الأقصى باتجاه الغرب بارتفاع ٦-٩ أمتار.

* ١٩٩٧/٠٣/١١م: المستشار القضائي للحكومة الإسرائيلية يصدر قراراً يسمح لليهود بالصلاة في المسجد الأقصى بعد التنسيق مع الشرطة الإسرائيلية.

* ١٩٩٧/٠٤/٠١م: استغلال إسرائيل فرصة حفر مجارٍ من أجل القيام بحفريات جديدة قرب حائط المبكى.

* ١٩٩٧/٠٥/٢٨م: حاخامات المستوطنين يطالبون بتقسيم الحرم القدسي بين المسلمين واليهود.

* ١٩٩٨/٠٨/٢٦م: جنود الاحتلال يقتحمون حرمة المسجد الأقصى المبارك ويعتدون بالضرب المبرح على أحد المواطنين داخل ساحات المسجد، والاحتلال يرفض إبعاد جنوده ويهدد باقتحام الأقصى.

* ١٩٩٩/٠١/١٧م: القاضي السابق (مناحيم الون) يدعو إلى تقسيم الحرم القدسي، ويعتبر أن المسجد الأقصى هو (الهيكل المزعوم).

* ١٩٩٩/٠٤/٠٤م: الشرطة الإسرائيلية تسمح لتسعة عشر متطرفاً يهودياً من جماعة (أمناء جبل الهيكل) بدخول الحرم القدسي الشريف والتجول في ساحاته.

* ١٩٩٩/٠٨/٣١م: الكشف عن مخططات إسرائيلية لهدم القصور الأموية المحاذية للمسجد الأقصى المبارك، وتوسيع حائط البراق (المبكى) بقصد تهويد المكان وتخريب المعالم الإسلامية.

* ١٩٩٩/٠٩/١٣م: الحكومة الإسرائيلية تبحث خططاً لفرض هيمنتها على الحرم القدسي الشريف مثل استبدال حراسه الشرطة بوضع أبواب إلكترونية وسياج مكهرب.

* ١٩٩٩/٠٩/٢٣م: دعوة ما يسمى بـ (أمناء جبل الهيكل) لاقتحام المسجد الأقصى المبارك فيما يسمى بعيد المظلة لدى اليهود يوم الاثنين ١٩٩٩/٩/٢٧م.

* ١٩٩٩/١٠/٠٢م: قيام المستوطنين بمحاولتين



لاقتحام ساحات المسجد الأقصى المبارك وذلك من ناحية سوق القطانين، وقد أفشل الحراس هاتين المحاولتين.

* ١٩٩٩/١٠/٠٣م: قيام رئيس الوزراء الإسرائيلي (ايهود باراك) بافتتاح مدرج في الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى المبارك بهدف قيام المتطرفين اليهود بأداء الطقوس الدينية الخاصة في هذا المكان.

* ١٩٩٩/١٠/٣٠م: كشف النقاب عن بدء العدِّ التنازلي الإسرائيلي لهدم المسجد الأقصى المبارك.

* ١٩٩٩/١١/١٤م: الحاخام الإسرائيلي (اسحق ليفي) زعيم حزب المفدال وزير الإسكان في حكومة (ايهود براك) يدعو إلى تقسيم الحرم القدسي الشريف بين المسلمين واليهود في التسوية النهائية.

* ١٩٩٩/١١/٢٥م: اعتقلت الشرطة الإسرائيلية شرطياً إسرائيلياً سابقاً خطط للقيام بعملية إرهابية في الحرم القدسي الشريف.

* ١٩٩٩/١٢/٠٣م: محاولات إسرائيلية لوقف أعمال الترميم في المسجد الأقصى المبارك والمصلى المرواني.

* ٢٠٠٠/٠١/١١م: ما يسمى بالمحكمة العليا الإسرائيلية تصدر قراراً يعتبر أن المستوى السياسي هو المسؤول عن البت في قضايا المسجد الأقصى المبارك.

* ٢٠٠٠/٠١/٢٥م: الشرطة الإسرائيلية تمنع شاحنتين محملتين بمواد أولية تحتاجها أعمال الترميم الجارية في المسجد الأقصى المبارك من الدخول إلى المسجد الأقصى المبارك.

* ٢٠٠٠/٠٢/١٥م: صحيفة ( كول هعير ) العبرية تكشف النقاب عن منطقة إسرائيلية تقوم وزارة الأديان بحفر نفق جديد تحت ما يسمى ساحة المبكى ( حائط البراق).

* ٢٠٠٠/٩/٢٨ م : قام إريل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي باقتحام ساحات المسجد الأقصى (كان زعيماً للمعارضة اليمينية في ذلك الوقت ) وتحت حراسة ٣٠٠٠ جندي صهيوني في استعراض استفزازي للقوة. وقد اندفع مئات الشباب الفلسطيني إلى ساحات المسجد للدفاع عن الحرم المقدسي وقد أمطرهم الجنود الصهاينة بالرصاص مما أدى إلى استشهاد ثمانية وإصابة ما يزيد عن ٥٠ فلسطينياً في تلك الواقعة التي تمثل بداية أحداث انتفاضة الشعب الفلسطيني التي سميت ( انتفاضة الأقصى ).

* ٢٠٠١/٧/٢٩م: اقتحام قوات الصهاينة لساحات الحرم القدسي لتمكين عدد من أعضاء جماعة أمناء الهيكل الصهيونية من وضع حجر الأساس للهيكل الثالث بناء على تصريح المحكمة العليا الصهيونية لجماعة أمناء جبل الهيكل بذلك. وقد اعتصم داخل الحرم ما يزيد عن ٥٠٠ من المصلين للدفاع عن الحرم، وحدثت مواجهة عنيفة أصيب فيها ٧٠ فلسطينياً بالإضافة إلى ١٨ جنديا صهيونياً و٦ من أعضاء جماعة أمناء جبل الهيكل.

* ٢٠٠٤/١/١م: مؤسسة الأقصى تكشف عن مخطط لبلدية القدس يقضي بحفر نفق جديد يمر تحت ساحة حائط البراق وتحت باب المغاربة ومنه إلى الحائط الجنوبي للحرم القدسي، وسيشكل هذا النفق امتداداً للنفق الأول، الذي تم شقه عام ١٩٩٦ أسفل الحائط الغربي للمسجد الأقصى ليربط بين ساحة (البراق) وطريق الآلام في المدينة المقدسة.

* ٢٠٠٤/٢/٨م: جمعية (العاد) الاستيطانية تستولي بالقوة على ١٦ منزلاً في قرية سلوان، المحاذية للمسجد الأقصى المبارك، في حملة لتهويد محيط المسجد. ومن جانب آخر قامت مجموعة من المتطرفين اليهود بتحطيم أعمدة رخامية أثرية بالقرب من المتحف الإسلامي داخل ساحة المسجد الأقصى، يعود تاريخها إلى العصور الإسلامية الأولى.

* ٢٠٠٤/٢/٩م: صحيفة (يديعوت أحرونوت) العبرية تتحدث عن تهديدات من قبل الجماعات اليهودية المتطرفة بتفجير المسجد الأقصى رداً على ما يسمى بـ(خطة شارون) للانسحاب أحادي الجانب من غزة.

* ٢٠٠٤/٢/١٥م: فجراً، انهيار جزء بطول ١٠٠ متر من الطريق المؤدية إلى باب المغاربة، أحد الأبواب الرئيسة للمسجد الأقصى، بسبب أعمال الحفريات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الصهيوني وعلى خلفية قيام تلك السلطات بإزالة الأتربة المتساقطة وجزء من الجدار دون مراعاة احتوائها لآثار إسلامية.

* ٢٠٠٤/٢/٢٧م: قوات الاحتلال تقتحم المسجد الأقصى خلال صلاة الجمعة، ما أدى إلى إصابة ٢٤ شخصاً بينهم نساء، إصاباتهم بين خفيفة ومتوسطة.

* ٢٠٠٤/٣/٢م: المنظمة المدعوة (أمناء جبل الهيكل) المتطرفة، تقدم التماساً إلى المحكمة العليا الصهيونية من أجل استصدار قرار يمنع أعمال ترميم تقوم بها دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس حسب ادعائها.

* ٢٠٠٤/٣/١٨م: سلطة الحدائق الصهيونية تهدم جزءاً من سور مقبرة الرحمة المحاذية للمسجد الأقصى، والتي تحوي رفات قبور للصحابة والتابعين والعلماء المشهورين عبر التاريخ.

* ٢٠٠٤/٤/١م: رفع تقرير سري لرئيس الوزراء الصهيوني آرئيل شارون، يوصي بإغلاق المصلى المرواني أمام المصلين المسلمين في المسجد الأقصى المبارك.

* ٢٠٠٤/٤/٢م: خلال ثلاثة أسابيع متوالية تمنع شرطة الاحتلال من هم دون الخامسة والأربعين من دخول المسجد الأقصى لأداء صلاة الجمعة، وتتولى تحويل مدينة القدس ومحيط المسجد الأقصى إلى ما يشبه ثكنة عسكرية.

* ٢٠٠٤/٤/٢م: قوات الاحتلال تقتحم المسجد الأقصى خلال صلاة الجمعة، وتصيب ٤٥ مصلياً وتعتقل ١٥ آخرين.

* ٢٠٠٤/٤/٥م: رجال مخابرات ومفكرون صهاينة يؤكدون في تقرير صحفي تصاعد وتيرة التهديدات بنسف المسجد الأقصى في ظل خطة شارون المسماة (فك الارتباط).

* ٢٠٠٤/٤/٨ على امتداد يومين يتولى مستوطنون اقتحام المسجد الأقصى وتأدية شعائر دينية مشبوهة دون رادع.

* ٢٠٠٤/٦/٢م: بلدية القدس الاحتلالية تصدر أمر منع لأعمال صيانة في المقبرة اليوسفية الملاصقة لأسوار القدس المحتلة.

* ٢٠٠٤/٦/٣م: مخطط حكومي صهيوني يسعى لإقامة حي استيطاني يهودي جديد قرب باب الساهرة داخل أسوار مدينة القدس.

* ٢٠٠٤/٦/٤م: شرطة الاحتلال تمنع ولمرات متكررة من هم دون سن الخامسة والأربعين من دخول المسجد الأقصى لأداء صلاة فجر الجمعة في المسجد الأقصى.

* ٢٠٠٤/٦/٢٢م: سلطات الاحتلال تنقل سراً نقطة مراقبة شرطية وكاميرا إلى داخل الحرم

القدسي، بمحاذاة المصلى المرواني، بعدما كانت سابقاً موجودة خارج سور الحرم.

* ٢٠٠٤/٦/٣٠م: شرطة الاحتلال تقتحم المسجد الأقصى وتمنع عمليات ترميم عادية في المصلى المرواني.

* ٢٠٠٤/٦/٣م: حمّلت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، سلطات الاحتلال وأذرعها المختلفة، كامل المسؤولية لما قد يصيب المصلى المرواني والمسجد الأقصى من أذى أو خطر، جراء منعها المتواصل لأعمال ترميم وصيانة ضرورية ولازمة في المسجد وباحاته ومصلياته وجدرانه، وأبدت مؤسسة الأقصى تخوفها الشديد من احتمال وجود مخططات مبيتة تستهدف المسجد الأقصى وبالذات المصلى المرواني.

* ٢٠٠٤/٧/٤م: أيادٍ مجهولة تحاول إحراق مسجد البراق داخل المسجد الأقصى.

٢٠٠٤/٧/٦م: يهود متطرفون يقتحمون المسجد الأقصى ويعتدون على أحد حراسه.

* ٢٠٠٤/٧/٧م: مسؤول جهاز شرطة القدس الاحتلالي ميكي ليفي يقتحم المصلي المرواني متخفياً، وشرطة الاحتلال تجري قياسات مسحية مريبة داخل المسجد الأقصى.

* ٢٠٠٤/٧/١٨م: أربعة آلاف مستوطن يشاركون في مسيرة استفزازية حول أسوار المسجد الأقصى وأبوابه، تتضمن تحريضاً سافراً ضد المسجد.

* ٢٠٠٤/٧/١٩م: شرطة الاحتلال تتعمد إدخال السياح والأجانب واليهود إلى المسجد الأقصى وهم بلباس فاضح ينتهك حرمة المسجد.

* ٢٠٠٤/٧/٢٥م: صحيفة (هآرتس) العبرية تتحدث عن إمكانية إطلاق طائرة مفخخة أو انتحاري يهودي لتفجير المسجد الأقصى، وتورد احتمالات عن إمكانية اغتيال شخصية بارزة من رجالات الأوقاف الإسلامية في القدس.

* ٢٠٠٤/٧/٢٦م: يهودا عتصيون زعيم ما يسمى حركة (أمناء جبل هيكل) يدعو إلى هدم الحرم القدسي وإزالته من الوجود.

* ٢٠٠٤/٧/٢٧م: في ذكرى ما يسمى (خراب الهيكل)؛ جماعات يهودية تحاول اقتحام المسجد الأقصى والآلاف من عناصرها يحتشدون في ساحة البراق.

* ٢٠٠٤/٨/٣م: جهاز المخابرات الصهيوني يقول: «إن ضباطاً متدينين في الجيش قد ينقلون صواريخ (لاو) لجهات يهودية متطرفة لنسف الأقصى».

* ٢٠٠٤/٨/٧م: مستوطن يهودي يحاول اقتحام المسجد الأقصى خلال مهرجان (طفل الأقصى والمقدسات الثالث).

* ٢٠٠٤/٨/١٩م: على امتداد ثلاثة أسابيع يتم عرض مجسم جديد للهيكل الثالث المزعوم داخل أروقة الكنيست الصهيوني.

* ٢٠٠٤/٩/٢١م: قام ما يزيد عن ٤٠٠ طالب يهودي باقتحام جماعي للمسجد الأقصى المبارك، وتجمعوا قبالة باب المغاربة برفقة مرشدين من المستوطنين اليهود، وحاولت مجموعة منهم أداء طقوس دينية مشبوهة، ما أدى إلى نشوب مشادات كلامية بين المستوطنين ومندوبين عن دائرة الأوقاف.

* ٢٠٠٤/٩/٢٦م: بحجة إمكانية حدوث انهيار في المصلى المرواني، رئيس الوزراء الصهيوني آرئيل شارون يعطي تعليمات مغلّفة لمنع دخول المصلين إلى المصلى المرواني والمسجد الأقصى.

* ٢٠٠٤/٩/٢٨م: بحسب صحيفة (هآرتس) العبرية فإنّ جمعية (بناة الهيكل)، وهي جمعية مقربة من حزب الليكود الصهيوني الحاكم، تعرض مخططاً جديداً لبناء الهيكل المزعوم ويتلخص ببناء منصة أو سقف واسع على أرض ساحة البراق، يرتكز على عشرة أعمدة مرتفعة كرمز للوصايا العشر، وفوق هذه المنصة العالية يُبنى (الهيكل الثالث)، ولكي يأخذ هذا الهيكل المذكور ''قدسية'' فإنّ معدي المخطط الجديد يقترحون حفر نفق يمتد من وسط المنصة المذكورة إلى داخل الحرم القدسي قريباً من قبة الصخرة.

* ٢٠٠٤/١٠/٣م: قام أفراد من المخابرات الصهيونية يلبسون الزي المدني باقتحام المصلى المرواني قبل صلاة الظهر، وحاول الشيخ محمد حسين، مدير وخطيب المسجد الأقصى، والعديد من المصلين المتواجدين في المكان منعهم من ذلك، إلاّ أن رجال المخابرات أصروا على الدخول إلى المصلى المرواني، وهذا ما حدث بالفعل.

* ٢٠٠٤/١٠/١٢م: مصادر صهيونية تتحدث عن اتفاق معين يقضي بإغلاق جزء من المصلى المرواني.

* ٢٠٠٤/١٠/١٣م: صحيفة (معاريف) العبرية تقول إنّ سلطات الاحتلال قررت نهائياً السماح فقط لخمسين ألف مسلم بالدخول إلى المسجد الأقصى أيام الجمعة، ومصادر أمنية صهيونية وُصفت بأنها رفيعة المستوى تصرح بأن تحديد عدد المصلين سيُطبق مهما تكون النتائج.

* ٢٠٠٤/١٠/١٤م: بعد إجراء مشاورات، يتراجع رئيس الوزراء الصهيوني آرئيل شارون عن تحديد عدد المصلين في المسجد الأقصى في يوم الجمعة الأول من شهر رمضان، بعد حملة الترهيب والتخويف الواسعة من انهيار المصلى المرواني.

* ٢٠٠٤/١٢/١٣م: صحيفة (يديعوت أحرونوت) العبرية تفيد بأنّ بلدية القدس الاحتلالية قررت هدم الجدار والطريق المؤدي إلى باب المغاربة بشكل كامل، وبناء جسر جديد يتسنى من خلاله لليهود وشرطة الاحتلال الدخول إلى المسجد الأقصى واقتحامه.

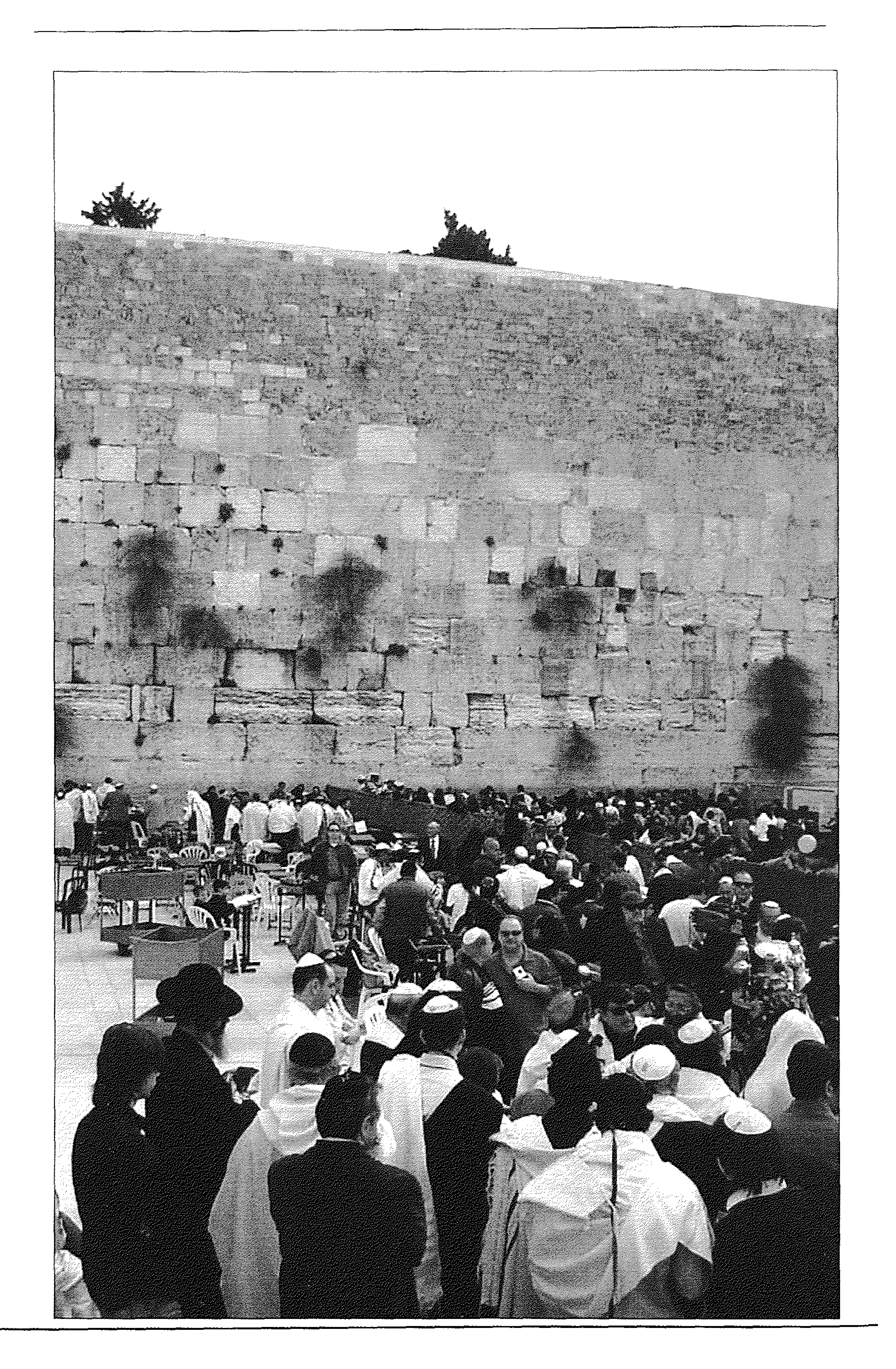
* ٢٠٠٤/١٢/١٩م: الحكومة الصهيونية ترصد مبلغ خمسة ملايين شيكل لهدم جدار باب المغاربة وبناء جسر بديل، وتوكل التنفيذ لمكتب رئيس الحكومة مباشرة.

* ٢٠٠٤/١٢/٣١م: جهاز المخابرات الصهيوني الداخلي (الشاباك) يشير إلى أنّ التهديد بنسف المسجد الأقصى قد وصل إلى درجة ٧ حسب (مقياس ديختر)، وديختر هو رئيس جهاز المخابرات المذكور، وهي درجة أعلى من درجة التهديد باغتيال رئيس الحكومة التي تبلغ ٦ وفق (مقياس ديختر).

* ٢٠٠٤/١٢/٣١م: في تقرير موسع لصحيفة (هآرتس) العبرية تقول أجهزة الأمن الصهيونية، إن خطة تدمير الأقصى من قبل المتطرفين اليهود قد وصلت إلى وضع التنفيذ سنة ٢٠٠٥م.

* ٢٠٠٥/١/٥م: المنظمة اليهودية المسماة (نساء من أجل الهيكل) تعمل على رفع مستوى الاهتمام النسائي ببناء (الهيكل الثالث) المزعوم، وتقوم بجمع الحلي والذهب لصياغة أدوات معبد الهيكل الثالث المزعوم.

* ٢٠٠٥/٣/٣م: افتتاح مصلى يهودي جديد جنوبي حائط البراق لليهود المحافظين، يكرس السيطرة على المسجد الأقصى.



* ٢٠٠٥/٣/٢٤م: مشبوهون متطرفون يضعون صليباً على باب الصخرة، يسكبون الخمر الأحمر ويؤدّون شعائر مستهجنة.

* ٢٠٠٥/٣/٢٨م: يهوديان (مخموران) يحاولان اقتحام الأقصى وبحوزة أحدهما (خنجر)، وآخرون يعتدون على مقدسيين ورجال دين أرمن.

* ٢٠٠٥/٤/١م: جهات صهيونية تعلن عن غضبها من نحت اسم الجلالة "الله" على الجدار الشرقي للمسجد الأقصى، مدعية أن مجهولين قاموا بنحت اسم الجلالة على الجدار الشرقي في الحرم القدسي.

* ٢٠٠٥/٤/٢م: صحيفة (يديعوت أحرونوت) العبرية تؤكد أن الأجهزة الأمنية الصهيونية ناقشت في الأشهر الأخيرة تصورات مختلفة لإمكانية المساس بالحرم القدسي، كاحتمال قيام المتطرفين بقصف الحرم بقذائف هاون من جهة جبل الزيتون، أو قيام طيار انتحاري بالهبوط بطائرة شراعية في الحرم وتفجير نفسه، أو زرع عبوات ناسفة على أحد مداخل الحرم. كما نوقشت إمكانية إطلاق النار على المصلين أو رشقهم بقنابل أو إرسال طائرات صغيرة مفخخة لتفجيرها فوق المساجد، كما لم تستبعد الشرطة قيام المتطرفين بإطلاق النار على المصلين من أماكن تشرف على الحرم ومداخله، ويسيطر عليها اليهود.

* ٢٠٠٥/٤/٤م: وزارة الأمن الداخلي الصهيونية وشرطة الاحتلال تقرران زرع مجسات إلكترونية لرصد التحركات حول الحرم القدسي وداخل باحاته.

* ٢٠٠٥/٤/٤م: أعضاء الجماعات اليهودية المتطرفة يواصلون جهودهم واستعداداتهم لاقتحام المسجد الأقصى يوم ٢٠٠٥/٤/١٠، وتوزيع المنشورات والإعلانات بهذا الخصوص وتحث مؤيديها على المشاركة باقتحام الأقصى.

* ٢٠٠٥/٤/٦م: منظمة (ريفافاه) المتطرفة تكثّف نشاطها الإعلامي والميداني، وتضع اللمسات الأخيرة لاقتحام المسجد الأقصى يوم ٢٠٠٥/٤/١٠، وتقوم بتوزيع عشرات الإعلانات الملونة الداعية إلى اقتحام المسجد الأقصى وتحديد أوقات السفر والاقتحام، وهي الإعلانات التي تحمل شروحاً كاذبة ومزورة عن المسجد الأقصى، وتشير إلى مكان الهيكل الثالث المزعوم مكان قبة الصخرة المشرفة.

* ٢٠٠٥/٤/٧م: المستوطنون ينظمون إحياء ما يسمى (الدعاء الخاص) في ساحات البراق، للتضامن ومنع خطة الانسحاب أحادي الجانب من غزة.

* ٢٠٠٥/٤/٧م: مئات من اليهود المتطرفين يتجمعون في ساحة البراق، في احتفالات راقصة وحركات بهلوانية، وينظمون بعدها ما يطلقون عليها (مسيرة الأسوار) ويتجولون بمئاتهم حول أسوار المسجد الأقصى وبمحاذاة أبواب الحرم القدسي.

* ٢٠٠٥/٤/٨م: شرطة الاحتلال تحول مدينة القدس ومحيط المسجد الأقصى إلى ثكنة عسكرية، وتمنع من هم من دون الأربعين من دخول المسجد الأقصى لأداء صلاة الجمعة.

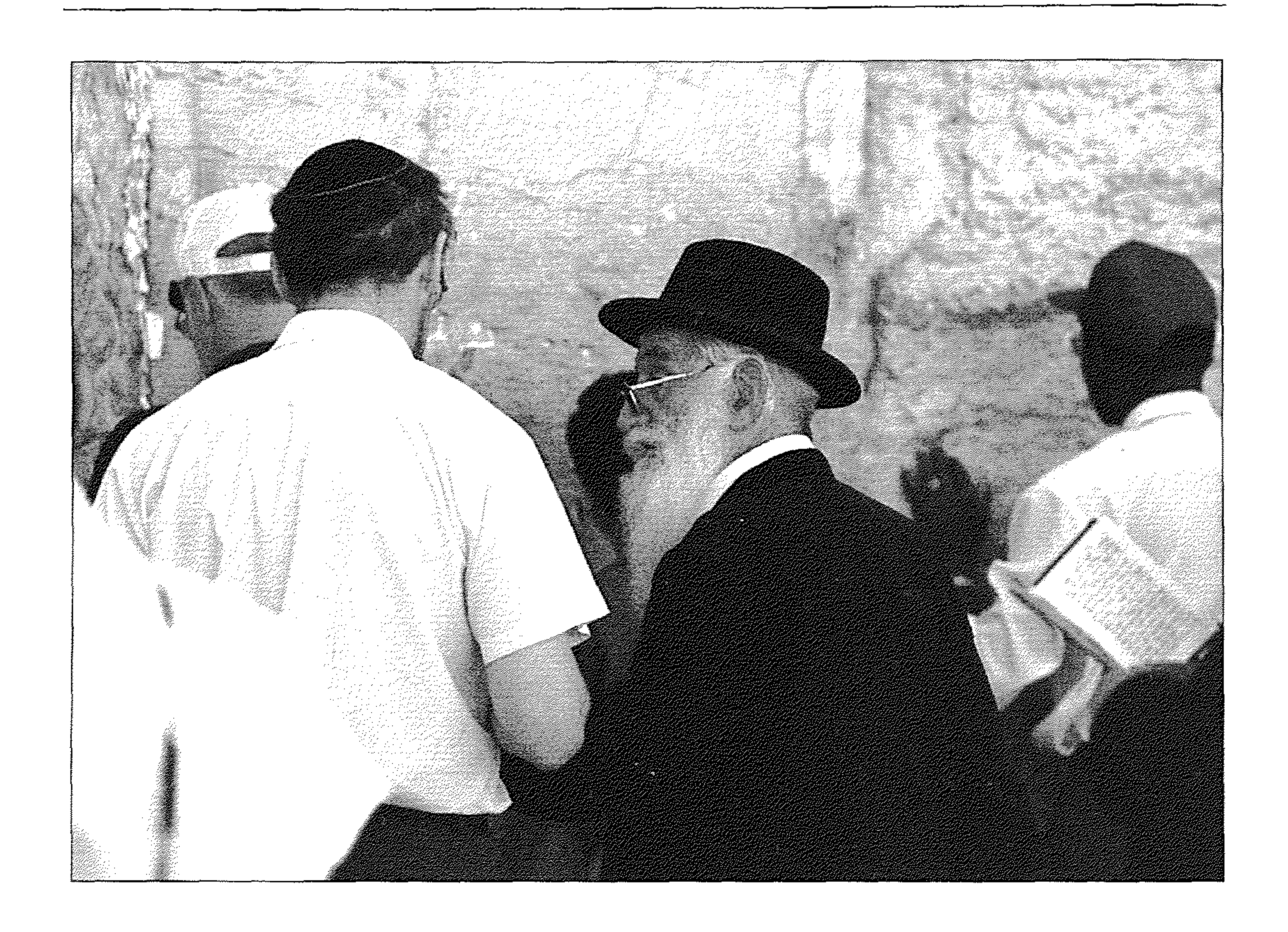
* ٢٠٠٥/٤/١٠م: شارون يحمل مخططاً لتقسيم المسجد الأقصى خلال زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية ولقائه الرئيس بوش، وفق ما أشارت بعض المصادر.

* ٢٠٠٥/٤/١٠م: فرض إجراءات صهيونية غير مسبوقة في القدس ومحيط المسجد الأقصى المبارك، فقد زجت سلطات الاحتلال بثلاثة آلاف من أفراد شرطتها وقواتها الخاصة وأفراد ما يسمى بحرس الحدود وفرق الخيالة الشرطية، وأغلقت الشرطة مداخل ومخارج حي سلوان والثوري جنوب المسجد الأقصى، ودققت في بطاقات كل من توجه نحو المسجد الأقصى، ومنعت دخول من هم دون سن الأربعين من دخول المسجد، بحجة منع مجموعات يهودية من اقتحامه.

* ٢٠٠٥/٤/١٠م: ثلاثون ألفاً من فلسطينيي الأراضي المحتلة سنة ١٩٤٨م ومن المقدسيين، يلبّون نداء المرابطة في ساحاته، ويفشلون مخططات منظمة (ريفافاه) اقتحام المسجد الأقصى.

* ٢٠٠٥/٤/١٠م: رئيس الدولة العبرية موشيه قصاب يدعو إلى تقسيم المسجد الأقصى بين اليهود والمسلمين كما هو الحال في المسجد الإبراهيمي في الخليل.

* ٢٠٠٥/٤/١٤م: شركة صهيونية حكومية تباشر ببناء جسر جديد على أرض ساحة البراق،



وكشف النقاب عن مخطط لهدم طريق باب المغاربة والآثار الإسلامية فيه.

* ١٥/٤/٢٠٠٥م: في تصريحات للمتطرف دافيد عبري، رئيس منظمة ريفافاه، قال: «إننا نقوم مجدداً بتنظيم الآلاف لدخول الحرم القدسي، هادفين إلى تخصيص مكان لنا للصلاة داخل الحرم القدسي».

* ٢٠/٤/٢٠٠٥م: مجموعات يهودية وسياح أجانب يتجولون في ساحات المسجد الأقصى بلباس فاضح ويقومون بممارسات منتهكة لحرمة المسجد.

* ٢٧/٤/٢٠٠٥م: مجموعة كبيرة من أفراد شرطة الاحتلال، بينهم ضباط، اقتحموا المسجد الأقصى وقاموا بجولة في منطقة باب الغوانمة ومنطقة السور الشمالي والشمال الغربي للمسجد الأقصى، تهدف إلى تحديد الأماكن التي سيتم فيها تركيب كاميرات مراقبة جديدة تطل وتراقب مجريات الأمور داخل المسجد الأقصى من قبل شرطة الاحتلال، بالإضافة إلى تحديد الأماكن التي سيتم فيها تركيب سياج حديدي في منطقة السور الشمالي والشمال الغربي من المسجد الأقصى.

* ٢٨/٤/٢٠٠٥م: أسبوع من الاقتحامات المتكررة للمسجد الأقصى من قبل اليهود المتطرفين.

* ٢٨/٤/٢٠٠٥م: شرطة الاحتلال تعتقل المتطرفين دافيد عبري ويسرائيل كوهين من زعماء منظمة (ريفافاه) المتطرفة، (تحسباً) من قيامهم بالاعتداء على الغير، ومن ثم حققت معهم (بشبهة التعرض إلى سلامة الجمهور) بمحاذاة المسجد الأقصى.

* ٢٨/٤/٢٠٠٥م: المئات من اليهود المتطرفين اقتحموا المسجد الأقصى المبارك بمجموعات تتألف من ٥٠ شخصاً، المجموعة تلو الأخرى.■


المراجع :

بتصرف عن المواقع التالية:

1)www.qudsway.com/akhbar/arshiv/2005/5/b/report-05&19788.htm
2)www.palestine-info.net/arabic/alquds/tahweed/etedaat.htm
3)www.alaqsa.de

# قبة الصخرة

## روعة الهندسة المعمارية





■ د. خالد السلطاني*

**يعدُّ مبنى (قبة الصخرة) من أوائل المباني الإسلامية التي أنشئت في العهد الأموي في مدينة (القدس) التي تم فتحها إبان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام (٦٣٨م). كما يعدُّ المبنى أيضاً، من المباني المعمارية النادرة التي حافظت على شكلها الأصلي طيلة قرون عديدة منذ إنشائها في نهاية القرن السابع الميلادي وحتى الوقت الحاضر، وهو أمر نادر الحدوث بين المباني الأثرية المعمارية الأخرى في العالم.**

تم تشييد مبنى قبة الصخرة في وسط منطقة الحرم الشريف الواسعة بالقدس. التي هي عبارة عن مرتفع أرضي ذات شكل هندسي يقترب إلى المستطيل، تحيط بها الأسوار. ويشتمل على منشآت وأروقة وحدائق وساحات. وتقدر أطوال أضلاع منطقة الحرم الشريف بـ: ٤٦٢ متراً طول الضلع الشرقي، وطول الضلع الغربي ٤٩٢ مترا، أما طولا الضلعين الشمالي والجنوبي فهما ٣١٠ أمتار و ٢٨١ متراً على التوالي. في حين تبلغ المساحة الإجمالية لمنطقة الحرم كلها ٣٤ فداناً.

وبالإضافة إلى تشييد قبة الصخرة في منطقة الحرم، فقد تم بناء منشآت عديدة ذات وظائف مختلفة يرجع تاريخها إلى عهود إسلامية مختلفة: كالمسجد الأقصى، ذي الشهرة المعمارية الواسعة، ويقع في أقصى الجهة الجنوبية من الحرم، الذي جدد بناؤه في العهد الأموي. وثمة مبنيان مجاوران لقبة الصخرة يعود تاريخ بنائهما إلى الفترة الأموية أيضاً، وهما قبتا المعراج والسلسلة، فضلاً عن وجود منشآت إسلامية عديدة مثل المدارس والأسبلة والقباب والزوايا مبثوثة في فضاء الحرم القدسي الشريف يعود تاريخها إلى حقب إسلامية مختلفة، كما أسلفنا. وللقدس مكانة خاصة عند المسلمين فهي أولى القبلتين ، كما أن مسجدها يعتبر ثالث الحرمين في الإسلام، وتعد الصخرة المقدسة التي تم حولها إنشاء القبة، والتي سميت باسمها (قبة الصخرة) تعد المكان الذي أسري إليها بالرسول عليه الصلاة والسلام.

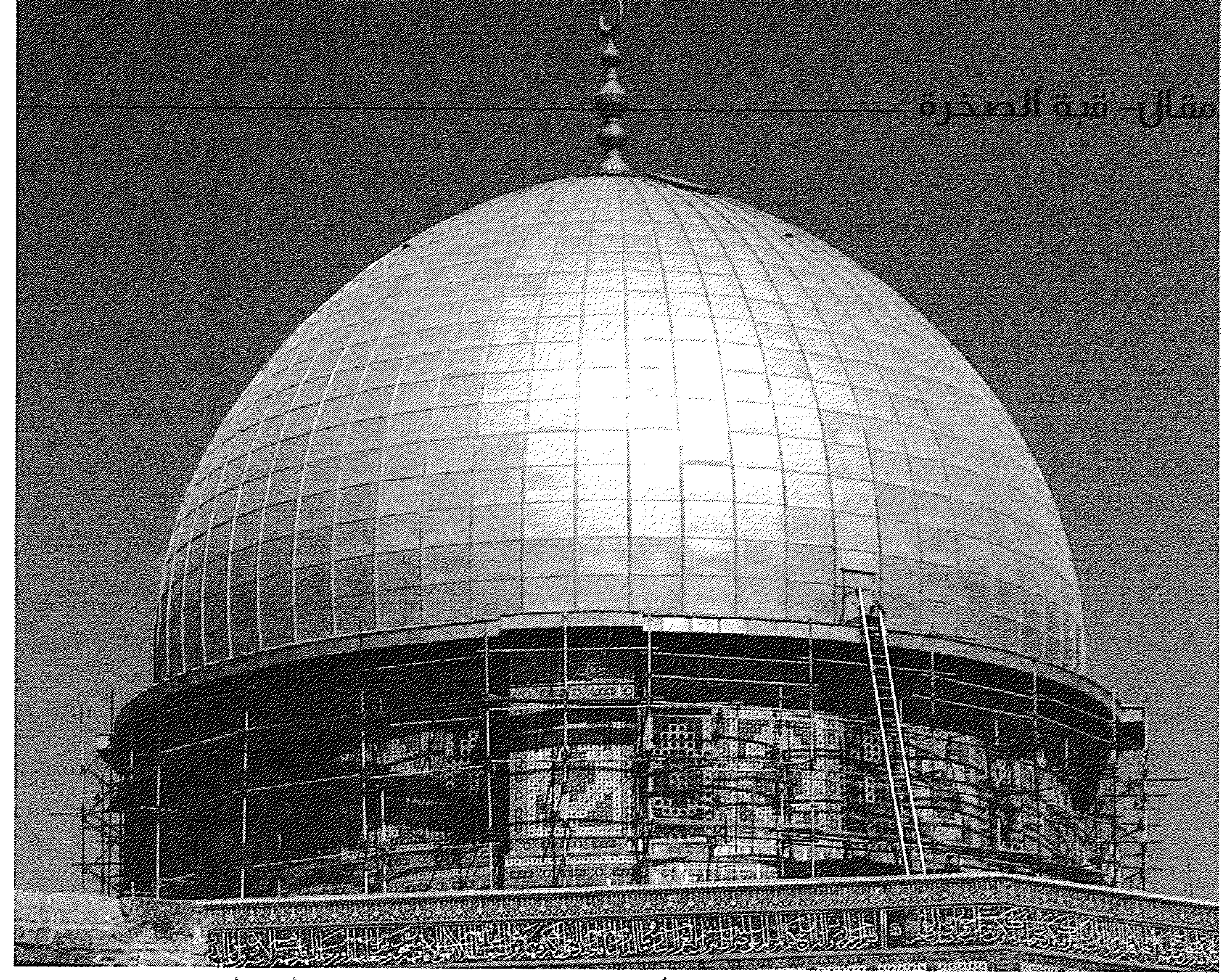
تعود فترة إنشاء قبة الصخرة إلى عام ٧٢ هجرية، (٦٩٢م)، عندما أمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان: خامس خلفاء بني أمية (٦٨٥-٧٠٥م) بإنشائها.

ويؤكد عبد القادر الريحاوي بأن: صخرة المعراج هي (المنطلق) والهدف الأساس، ذلك أن المقصود من بنائها هو: «... العناية بها (أي بالصخرة) وإحاطتها بالإطار المعماري اللائق، فكانت القبة هي أليق شيء وأجمله، ومن القبة التي تضم الصخرة وتظللها، انتقلت الفكرة نحو التكامل».

## نموذج فريد

وأياً كان، فإن عمارة مبنى قبة الصخرة تمثل نموذجاً فريداً ومتميزاً في أسلوب ونوعية الممارسة التصميمية

* مدرسة العمارة / الأكاديمية الملكية الدانمركية للفنون- كوبنهاغن- الدانمرك



يبلغ ارتفاع القبة خمسة وثلاثين متراً بالاضافة لارتفاع الهلال الذي يبلغ أربعة أمتار

في العهد الأموي. ومع أن كثيراً من أعمال الترميم والحفاظ والتجديد التي أجريت على مكونات المبنى المعمارية في أوقات زمنية مختلفة (كالعهود العباسية، والأيوبية، والمملوكية، والعثمانية، وأخيراً في العهد الهاشمي) والتي قد أشار إليها المؤرخون والرحالة المسلمون مثل: العمري، والمقدسي، والمهلبي، وابن بطوطة وغيرهم في كثير من كتاباتهم، مع ذلك فإن الشكل العام ظلّ محافظاً على هيئته الأولى منذ إنشاء المبنى في نهاية القرن السابع الميلادي، ذلك لأن أعمال التجديد وكذلك أعمال الحفاظ والترميم التي كانت تجري باستمرار اعتمدت بالأساس، على تغيير القطع التالفة والمنهارة وتبديلها، مع المحافظة قدر الإمكان على نوعية وتشكيلة العناصر المرممة جراء تلفها بسبب الكوارث الطبيعية والحرائق وكذلك أعمال التهديم والتخريب إبان حوادث الفتن والحروب التي كان موقع قبة الصخرة مسرحاً لها وشاهداً عليها طيلة امتداد تاريخها السحيق. ولا يزال المبنى حتى الوقت الحاضر، محتفظاً بوضوح حضوره المعماري وجلاء هيئته المميزة في خط سماء (Silhouette) فضاء المدينة المقدسة رغم قساوة ضروب التشويهات التي طالت المبنى ومجاوراته.

## القبة مثمنة الأضلاع

يتكون البناء الهيئاتي (Form) العام لمبنى قبة الصخرة من شكل ثماني الأضلاع، مقبب، بقبة مركزية ضخمة، يضم فضاؤها الصخرة المكرمة، ويصل ارتفاع القبة إلى خمسة وثلاثين متراً، عدا ارتفاع الهلال عند رأس القبة الذي يرتفع إلى أربعة أمتار أخرى. ويتألف المسقط الأفقي للمبنى، من جدران خارجية بصيغة مضلع ثماني الشكل، يليها صف من الأعمدة والدعامات موزعة في محيط شكل ثماني الأضلاع أيضا، يعقب ذلك حلقة دائرية من المساند الضخمة والأعمدة تحيط بالصخرة التي سقفت بوساطة القبة المركزية العالية المشار إليها سابقاً. ويبلغ طول ضلع كل جدار من الشكل الثماني الخارجي نحو عشرين متراً، ويبلغ طول ضلع المثمن الداخلي خمسة عشر متراً في حين يقدر قطر الحلقة الدائرية المركزية بعشرين متراً. ويشكل المثمنان حول القبة رواقين داخلي وعرضه عشرة أمتار، وخارجي وعرضه أربعة أمتار ونصف. ويصل ارتفاع الجدار

الخارجي للمبنى إلى اثني عشر متراً، بضمنها الستائر (Parapet).

يتشكل فضاء المبنى الداخلي المركزي من أربع دعائم حجرية مستطيلة المقطع تتوزع بينها أربع مجاميع من الأعمدة الرخامية، كل مجموعة تتألف من ثلاثة أعمدة بين دعامتين، ويشكل موضع الدعائم والأعمدة محيط دائرة مركزية، توجد في وسطها الصخرة الكريمة التي يقدر أبعادها بثمانية عشر متراً طولاً وثلاثة عشر متراً عرضا، وترتفع بمتر ونصف عما حولها. «ثمة مغارة تحت الصخرة، ينزل إليها بدرج، ويقدر ارتفاعها بنحو مترين ومساحتها ٤,٥ متراً مربعاً وفي داخل المغارة محراب أصم، أرجعه كريزويل إلى عهد عبد الملك بن مروان، فيما يرى آخرون بأنه من العهد العباسي. وهذا المحراب المصنوع من الرخام غنيّ بالتفاصيل التزيينية المنحوتة ذات الأشكال النباتية والخطية».

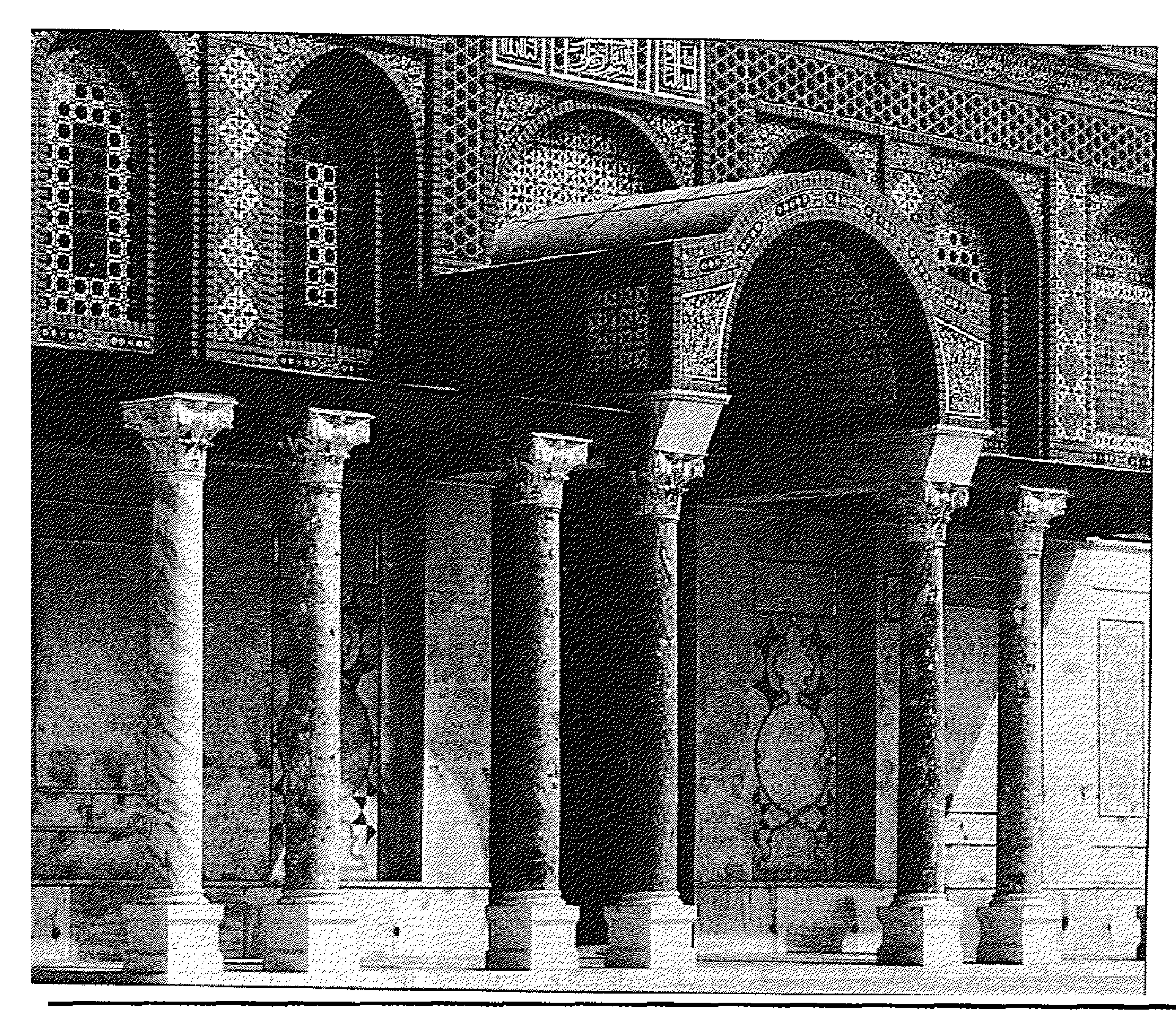
تؤلف الأعمدة والدعائم رواقاً من العقود نصف الدائرية تحمل رقبة القبة التي تسند بدورها الهيكل التركيبي للقبة المركزية. ومن أجل إضاءة الفضاء المركزي فقد تم فتح ست عشرة نافذة علوية في رقبة القبة. ويوجد صف وسطي من الأعمدة والدعائم يقع بين الحلقة الدائرية وجدران المثمن الخارجية ويؤلف شكلاً ثماني الأضلاع أيضاً، وهذا الصف يحمل رواقاً من أربعة وعشرين عقداً ترفع السقف المستوي من الداخل والمائل قليلاً من الخارج، والواصل بين رقبة القبة المركزية والجدران الخارجية لمثمن قبة الصخرة.

## إثراء الطرح

تتشكل عناصر الواجهات الخارجية من معالجات إيقاعية مكررة في كل ضلع من أضلاع شكل المثمن الخارجي للمبنى، الذي يحتوي على سبعة تجويفات (Niches) قليلة العمق تنتهي في أعلاها بنوافذ، ما عدا التجويفين الآخرين في كل ضلع / تثمينة- فإنها بدون نوافذ. ووقعت أبواب المبنى الرئيسة وعددها أربعة في وسط هذه التثمينات، مواجهة إلى الجهات الأصلية. ويقدر أبعاد هذه الأبواب بـ ٢,٦٠ م عرضاً و ٤,٣٠ م طولا، يعلو سقوفها عقود نصف دائرية. ويتقدم الأبواب سقوف عرضها ٢,٥م مؤلفة من قبوة نصف اسطوانية محمولة على أعمدة تمثل عمارة قبة الصخرة نوعاً من الفعالية التصميمية ذات القيم الجمالية الخاصة المتفردة التي لم نر نماذج كثيرة لها في تطبيقات النشاط المعماري، ضمن محدودية الفترة التي تتكلم عنها، وهي فترة العهد الأموي، وتلعب نوعية الهيئة العامة لمبنى (قبة الصخرة) وصيغة تشكيلاتها الكتلوية دوراً مؤثراً وعميقاً في مجمل الممارسة التصميمية لفترات زمنية لاحقة، على أن الأمر المهم الذي ينبغي استخلاصه من عمارة (قبة الصخرة) هو إدراك ذلك التوق المثابر الذي يسعى دائماً إلى إثراء وتنويع الطرح التصميمي بمفاهيم ورؤى جديدة، وهذه الرؤى قد لا تعمل باتساق مع منهجية الإبداع التشكيلي، تلك المنهجية التي شاهدناها تعمل مراراً بفاعلية في استنباط الصياغات التكوينية لمباني مساجد متعددة في مدن وأماكن مختلفة. بمعنى آخر أن المفاهيم الجديدة ونزعتها تتيحان المجال واسعاً أمام الطرح التصميمي الجديد لأن يتقاطع مساره مع مسار الاعتماد الكلي في الحصول على تنويعات (Variation) مختلفة أساسها وحدة الصيغة، الأمر الذي يجعل منه (أي من الطرح التصميمي) محتفظاً دائماً بتميز اللغة المعمارية، ونظارة أشكالها.

## نسق فريد أمام عشوائية تراتيبية

لقد حرص بناة قبة الصخرة على تكريس وتأكيد تفرد الشكل المعماري وعدم تكراره، انطلاقاً من تفرد أسباب الحدث البنائي وحيثياته، وبعبارة آخرى فإن

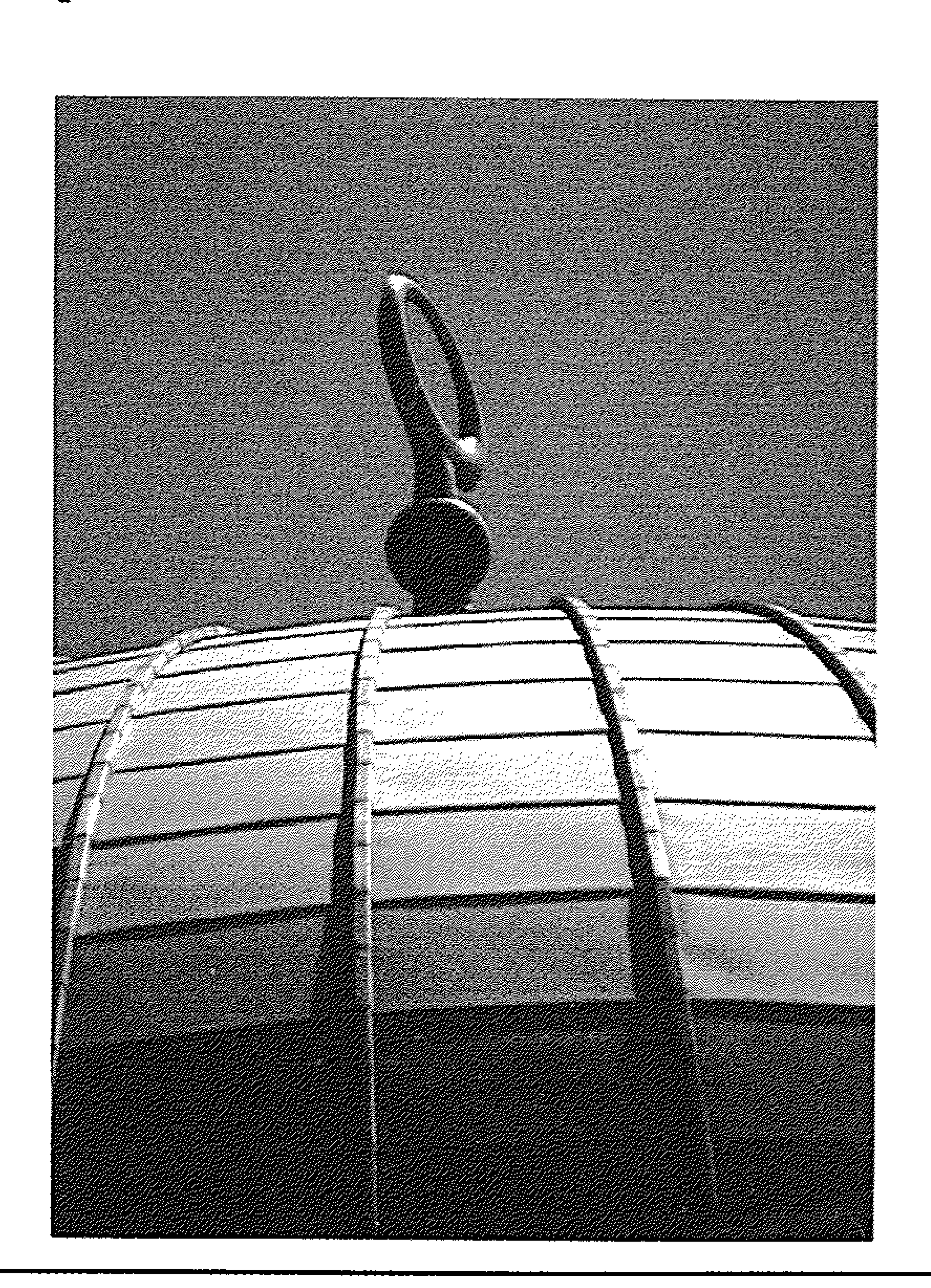


حدث الصخرة الكريمة الفريد وحالتها المكانية كانتا تستدعيان اللجوء لاستثنائية الحل التصميمي.

يفرض مبنى (قبة الصخرة) حضوراً واضحاً وقوياً في المشهد المعماري لمدينة القدس. وهذا الحضور الواضح والمؤثر يتناهى (يدرك) من خلال قرارات تصميمية تعمل على تأكيد هذا الحضور وتبيان أهميته. فتؤدي هندسية الكتل المعمارية وانتظامها الزائد دوراً كبيراً في إكساب المبنى وجوداً فيزيائياً بليغاً ضمن عشوائية تراتيبية عناصر النسيج المديني المجاور واختلاطية وتشوش اشكاله البنائية.

ويزداد الوجود الفيزياوي للمبنى حضوراً جراء (تفريغ) الموقع المجاور وتنظيفه إنشائياً، بغية تفعيل مزايا الخاصية التكوينية الناجمة عن تقابل امتداد أفقية البيئة المحيطة وتضادها مع عمودية كتلة المبنى الذي ظل ارتفاعها العالي نسبياً (نحو ٤٠ متراً) سائداً ومسيطراً ومهيمناً (Dominant) على خط سماء(Silhouette) المدينة لقرون، منذ إنشاء (الصخرة) ولحين الوقت الحاضر.

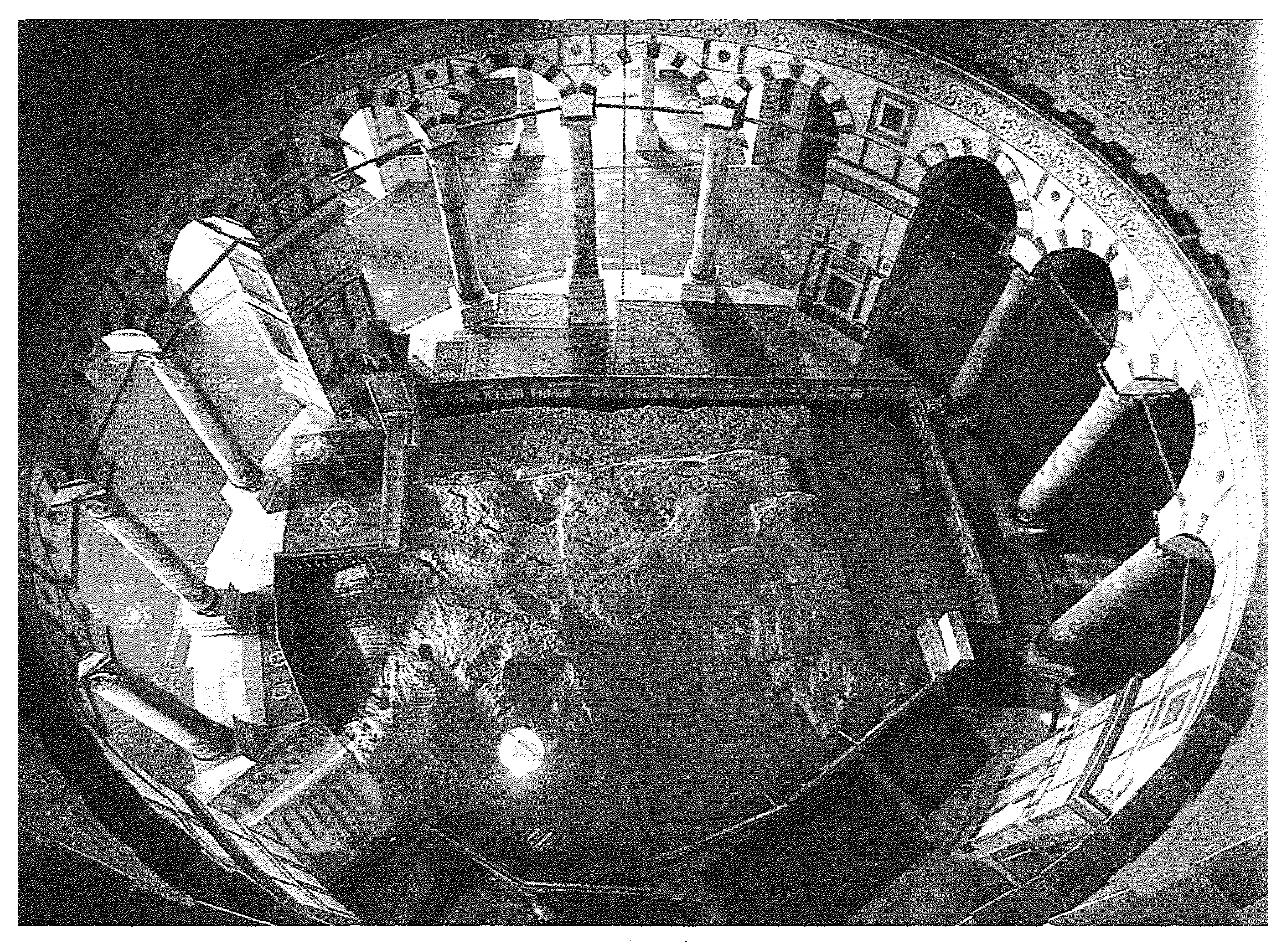
كما تبدو أشكال عناصر المبنى المعماري، وكأن قرار اصطفاء نوعيتها نابعة من وجوبية الهدف الوظيفي، وهو بالأساس، تغطية الصخرة المقدسة. فالدائرة المركزية داخل المبنى المشكلة من رواق العقود نصف الدائرية المستندة على الأعمدة والمساند الضخمة التي



تحيط بالصخرة الكريمة، مهمتها في الغالب ليس فقط تحديد موضع ومكان (الصخرة)، بقدر تأكيد وإبراز الفضاء المركزي وانسيابيته نحو الأعلى، باتجاه الفراغ المغطى بالقبة المركزية، بمعنى آخر أن الفضاء الحاوي للصخرة يتماهى مع الشكل الفيزياوي المختار، بحيث تبدو كأن نوعية تشكلية العناصر المعمارية ترغب في الإيضاح تلقائياً عن «ماذا تريد أن تكون»، وفقاً لتعبير المعمار العالمي (لويس كان) (Louis Kahn).

ولئن كانت هيئة المبنى المميزة ذات الشكل الهندسي المنتظم وارتفاعها العالي وكذلك طبيعة معالجات فضاء الجوار، ونوعية القرارات التلوينية لإكساءات المبنى الخارجية تكرس لدى المتلقي شعوراً بالتوجيه(Orientation) ، وتمنح المبنى ذاته تعريفاً دالاً مضافا، فإن هذا الشعور يظل ملازماً للمرء عند انتقاله إلى الحيز الداخلي (Interior) للمبنى، على الرغم من تبديل وسائل المعالجات التكوينية وتغيرها. إذ تؤدي استخدامات المعالجات التصميمية المتسمة بغزارة العناصر الزخرفية وجزالة المسطحات التلوينية وكثرة بريق المواد الإنشائية إلى خلق مناخ تزييني داخلي مهمته تكريس الإحساس بالتضاد بين الداخل والخارج، وزيادة الشعور بأهمية المكان، وخلق التداعيات (لتهميش) عناصر التركيب الإنشائي المادية بغية الإيحاء برحابة واتساع الفضاء المحصور وعدم محدوديته!. وتعدُّ أسلوبية التوزيع التزييني داخل انترير(Interior) مبنى (قبة الصخرة) وامتداداته الإكسائية، التي طالت جميع سطوح جدران المبنى الداخلية والعناصر الإنشائية الأخرى وكذلك سقوف القبة ورقبتها، تعدُّ حدثاً تصميمياً مهماً ورائداً وغير مسبوق في الممارسة المعمارية، الأمر الذي سيعدّ لاحقاً، أحد أهم معالم العمارة الإسلامية وخصائصها.

وتتجاوز مهام الإضاءة في مبنى قبة الصخرة الأهداف المباشرة لإنارة الوسط الداخلي فقط، فتضحى كمية الضوء الساقطة وتحديد أماكن مصادرها ومسار اتجاهاتها من الأمور التي ينبغي مراعاتها تصميمياً. وتتيح مصادر الإنارة الموجودة في رقبة القبة وكذلك تلك الفتحات المقننة المحفورة في الجدران الخارجية للمبنى، تتيح إمكانية تحديد مقدار وكمية الضياء (المسكوب) لإنارة فضاء المبنى الداخلي وتأشير نوعية أشكال عناصره الانشائية!.



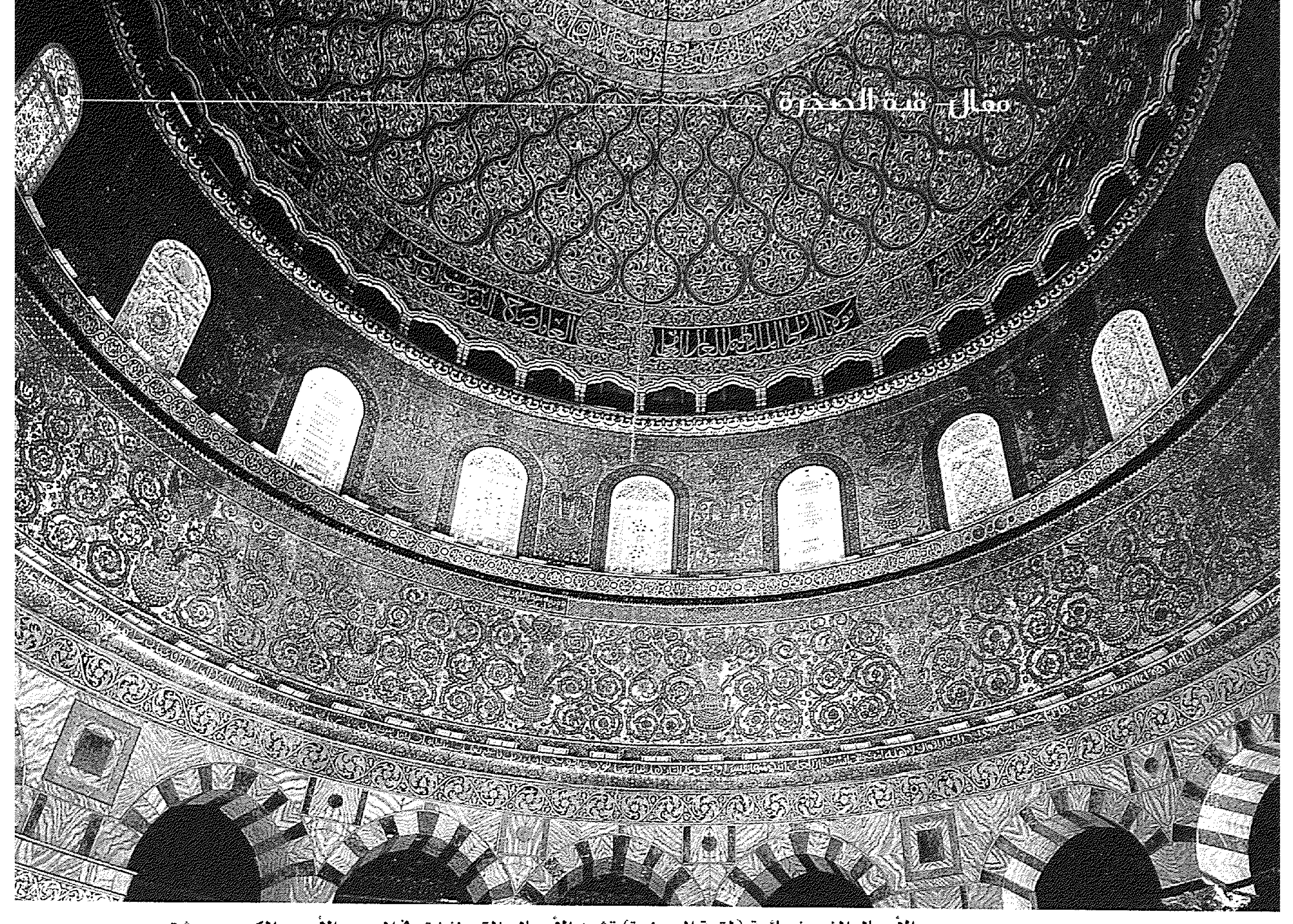
أربع دعائم حجرية يتوزع بينها اثنى عشر عموداً رخامياً تحيط بالصخرة الشريفة

## التناسب.. ليس صدفة

تتميز المعالجات التكوينية في عمارة (قبة الصخرة) على توظيف كفء لمنظومة التناسب (Proportion) واستخدامات مزايا تلك المنظومة أداة فعالة في تحقيق تجانس العناصر التصميمية للمبنى وإضفاء طابع الهرمونية عليها. وتجدر الإشارة، هنا إلى أن أسلوب استخدام منظومة التناسب، لإكساب عناصر المبنى قيمة تجانسية عالية لم يكن، أمراً هامشياً، كما أنه لم يكن محض مصادفة، بل قراراً تصميمياً أساسياً ينطوي على قصدية متعمدة تشير لمستوى رفيع من الثقافة البنائية وصلته طبيعة الممارسة المعمارية في العهد الأموي آنذاك.

تمثل الأعمال التزيينية المشغولة في (قبة الصخرة) حدثاً معمارياً، ذا اهمية كبيرة في مهام تكريس المفاهيم الفنية الجديدة، التي ساهمت في بلورتها الثقافة الإسلامية. وتعتبر الأعمال الفنية في (قبة الصخرة) بمثابة الأساس والمنطلق لسلسلة من الممارسات النشطة التي ارتقت بقيمة الناحية التزيينية، وجعلت منها أمراً مكافئاً ومماثلاً لقيمة الجانب التركيبي وأهميته في الحل التكويني - المعماري. وتتمثل تلك الأعمال بالدرجة الأولى، في المشغولات الفسيفسائية، تلك المشغولات التي بلغت شأناً مهماً، وغير معروف سابقاً، من حيث سعتها، ومواضيعها، ودقة إنجازاتها وخاماتها. ولعل اللوحات الفسيفسائية المعمولة داخل القبة، وفي الأقسام العليا من الجدران في الداخل، وفي الواجهات الخارجية (والتي أزيلت في وقت لاحق) بمقدورها أن تعطي تصوراً واضحاً على مقدار المساحات الواسعة التي كستها تلك التغطيات الفسيفسائية والتي قدرت مساحاتها، وفقاً لبعض الدارسين بـ (١٢٠٠) متر مربع.

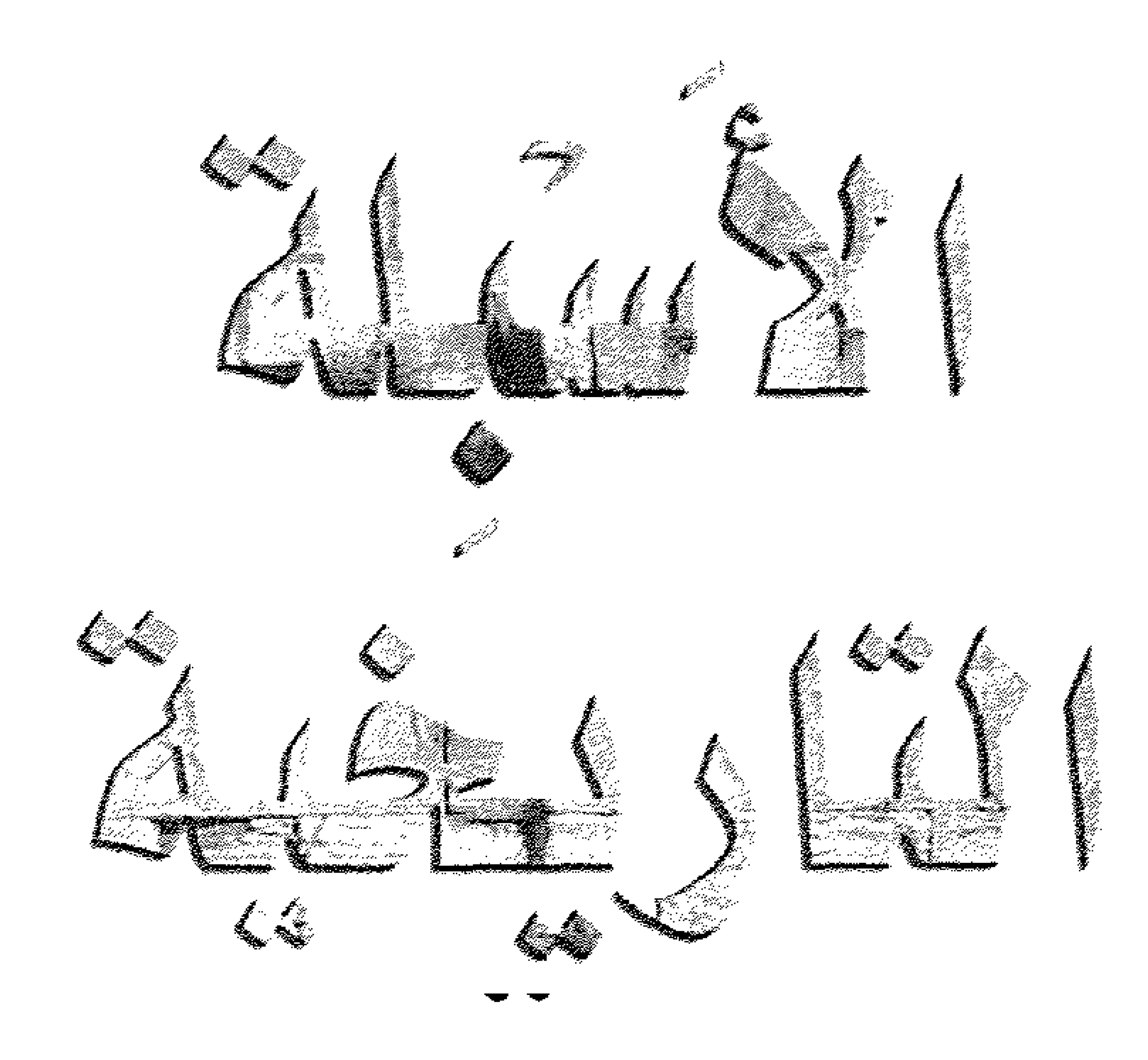
وعلى الرغم من ارتباط تقنية الأعمال الفسيفسائية بالتقاليد السابقة للإسلام، فإن مواضيع فسيفساء



الأعمال الفسيفسائية (لقبة الصخرة) تشبه الأعمال التي نفذت في المسجد الأموي الكبير بدمشق

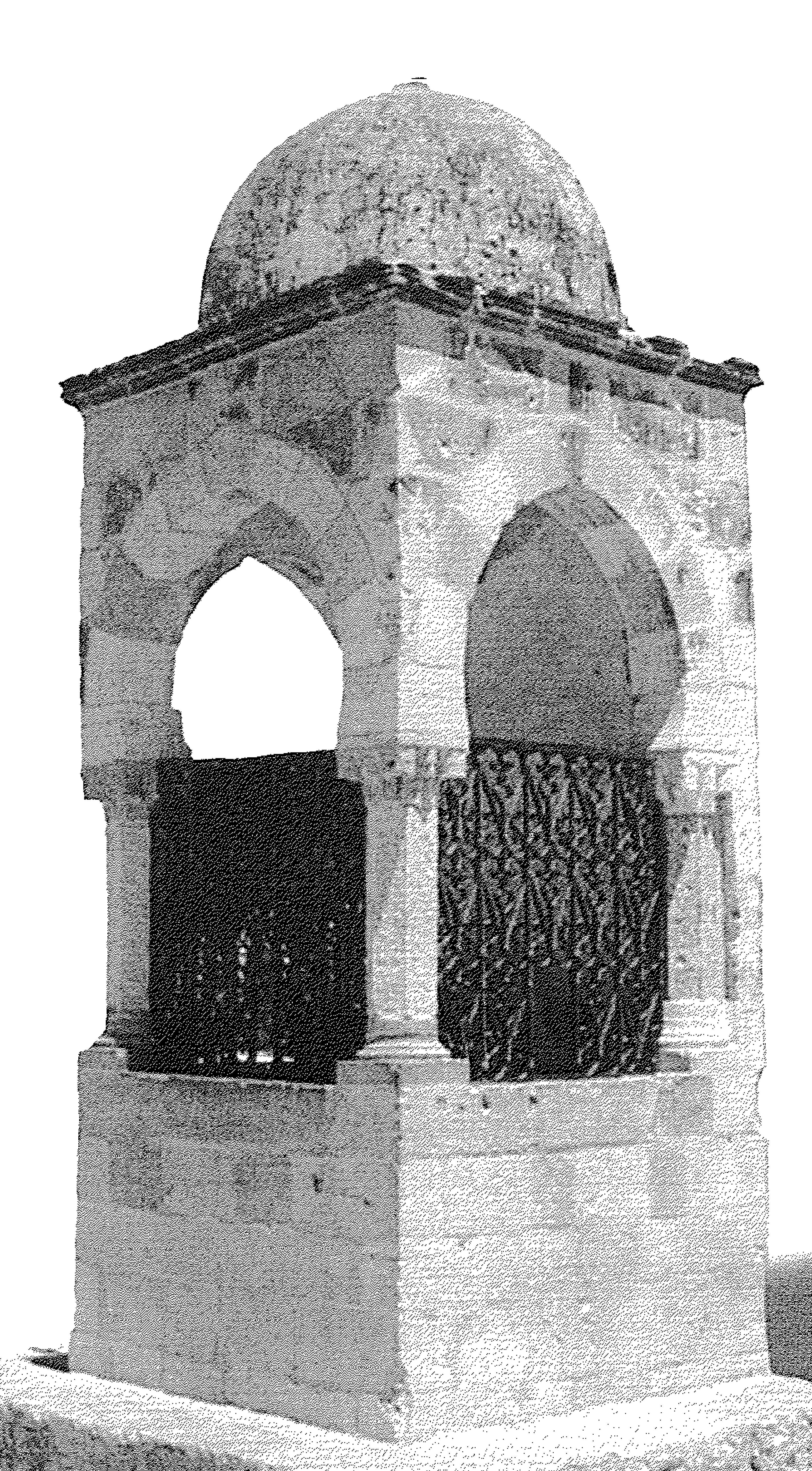
(قبة الصخرة) وثيماتها، نأت بعيداً عن صيغ المواضيع المألوفة السابقة، واتسمت بمزاج ونفس جديدين قوامهما النزعة التجريدية للأشكال، وإلغاء مفهوم المنظور والتحجيم، والابتعاد كلياً عن التشخيص، والولع في رسم العناصر البنائية المحورة والواقعية المشوبة بالإسقاطات الهندسية، فضلاً عن محاولة إدخال عنصر (الكتابة) كموضوع أساسي، جنباً إلى جنب مع مواضيع الرسوم والنقشات الأخرى. ولقد نتج عن تلك المشغولات الفسيفسائية في (قبة الصخرة) مزيجاً من الناتج الفني انطوى على أمرين أساسيين هما تنوع ذلك الناتج، حيث قلّما نجد صيغة ما، تكرر في تلك المساحات التزيينية، وفي وحدته، حيث إن جميع العناصر الزخرفية تتداخل لكي «تشكل وحدة فنية منسجمة في تكوينها وموحدة في أسلوبها». ويشير كثير من الدارسين، بأن الأعمال الفسيفسائية (لقبة الصخرة) تشبه إلى حد كبير الأعمال الفسيفسائية التي نفذت في المسجد الأموي الكبير بدمشق، من حيث التقنية، والسعة، والمواضيع، الأمر الذي حدا بالكثير منهم للاعتقاد بأن الأعمال التزيينية (لقبة الصخرة) بالقدس والمسجد الأموي بدمشق، قد تمتا في وقت واحد، وربما في عهد الوليد الأول مع أن الذي أمر ببناء (قبة الصخرة)، كما هو معروف، هو والده: عبد الملك بن مروان.

ولم تقتصر الأعمال التزيينية والإنهائية لمبنى قبة الصخرة، على الأعمال الفسيفسائية لوحدها وإنما كان للإكساءات الرخامية دور مهم في هذه الناحية. إذ تم استعمال الرخام للأعمدة بألوانه العديدة وأصنافه المختلفة، كما كسيت الأقسام السفلى للجدران والعضائد بألواح رخامية من النوع المعرق الذي أطلق عليه القدماء المشجر أو المجزع، واستخدم الرخام أيضاً، في أماكن العقود بالقناطر ذات الألوان المتناوبة، وهذه الكسوة الرخامية الداخلية، ما تزال تحافظ على أصالتها منذ العهد الأموي، إلا في اجزاء صغيرة جددت في العهدين المملوكي والعثماني.■



# الأسبلة التاريخية

## داخل سور القدس العربية



■ غازي انعيم

تعدّ منشآت الأسبلة القائمة في العديد من المدن العربية والإسلامية شواهد وأدلة على مقدار ما وصلت إليه الحضارة العربية الإسلامية من الإتقان الفني والمعماري، وهي تعدّ فرعاً من أفرع العمائر المدنية في العمارة الإسلامية، وتندرج تحت ما يمكن أن يطلق عليه اصطلاحاً اسم (العمائر أو المنشآت الخيرية) حيث كان يحرص المسلمون ملوكاً وأمراء وسلاطين وقادة وأغنياء على حفر الآبار وإنشاء الأسبلة لتوفير المياه العذبة لسقيا الناس ولخدمة المساجد.

وهكذا كانت الأسبلة من بين العمائر التي قامت بدور بارز في تحقيق الرعاية الاجتماعية

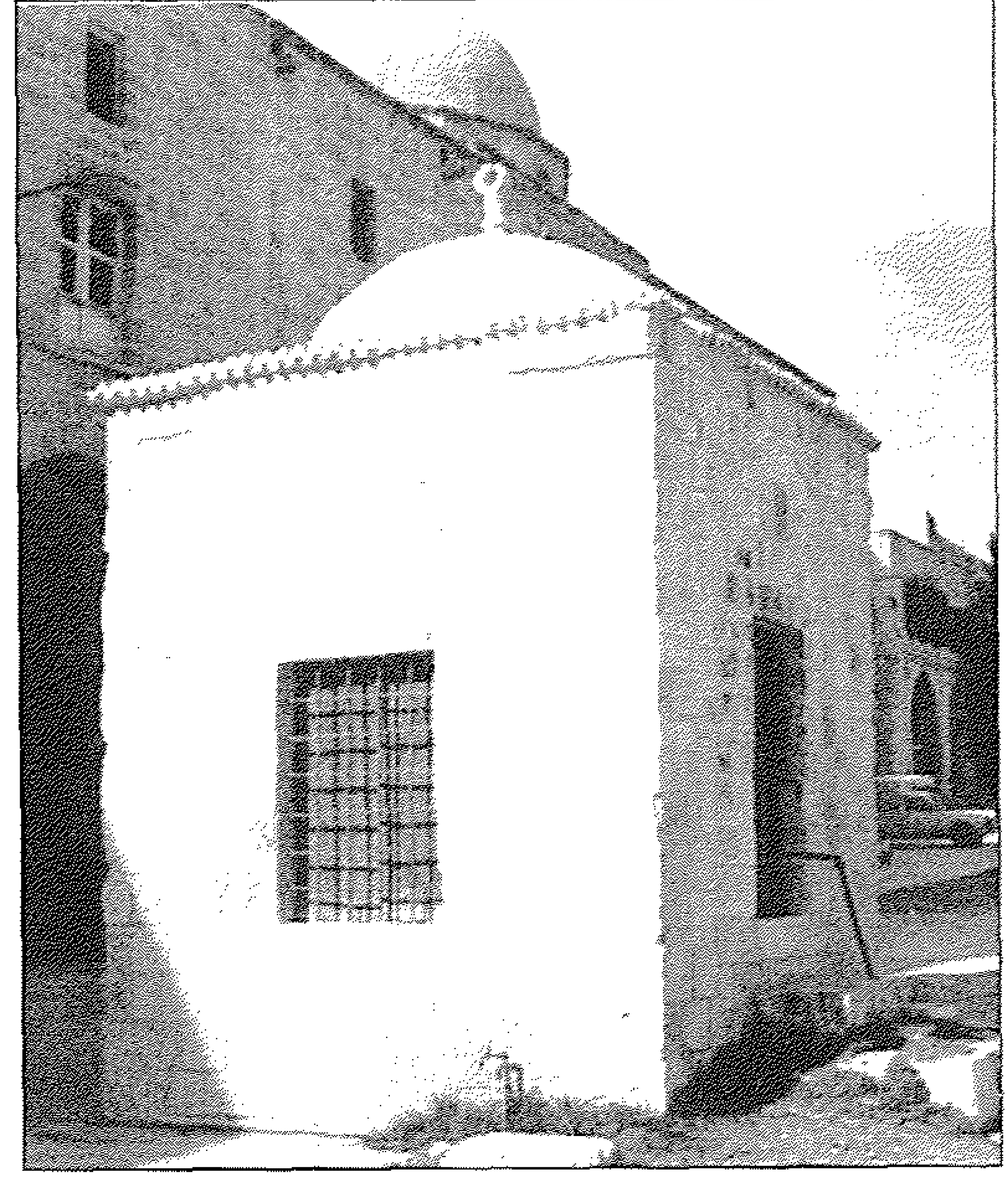
في الحضارة الإسلامية، ذلك الدور الذي يعبّر عن روح الإسلام وقيمه ومثله.

ومما له دلالته في هذا الصدد أن هذه العمائر الخيرية هي الوحيدة التي ظل مدلول لفظ السبيل ملتصقاً بها.

فما هو هذا المدلول؟



سبيل الشعلان



سبيل البصيري

يرى البعض أن مدلول كلمة (لفظ السبيل) مشتق من (أسبل الماء) بمعنى صبه، وأسبل المطر بمعنى هطل، ويرى البعض الآخر أن هذه الأسبلة اشتقت تسميتها من ابن السبيل أي الطريق.

وعلى ضوء هذا التفسير انحصر لفظ السبيل وصار اصطلاحاً على نوع خاص من المنشآت المائية. كما أن لفظة السبيل عرف بها الماء أيضاً فقيل له: «الماء المسبل أي المجعول في سبيل الله»، كذلك هناك المال المسبّل - أي الموقوف في سبيل الله تعالى.

ونضيف على ما تقدم فنذكر أن لفظة السبيل كانت اصطلاحاً مرتبطاً بالعديد من الأبنية التي وقفت سبيلاً لوجه الله تعالى، وذلك رغبة في التقرب إليه عزّ وجلّ، وأملاً في ثواب الآخرة، ومن هذه الأبنية ما خصص لتوفير المياه كل يوم، وعلى امتداد العام للإنسان والحيوان.

وقد حظيت الأسبلة بالعناية الفائقة سواء من حيث اختيار موقعها، وعمارتها أو من حيث حليتها أو كسوتها، أو من يتولى الإشراف عليها، وقد اشترطت فيه، كما ورد في كثير من الوثائق المملوكية، شروط خِلقية وخُلقية، كأن يكون سالماً من العاهات والأمراض، وأن يسهل الشرب على الناس، ويعاملهم بالحسنى والرفق، ليكون أبلغ في إدخال الراحة على الواردين، كما كان يتعهد الرخام والدهاليز في السبيل بالكنس والمسح وتبخير الأواني، وكان عليه أن يفتح السبيل في المواعيد المقررة، على أن يظل السبيل مفتوحاً طوال النهار من شروق الشمس حتى غروبها، بل وأحياناً بعد الغروب، إلى أن يأوي الناس إلى مساكنهم، أما في شهر رمضان فكان تسبيل الماء يستمر من وقت الغروب إلى ما بعد صلاة التراويح، ثم من وقت التسبيح إلى الفجر.

وكانت الأسبلة حسب ما ورد في وثائق الوقف المختلفة تزود بالعديد من الأدوات لتقوم بوظيفتها خير قيام، ومنها أواني الشرب، مثل: أباريق الفخار، والأواني المعدنية، والدلاء الجلدية، والبكر، والحبال، بالإضافة إلى أدوات التنظيف، مثل: الإسفنج، والمكانس، والبخور لإضفاء رائحة عطرة ومميزة على السبيل.

إن ما يعنينا من هذه المنشآت الخيرية في هذا المقام هو الأسبلة الموجودة داخل أسوار مدينة القدس التاريخية التي بدأ بناؤها في عام ٦١٣هـ في العصر الأيوبي وتوقف إنشاؤها بعد عام ٩٢٣هـ.

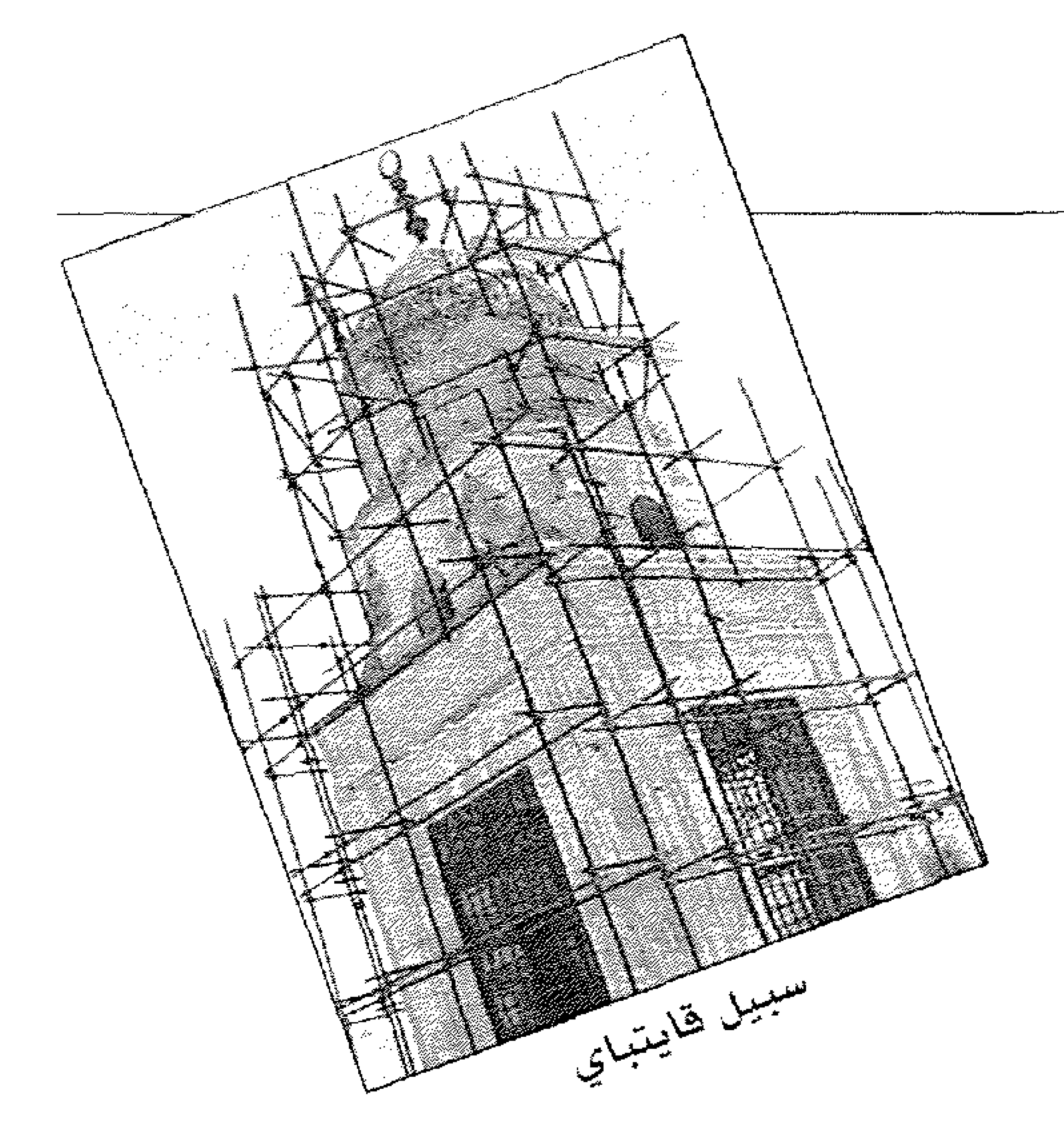
- فمن أين كانت تتغذى هذه الأسبلة؟
- ما اسم هذه الأسبلة؟ وما طرزها المعمارية والزخرفية؟

## الأسبلة داخل الأسوار

ارتبطت هذه الأسبلة في العمارة الإسلامية بالبيئة التي تقام فيها، فكانت الأسبلة داخل أسوار القدس تقام فوق آبار تجمع لها مياه الأمطار، فالصخر الكلسي المتوفر في القدس يصلح لإنشاء الآبار وللبناء، والبرك، والأنفاق، مما كان له شأن كبير في تاريخ

المدينة، مع العلم أن معدل كميات الأمطار السنوية يزيد قليلاً على ٥٠٠ ملم، وتسقط هذه الأمطار في فصلي الخريف والشتاء (من تشرين أول إلى نيسان)، ولا يزيد متوسط عدد الأيام الماطرة في القدس على ٥٠ يوماً سنوياً، ولهذا فإن الشمس تظهر في أكثر أيام السنة.

أما من حيث طرزها المعمارية، فقد جمعت الأسبلة بين روعة التخطيط والمهارة في الإبداع، والتأنق الزخرفي والجمالي وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في أسبلة القدس التاريخية التالية:


سبيل قايتباي

## سبيل الشعلان

أنشأ هذا السبيل الملك المعظم عيسى في سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م، في العصر الأيوبي. ثم عمّره الأمير شاهين الذباح، نائب القدس، في عهد الملك الأشرف برسباي، في سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م. وفي سنة ١٠٣٧هـ / ١٦٢٧م، عمّره محمد باشا، محافظ القدس، في عهد السلطان مراد الرابع في العصر العثماني.

ويتكون من بناء مربع الشكل، وفيه بئر للماء. وله أربع دعامات صغيرة من جهة الغرب، وتحمل سقفاً بسيط التكوين، وهو مفتوح من جهاته الجنوبية والغربية والشمالية. وفي الجهة الشرقية يقع البئر، وفيها غرفة مربعة الشكل، تقع خلف البئر، وتلاصق بناء السبيل.

## سبيل البصيري

أنشئ هذا السبيل قبل سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥- ١٤٣٦م، ولا يُعرف تاريخ إنشائه بالتحديد. وجدد بناءه الأمير حسن قبجا، نائب السلطان وناظر الحرمين في سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥- ١٤٣٦م، في عهد الملك الأشرف برسباي. ثم جُدد بناؤه في سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م، في عهد السلطان الأشرف قايتباي، كما يبدو في نقشين كتابيين علّقا على واجهة السبيل الجنوبية.

ويسمى سبيل باب الحبس أيضاً، وهو بالقرب من باب الناظر، ويتكون من بئر للماء، أقيم فوقه مربع مغطّى بقبة، وذلك بعد تحويل أركان المربع إلى دائرة بملء أعلى الأركان بمثلثات كروية. وله ثلاث نوافذ تغطيها مصبعات حديدية، في الجهات الجنوبية، والغربية والشمالية. وفي أسفل كل منها، صنبور للماء لتسبيله للواردين. وفي الجهة الشرقية مدخل يُصعد إليه بعدة درجات.

## سبيل قايتباي

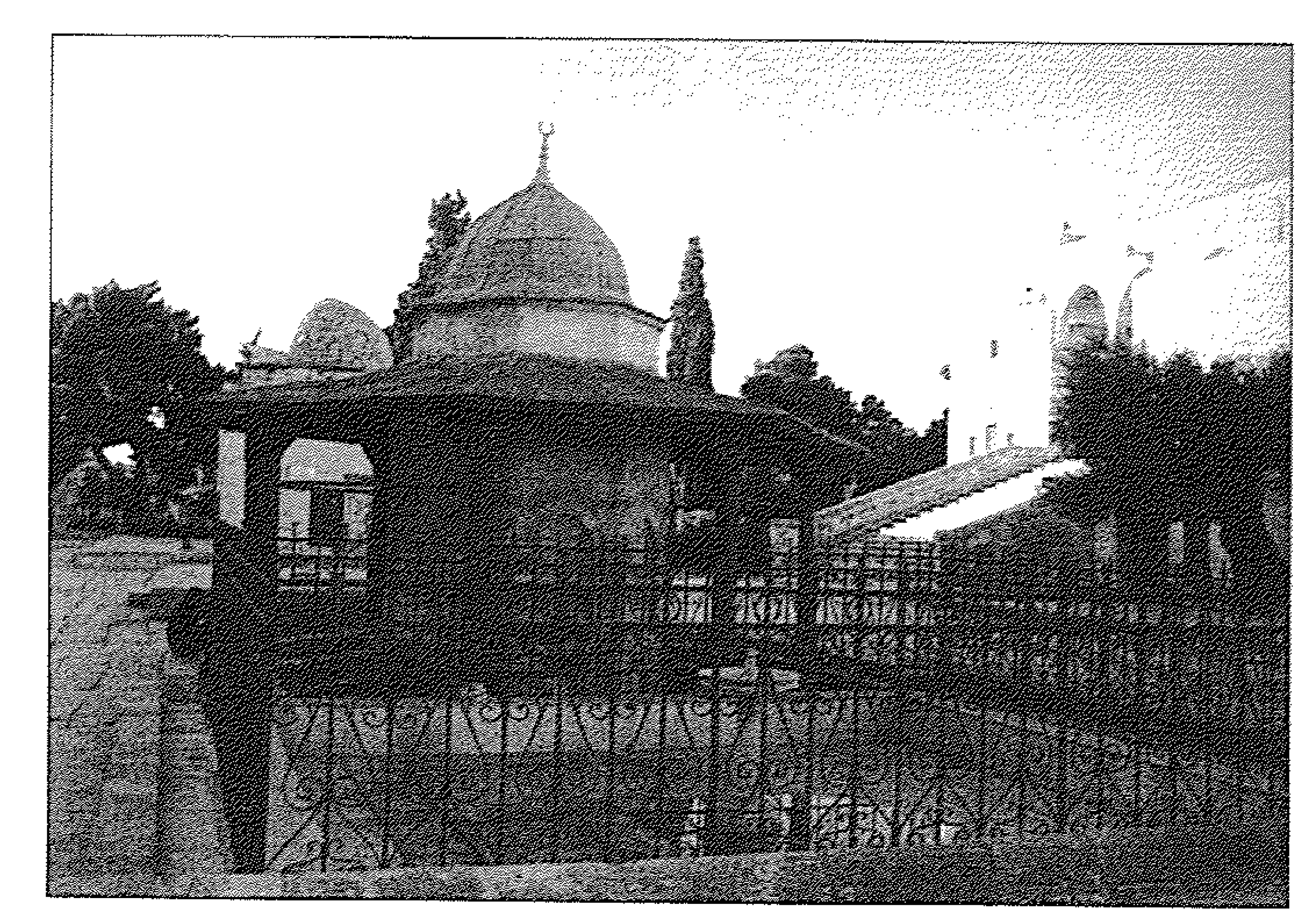
بناه السلطان سيف الدين إينال، ثم أعاد بناءه السلطان قايتباي، عندما بنى مدرسته في القدس. ولم يتبقّ من سبيل إينال سوى البئر الذي أقام قايتباي سبيله عليها. وقد بناه من الحجر المشهر الملون، وفرش أرضيته بالرخام، وزخرف قبته بالعناصر الزخرفية النباتية، وصنج معشّقة، عوضاً عن الزخارف الهندسية.

وفي سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢- ١٨٨٣م، جدده السلطان عبد الحميد خان بن عبد المجيد خان، في العصر العثماني.

ويتكون من طابقين من البناء، الأول: يضم بئراً تعلوها خرزة، وهو محفور في الأرض لتخزين مياه الأمطار، ويختلف عن آبار غيره من الأسبلة، والآخر: يرتفع متراً عن سطح الأرض، وفيه المزملة لتفريق الماء، وقد فرشت أرضيته بالبلاط المصنوع من الجر الصلب، والسبيل مبني من الحجارة الحمراء والبيضاء، وله أربع نوافذ في جهاته الأربع، وبين هذه النوافذ زوايا السبيل حيث حليت بأفاريز من الزخارف الهندسية، وهناك ما بين النوافذ والقاعدة المثمنة شريط من الكتابات والآيات القرآنية يلتف على بدن السبيل لإضافة نغمة ملمسية ضوئية للواجهة.

وقد حُوِّل أعلى مربع الطابق الثاني إلى مثمن لإيجاد قاعدة مثمنة تقوم عليها القبة الجميلة المزخرفة بزخارف نباتية وهندسية.

وأنشئت مصطبة للسبيل بين ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، و٨٦٥هـ / ١٤٦١م، في عهد الملك الأشرف سيف الدين إينال. ويقع السبيل في الزاوية الشمالية الغربية من المصطبة.



سبيل قاسم باشا

وتتكون هذه المصطبة من بناء حجري منبسط، مستطيل الشكل، ويُصعد إليها بدرجة من الجهتين الشرقية والغربية، وترتفع نصف متر تقريباً عن أرض الحرم. ولها محراب جميل، وهو بناء حجري مستطيل الشكل، وفي وسطه حنية حجرية تنتهي بأربع حطات من المقرنصات البسيطة.

## سبيل قاسم باشا

ويسمى باب المحكمة، ويقع إلى الغرب من ساحة الحرم الشريف، على بعد بضعة أمتار من باب السلسلة.

والسبيل قام بإنشائه قاسم باشان والي القدس، في سنة ٩٣٢/ ١٥٢٦ - ١٥٢٧م، في عهد السلطان سليمان القانوني كما يبدو في النقش الكتابي الحجري، في الضلع الغربي.

ويتكون هذا السبيل من بناء ذي ثمانية أضلاع حجرية، وبأسفل كل منها صنبور للماء، ويُنزل إليه، من أرض الحرم، بدرجات قليلة تدور حول بناء السبيل، وأمام كل صنبور مقعد حجري لجلوس المتوضئين. وتوجد قناة ماء بأرض بناء السبيل لتصريف مياه الوضوء.

وتغطي السبيل مظلة خشبية دائرية الشكل، تقي المتوضئ حرارة الشمس، ومطر الشتاء.

## سبيل بركة السلطان

أنشئ هذا السبيل في عهد السلطان سليمان القانوني، في سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦ - ١٥٣٧م، ويتكون هذا السبيل من واجهة حجرية، وهو مستطيل الشكل، وفي أسفله، صنبور للماء، ثم مدماك حجري، ويحمل اسم السلطان، وألقابه، وسنة البناء، ثم تقوم فوقه مجموعة من المقرنصات الحجرية المكونة من أربع حطات، ويتوّجها عقد متموج.

## سبيل السلسلة

أنشئ هذا السبيل في عهد السلطان سليمان القانوني، في سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦- ١٥٣٧م. ويتكون من بناء مستطيل الشكل، وبأسفله حوض حجري للماء، وهو مستطيل الشكل أيضاً، ويمتد طولاً بعرض بناء السبيل، وقد زين الحوض بشريط من الزخارف الهندسية.

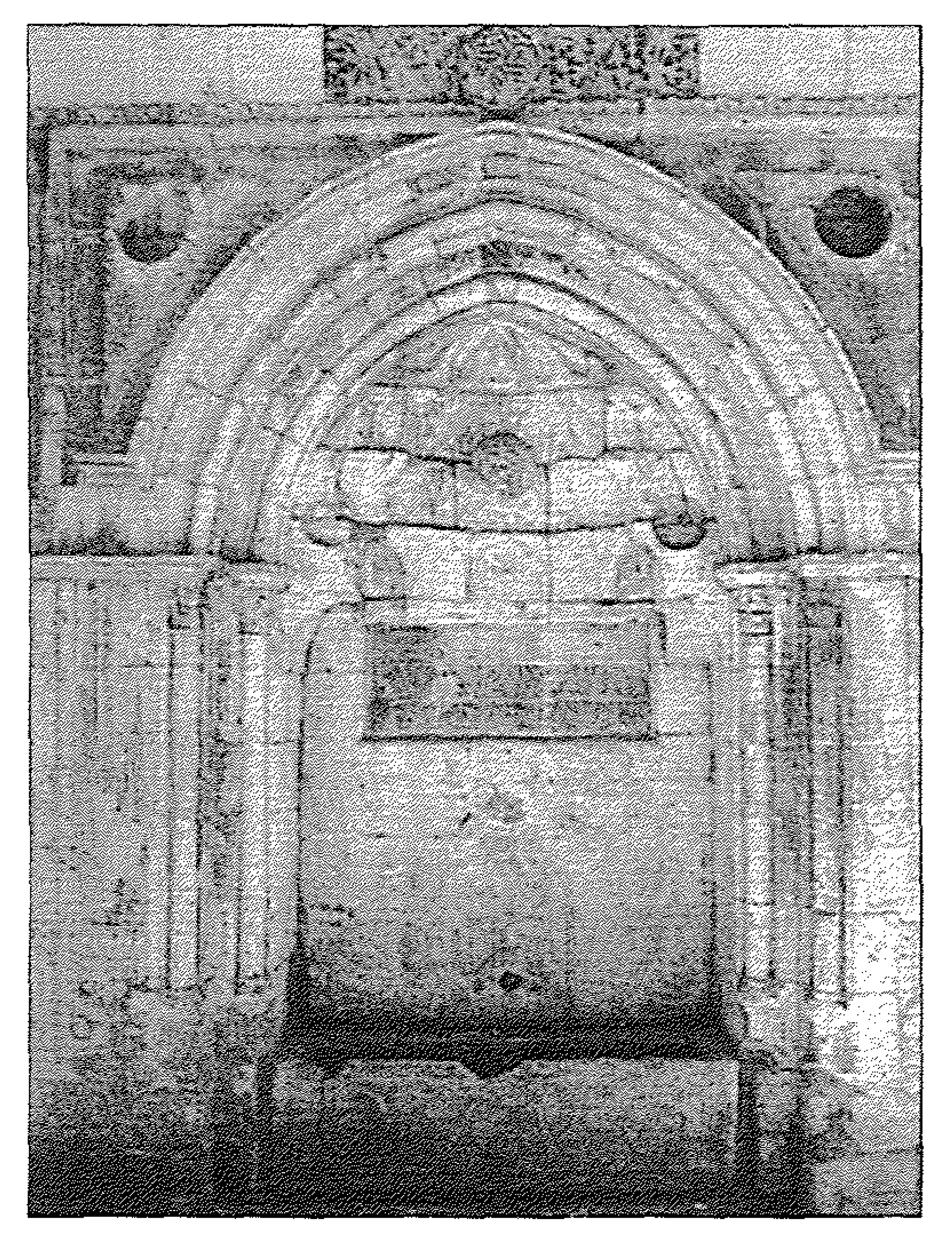
ويوجد صنبور للماء فوق منتصف هذا الحوض، وفوقه نقش كتابي تذكاري كتب على لوح مستطيل من الرخام بخط الثلث وفوق النقش الكتابي قوس من نوع نعل الفرس المدبب حلي باطنها وحافاتها الخارجية بمجموعة من الزخارف النباتية والهندسية، حيث نرى في الواجهة فوق النقش الكتابي مباشرة وردة بديعة محفورة ومفرغة، ويقوم فوق ذلك كله عقد مدبب بخطوط هندسية متموجة الشكل، يغطي واجهة بناء السبيل من الأعلى، وتركز كل رجل من أرجله على حطتين من المقرنصات.

سبيل السلسلة

## سبيل طريق الواد

أنشئ هذا السبيل في عهد السلطان سليمان القانوني، في سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦- ١٥٣٧م، ويتكون من بناء مستطيل الشكل، وبأسفله حوض حجري للماء، وهو حوض مستطيل الشكل أيضاً، ويمتد طولاً بعرض بناء السبيل. وهناك صنبور للماء فوق منتصف هذا الحوض ويعلو الصنبور نقش كتابي تذكاري كتب

علـى لوح مسـتـطـيـل مـن الـرخـام، ويـبـين اسـم السلطـان وألقابـه، وسنـة البنـاء. وفـوق هـذا النقش الـكـتـابـي، مجموعـة مـقـرنـصـات تـتكـون مـن أربـع حطـات جميلـة الشكـل. ويقـوم عقـد مـدبب فـوق ذلك كلـه. وهـو عقـد ثنائي الأقـواس، ويضـفـي جمـالاً على بنـاء السبيـل ومكوناته.

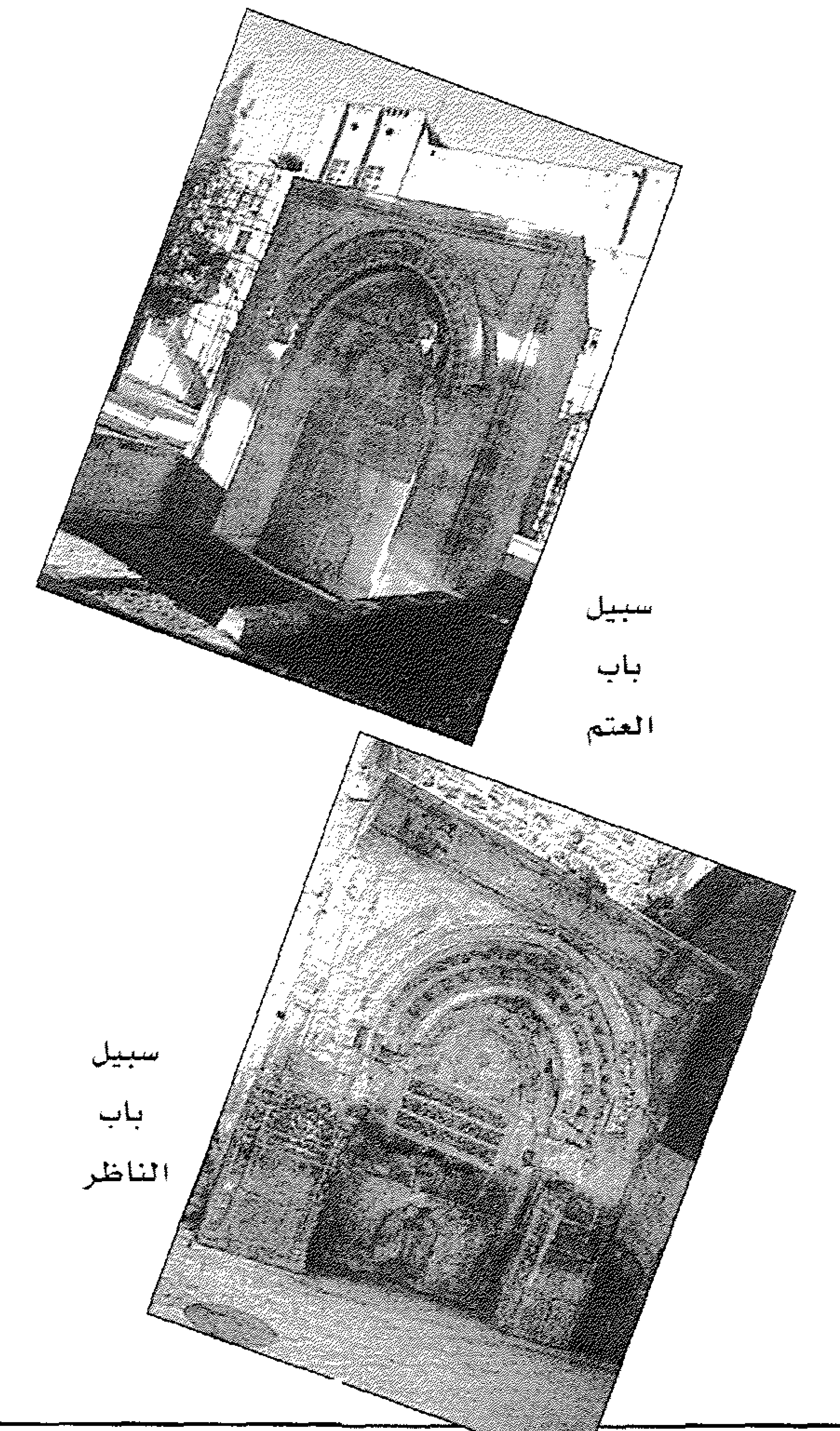


سبيل طريق الواد

## سبيل باب العتم

أنشـئ هـذا السـبـيـل في عـهـد السلـطـان سلـيـمـان الـــقـانـــوني، في ســـنـــة ٩٤٣هـ / ١٥٣٦ - ١٥٣٧م. ويـتـكـون مـن بـنـاء مستطـيـل الشـكـل، وبـأسـفـلـه حـوض حـجـري للمـاء، وهـو مستطيـل الشـكـل، ويمـتد طـولاً بعـرض بنـاء السبيـل.

ويوجد صنبور للماء فوق منتصف واجهته، وفوقه نقش كتابي تذكاري كتب باللغة العربية على لوح من الرخـام، يبين اسـم السلطـان وألـقـابـه، وسنـة البنـاء، وهناك نقش آخر باللغة التركية، فـوق النقش المشـار إليه، وقد كتب فيه ما كتب في النقش المكتوب بالعربيـة، وتقـوم مجموعـة مقرنصـات فـوق ذلك كلـه، وتتكـون هذه المقرنصـات مـن أربـع حطـات جميلـة الشكـل، وفـوق ذلك كله، يقـوم عقـد مدبـب متمـوج الشكـل.



سبيل باب العتم

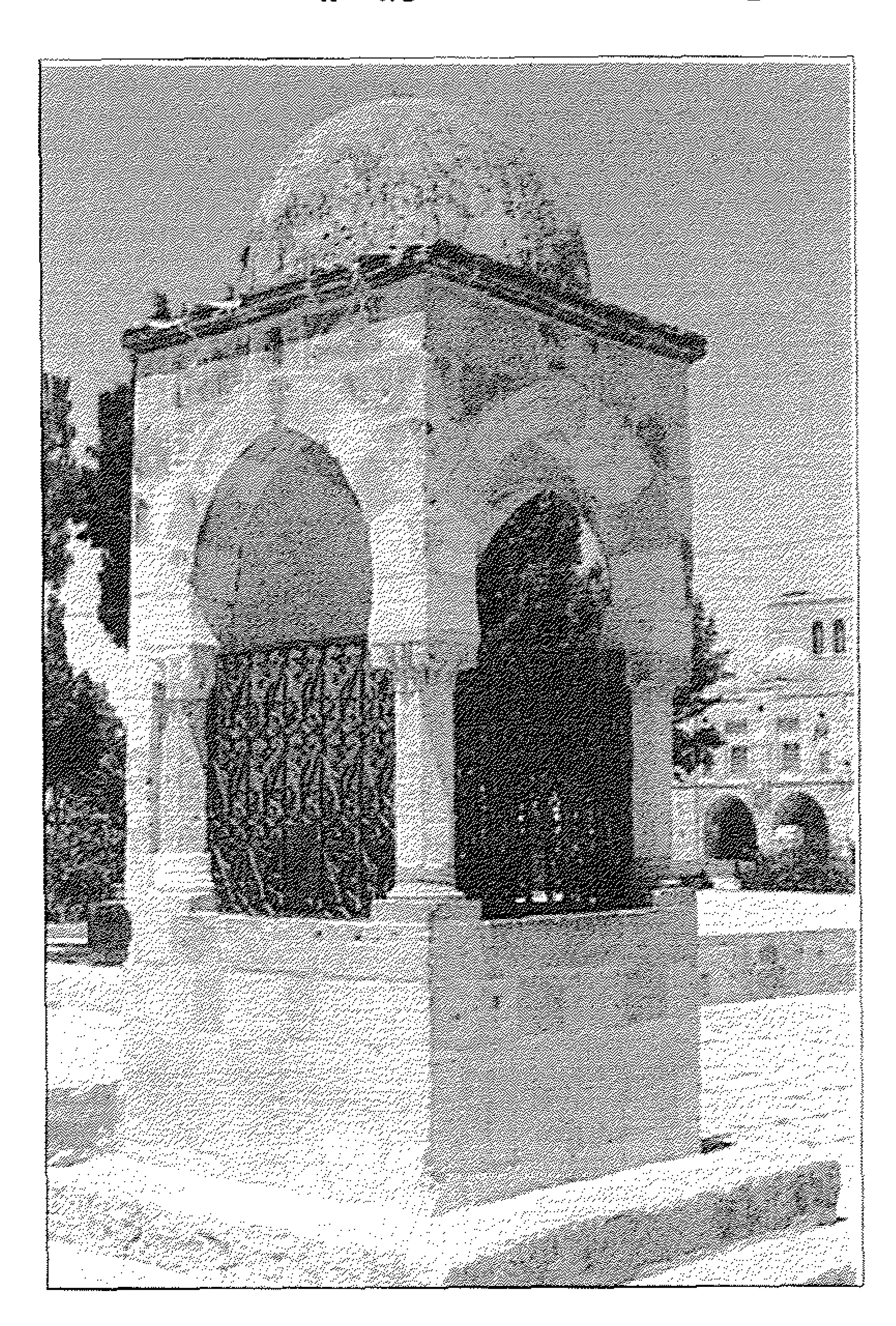
سبيل باب الناظر

## سبيل باب الناظر

أنشئ هذا السبيل في عهد السلطان سليمان القانوني، في سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦- ١٥٣٧م. ويتكون من بناء مستطيل الشكل، وبأسفله حوض حجري للماء. وفوق الحوض صنبور للماء، ويوجد نقش كتابي حجري، على بعد عدة مداميك حجرية من الصنبور، ويبين اسم السلطان وألقابه، وتاريخ البناء، ويوجد لوح حجري مزخرف فوق النقش، ويغطي ذلك كله، عقد حجري جميل الشكل، متعدد الأقواس، مزين بالصور الوردية اللون.

## سبيل باب الأسباط

أنشـئ هـذا السـبـيـل في عـهـد السلـطـان سلـيـمـان الـــقـانـوني، في ســـنـــة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦ - ١٥٣٧م. وتـطـل واجـهـتـه الجنـوبـيـة علـى الشـارع الـعـام، وهـو علـى بعـد بضعـة أمتـار من بـاب الأسـبـاط إلى الـغـرب. وكـانت تـوجـد كتـابـة تـأسيـسيـة بـأعـلاه، لكنهـا أزيلت، وهي موثقـة في بعض الكتب، وتماثـل مـا كتب علـى الأسبلة الأخرى.



سبيل الشيخ بدير

## سبيل الشيخ بدير

عمّر هذا السبيل الحاج مصطفى آغا براونة، والي القدس، في عهد السلطان محمود بن السلطان مصطفى الثاني، وكان السبيل قد بني قبل هذا التاريخ. ويتكون من بناء صغير الحجم، وهو مبني من الحجارة الحمراء والبيضاء، وهو مفتوح من الجهات الثلاث: الجنوبية، والشمالية، والغربية، وتقوم فوقه قبة صغيرة ترتكز على أربعة أعمدة صغيرة لطيفة، وتعلوها عقود مدببة في كل الجهات المفتوحة، وأما الجهة الشرقية، فقد سُدّت بجدار حجري يصل بين العمودين في هذه الجهة، وفي وسط البناء يوجد بئر للماء.

ومما يؤسف له أن معظم -إن لم يكن كل- هذه الأسبلة من الداخل والخارج بحاجة إلى صيانة وترميم خاصة صيانة الحجارة وتنظيفها وتكحيلها، وصيانة الأسطح وقبابها، وتركيب أبواب وشبابيك جديدة ملائمة لطبيعة المكان، وصيانة شريط اللوحات الكتابية وتنظيفها، وإعادة الأجزاء التالفة منها، وإعادة الزخارف المفقودة والتالفة، والصنج المعشقة، وإعادة الأجزاء التالفة من جرون الماء، وإعادة المياه إلى الأسبلة لاستعمالها من جديد بعد صيانة البئر من الداخل، وهي أيضاً بحاجة إلى تركيب مزاريب للمياه، وعمل مجاري للمياه العادمة، وإزالة الأعشاب والأنقاض، وتنظيم خطوط الكهرباء لإضاءتها.

إن المطلوب من العالم العربي والإسلامي هو الرد على التحدي الإسرائيلي في القدس الشريف بغض النظر عن الظروف السياسية باعتبار عملية الترميم والصيانة عملاً حضارياً ثقافياً يهم العالم أجمع، ويجب المباشرة فوراً بتنفيذ خطة الترميم والصيانة لكنوز القدس، للإبقاء على هذه المدينة المقدسة التي تضم ضمن أسوارها التاريخية كنزاً من التراث الإسلامي والأثري، وكنزاً من العمارة الإسلامية التي تحكي تاريخ حقبة إسلامية طويلة، وألاّ يسمح العالم المتمدن للصهاينة بتغيير معالم القدس التي تم تسجيلها ضمن قائمة التراث العالمي في اليونسكو عام ١٩٨٠م، ثم سجلت ضمن قائمة التراث المهدد بالخطر في عام ١٩٨٢م. ولإيقاف هذا الخطر، يجب إجراء مسح كامل لأبنية المدينة المقدسة وتوثيقها واعتماد خطة واسعة فنية، ومالية للترميم والصيانة وتأمين الجهاز الفني ذي الخبرة في هذا المضمار.

## المراجع:

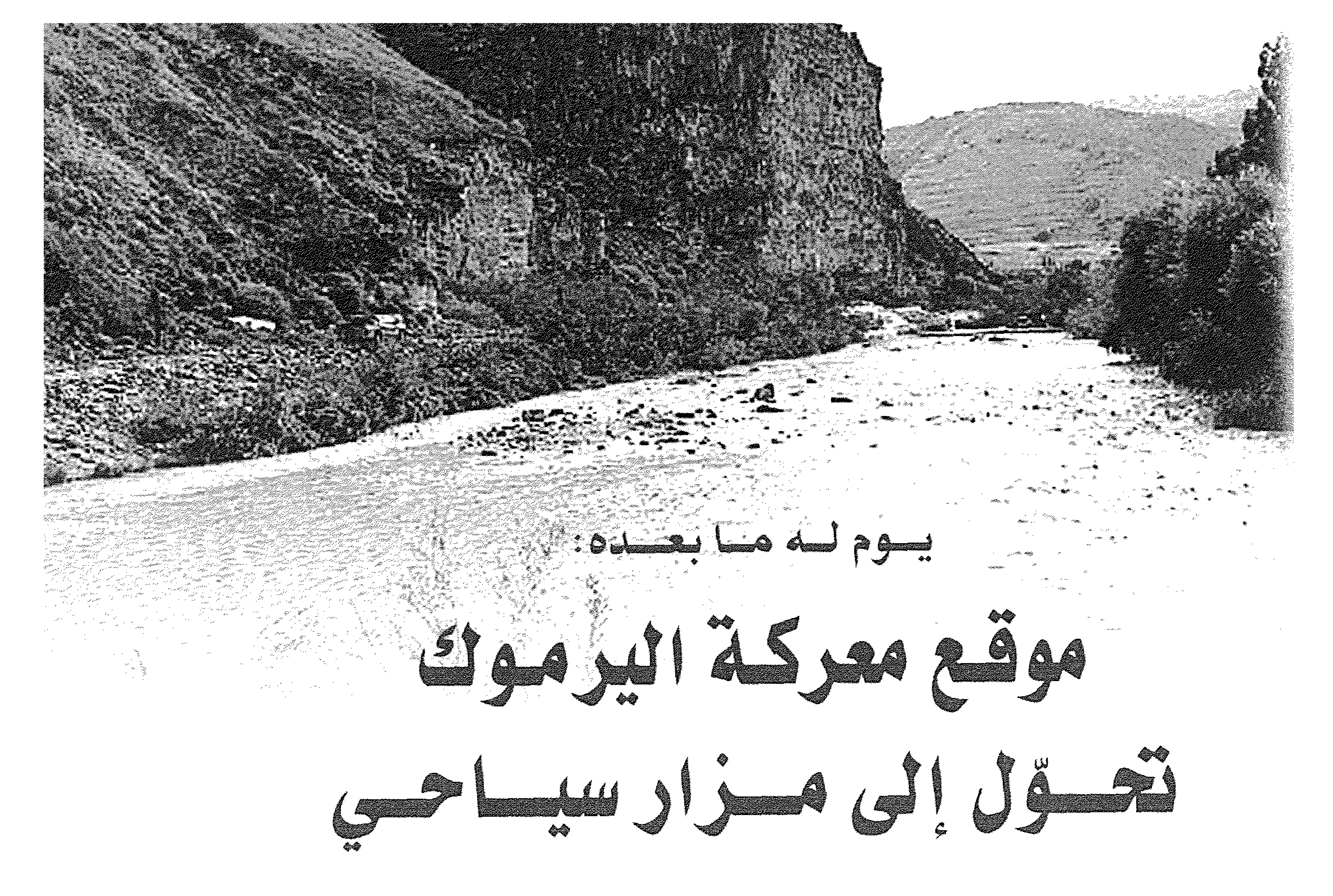

١) تاريخ الحرم القدسي: عارف العارف، مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، القدس، ١٩٤٧م.

٢) بلادنا فلسطين.. في بيت المقدس: مصطفى مراد الدباغ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت ١٩٧٥م.

٣) قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس: عارف العارف، مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، القدس ١٩٥٥م.

٤) كنوز القدس: تنسيق المهندس رائف نجم، وتأليف كل من : رائف نجم، د. عبد الجليل عبد الهادي، يوسف النتشة، م. بسام الحلاق، وعبد الله كلبونة، ط١، ١٩٨٣م.

٥) جريدة الفنون، الكويت، العدد ٢٨، نيسان / إبريل ٢٠٠٣م.



## يوم له ما بعده:

# موقع معركة اليرموك تحوّل إلى مزار سياحي

**الخامس من شهر رجب عام ١٥ هجرية الموافق ١٢ من أغسطس(آب) ٦٣٦م، خطب خالد بن الوليد في جنوده قائلاً: «هذا يوم له ما بعده..» ثم بدأت معركة اليرموك التي كانت حداً فاصلاً بين الروم والمسلمين.. وكانت فتحاً انتشر بعده الإسلام في ربوع بلاد الشام.. ثم العالم. مكان المعركة التاريخية الآن مزار سياحي.. ذهب إليه زميلنا د. ثابت ملكاوي ليقول لنا ما رأى.. وكيف يمكن أن نعتبر.**


■ د. ثابت ملكاوي

■ تصوير: إسماعيل يوسف عبيدات


على بعد مائة كيلومتر شمال العاصمة الأردنية عَمان، وعلى بعد حوالي عشرين كيلومتراً شمال مدينة إربد، تنتصب على يمين الطريق لافتة بنفسجية اللون تدل على موقع أثري تشير إلى (موقع معركة اليرموك) وهي واحدة من أهم معارك العرب المسلمين. والتي غيرت مجرى التاريخ، حيث انتصر فيها المسلمون على أهم إمبراطورية في ذلك العصر.

هذا الموقع هو بداية لمنطقة تعرف بـ (بني كنانة) وهي لواء إداري أقصى شمال الأردن يتبع محافظة إربد، يضم أكثر من ٢٥ قرية أكثرها قرى قديمة تأسست في حضارات عربية غابرة، بعضها حافظت على اسمها حتى الآن دون تعديل أو تبديل.. مثل قرى: كفرسوم، سحم، حرثا، عقربا، الرفيد، ملكا، حاتم، ابدر، حبراص، عزريت، سمر، أم قيس، وغيرها.

ومن الصعب معرفة هل هذه القرى كانت موجودة في زمن المعركة أم لا، إلا إذا ورد اسمها في كتب تاريخية قديمة، كتبها مؤرخون عربٌ في القرون اللاحقة لمعركة اليرموك، فالمعروف أن حركة التدوين والتأليف

العربية كانت قد بدأت فعلياً في القرن العباسي الأول، ثم تصاعدت في ازدهارها في القرون التالية.

وقد وردت أسماء بعض القرى في الكتب التاريخية القديمة المحققة والمنشورة منها ما حافظت على أسمائها حتى اليوم مثل القرى التي مرّ عليها خالد بن الوليد في رحلته الأولى من العراق إلى موقع معركة اليرموك أو أبو عبيدة عامر بن الجراح، أو يزيد بن أبي سفيان، أو عمرو بن العاص، أو شرحبيل بن حسنة، أوائل القادة الإسلاميين الذين فتحوا بلاد الشام وحرروها من الاحتلال الروماني.

## بني كنانة

هذه المنطقة -بني كنانة- أخذت هذه التسمية القديمة نسبة إلى قبيلة كنانة العربية المعروفة التي سكنتها قبل الفتوحات الإسلامية، فالمعروف أن كثيراً من القبائل العربية القادمة من الجزيرة العربية توزعت على منطقة بلاد الشام، واستقرت بها.. فأسست حواضر ومدنا وحضارات استمر وجودها بذات الاسم، حتى الفتح الإسلامي للمنطقة.

وعلى امتداد الطريق المؤدي إلى الموقع الأثري التاريخي لمعركة اليرموك، تنتشر على جانبيه قرى بني كنانة، أهلها بسطاء طيبون، أجدادهم شهدوا معركة اليرموك، وربما شارك الكثير منهم فيها.

ورغم مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على معركة اليرموك، إلا أن ثمة شعوراً غزيراً، وقعه شديد على الذات، يشير إلى أن هذا الزمن ليس ببعيد، وأن المعركة قد حدثت قبل زمن قصير.

ونسأل المارة في الطريق إلى موقع معركة اليرموك، أين موقع المعركة بالضبط؟ نسألهم رجالاً ونساءً، يشيرون بحماس وفخر، تابع سيرك، انعطفوا يميناً أو شمالاً، خذ الطريق المؤدي إلى قرية (عقربا) وهناك اسأل عن الطريق.

تابعنا السير ونحن نتذكر قصصاً وروايات تناقلها الناس، ونحن صغار، حين كنا نذهب في رحلات إلى أعلى قمة جبل تطل على خندق نهر اليرموك، كانوا يقولون إنهم في الليالي المعتمة حين يصغون السمع وهم قريبون من مركز الموقعة، إنهم كانوا يسمعون صيحات المسلمين (الله أكبر الله أكبر)، وإنهم كانوا يسمعون صراخ الروم واستغاثتهم، وهم يتساقطون في ذلك الخندق القريب من الواقوصة.

اقتربنا بالسيارة من موقع المعركة أنا والمصور وهو من أهل المنطقة بعد أن قطعنا بضعة كيلومترات في سهول منبسطة، يفصلها عن سهول هضبة الجولان واد عميق يصل عمقه أكثر من مائتي متر، وقد يتعدى ذلك في أماكن أخرى، واد مازال اسمه حتى الآن: وادي خالد، أي خالد بن الوليد. يجري فيه نهر اسمه منذ القدم (نهر اليرموك)، الآن هو نهر صغير، ليس أكثر من مجرى مائي بانحدار شديد، يستمر جريانه طوال العام، لكنه ليس بالنهر المتعارف عليه ولا يستطيع مركب مهما صغر حجمه السير فيه، مجراه في الصيف لا يتعدى بضعة أمتار قليلة، غير أنه في الشتاء يتسع حتى يملأ معظم أرجاء الوادي، حيث تصب فيه مياه الأمطار الساقطة على سفوح التلال والجبال المحيطة ومنها بعض من مياه جبل الشيخ المعروف.

وبعد الاحتلال الإسرائيلي لهضبة الجولان السورية عام ١٩٦٧م، سرقت مياهه، وتركته شعباً بسيطاً ضحلاً، قد يجف في فصل الصيف، وهي الآن تحتل الجانب المقابل لنهر اليرموك، وجزءاً من الأراضي المحيطة بموقع المعركة من الجانب السوري!!.

هذا النهر منذ أزمان بعيدة يعرف بهذا الاسم، والمعركة قد تسمت باسمه، أما الدولة فقد سجلته في وثائقها وخرائطها باسم وادي خالد.. والوادي يعدُّ حداً جغرافياً سياسياً فاصلاً بين الأردن وسوريا، فشمال الوادي لسوريا حيث هضبة الجولان، وجنوبه للأردن حيث منطقة بني كنانة..!

## نخوة عربية

تقول بعض الروايات التاريخية: إنّ أهالي هذه المنطقة المحيطة بموقع المعركة، وقد كانوا وقتها تحت الاحتلال الروماني تابعين لدولة الغساسنة انقسموا فيما بينهم إلى قسمين: قسم اختار أن ينضم تحت لواء جيش تابع للدولة الغسانية يحارب مع جيش الروم، وقسم آخر رفض الانضواء إلى هذا الجيش، فما أن سمعوا بمقدم الألوية العربية حتى تسارعوا للانخراط فيها، وأكثرهم انضم إلى لواء خالد القادم من العراق، وقد كانت شخصية خالد العسكرية تستهويهم وتثير فيهم الحمية العربية، فانضموا إليه ولم يكونوا قد دخلوا الإسلام بعد، لكن نخوتهم العربية شدتهم إلى الجيش العربي الإسلامي القادم من أرض العراق والحجاز..

## من ذاكرة التاريخ

رغماً عني، وأنا أطل على موقع المعركة، عادت بي



موقع معركة اليرموك ومنحدر الواقوصة الذي تساقط فيه جنود الرومان

الذاكرة، وهي ذاتها الذاكرة العربية التي يعرفها كل عربي ومسلم، ويعرفها الجميع.. إلى أنه بعد الانتهاء من حروب الردة، وطلب الخليفة أبو بكر الصديق «رضي الله عنه» من القائد خالد بن الوليد أن يتجه بجيشه من اليمامة إلى العراق في سنة ١٣ هجرية، حيث تم من هناك تجهيز جيش عربي إسلامي ليتجه إلى بلاد الشام، بأكثر من شعبة استراتيجية.. فبعث الصديق بعمرو بن العاص إلى فلسطين، وسيّر يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة، رضي الله عنهم أجمعين، آمراً إياهم أن يسلكوا تبوك إلى منطقة شرقي الأردن، وكان عدد كل لواء من هذه الألوية الأربعة ثلاثة آلاف مقاتل، وقد توالت عليهم النجدات فيما بعد.

أبو عبيدة بن الجراح ولواؤه نزل على طريق دمشق، ونزل يزيد البلقاء مهدداً مدينة بصرى، ونزل شرحبيل بأعلى غور نهر الأردن فوق بحيرة طبريا، أما عمرو بن العاص فقد وصل إلى وادي عربة.. وجعل عكرمة على قوة إسناد لهذه الألوية قوامها ستة آلاف جندي.

هذه التحركات العسكرية الإسلامية نبهت قيادات الروم في المنطقة، فبلغوا قائدهم هرقل، وقد كان حينذاك في حمص، فجهز جيشاً جراراً، يفوق عدده في كثير من روايات التاريخ ٢٤٠ ألف مقاتل، وأراد هرقل أن يحارب كل لواء إسلامي متفرقاً لوحده..

## أمراء الجيوش والخطر الرومي

أمراء الجيوش العربية المتفرقة على مساحة واسعة في بلاد الشام، أحسوا بالخطر الرومي، واستشعروه بما يملكون من خبرة قتال وخبرة حرب، كان عدد كل لواء من الألوية الأربعة لا

يزيد عن أربعة آلاف، وقوات إسناد القائد عكرمة لا تزيد عن ستة آلاف، وقد كانت مهمة القوة التي يقودها عكرمة في نجدة من يطلبها من الألوية الأربعة إذا ما صادفها خطر محدق.. فماذا تفعل قوة من ٢١ ألف مقاتل أمام أكثر من ٢٤٠ ألف مقاتل رومي إذا ما تم تجميع قوات الروم.؟

استشار الأمراء القائد عمرو بن العاص، وقد كان معروفاً بحنكته ورجاحة رأيه، فأشار عليهم أن اجتمعوا معاً بجيش واحد، كما كتبوا إلى القيادة العليا في المدينة المنورة، إلى الخليفة أبي بكر الصديق، فجاءهم الجواب على عجل: أن اجتمعوا وكونوا عسكراً واحداً. القائد الرومي هرقل، أدرك مرمى المسلمين باجتماع قواتهم، فكتب إلى قادة جيوشه في بلاد الشام أن اجتمعوا لهم، فاختاروا مساحة فسيحة بجانب مياه اليرموك، تضيق هذه المساحة داخل الوادي بعد مسافة، بحيث لا تسمح لجنده بالفرار، كما أن هذا المضيق من الوادي يصعب اختراقه من قوات محاربة.. ووادي خالد يمتد بطول أكثر من عشرين كيلومتراً، يضيق أحياناً على جانبي الماء، ويتسع وينبسط في أماكن أخرى، وقد اختار الروم منطقة منبسطة عسكروا فيها، تفيض على اختناق في الوادي اسمه (الواقوصة) تعرف به حتى الآن.. الماء تحت أقدامهم، وجانبا الوادي يشكلان لهم حامياً أمنياً طبيعياً أمام المسلمين.

اختارت القيادة الرومية هذا المكان للمعركة، لقد حددت مكان المعركة، فهي القوة الأكبر عدداً وعتاداً، وهي إذن، التي تملك، كما اعتقدت، إرادة اختيار المكان، وقد رسمت على أن المكان القريب من (الواقوصة) هو المكان المناسب لتحقيق النصر على القوات الإسلامية، إما بالقتال السريع المباشر، إذا رغبت القوات العربية الإسلامية أن تبدأ بالهجوم، أو بتكتيك الانتظار بأن يدفعوا المسلمين للانتظار وجرهم إلى مناوشات الاستنزاف وكسر المعنويات شيئاً فشيئاً، فالروم غير متعجلين.

قادة جيش الروم كانوا يراهنون على إضعاف معنويات المسلمين بكثرتهم وإحداث إرباك بينهم إذا طال موعد الحسم، هكذا اعتقدت القيادة الرومية.. وهكذا خططت للمعركة وللحرب.

## فكر عسكري راق

ثم عسكر جيش المسلمين، وقد تجمعت الألوية مع بعض، قريباً من جيش الروم، ينتظرون ساعة الصفر، وخلال فترة الانتظار والمناوشة، استغاث قادة المسلمين في اليرموك، بقيادتهم العليا في المدينة المنورة وقد هالتهم قوة وكثرة جيش الروم، فأمر الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد، وكان وقتها في العراق، أن يتجه فوراً إلى رفاقه في اليرموك، فوصلها في زمن قياسي، وأيام قليلة، وقد وصله أن جيش المسلمين في خطر شديد مع الروم إذا وقعت المعركة. فسلك خالد طريقاً في مفازة شديدة الحر وسط الصحراء، كان العرب يتجنبونها لانعدام مائها، قطع هذه المفازة الواسعة في خمسة أيام بعد أن ابتكر طريقة يخزن فيها الماء للخيول، فقد عَطّشَ مجموعة من الإبل المسنة، ثم أسقوها مرتين، ثم ربط على آذانها وشد مشفرها حتى لا تجتر، وكل يوم في المفازة ينحر بعضها ويستخرج ما في بطونها فيمزجه باللبن ويسقي بها الخيول حتى انتهى من المفازة وأفاض على الطريق التي بها ماء..

وكان خالد في الطريق الذي يسلكه يفتح القرى والقبائل التي تصادفه، يصالح من صالح، ويتزود منهم بالماء والمؤن، والرجال لمن يرغب أن ينضم معه، أو يقاتل من عصى وأبى.

جاء في كتاب الكامل للمبرد: «.. فأتى حدوداء، فقاتله أهلها فظفر بهم، وأتى المصيخ وبه جمع من تغلب، فقاتلهم وظفر بهم، وسبى وغنم، وكان من السبي الصهباء بنت حبيب ابن بجير، وهي أم عمر بن علي بن أبي طالب، وسار خالد فلما وصل إلى قراقر، وهو ماء لكلب أغار على أهلها، وأراد أن يسير عنهم متجاوزاً إلى سوى وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال فلم يهتد، فالتمس دليلاً فدل على رافع بن عميرة الطائي فقال له الدليل، إنك لا تطيق ذلك بالخيل والأثقال، فوالله إن الراكب المفرد يخافه على نفسه، وما يسلكها إلا مغرور، فقال له خالد: إنه لابد لي من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم لئلا تحبسني عن غياث المسلمين». ففعل ما فعل بنجاح في قطع تلك المفازة الخالية من الماء.

«.. فلما انتهى خالد إلى سوى أغار على أهلها وهم بهراء، قبيل الصبح وهم يشربون الخمر في جفنة قد اجتمعوا إليها ومغنيهم يقول:

**ألا عللاني قبل جيش أبي بكر ... لعل منايانا قريب ولا ندري**

**ألا عللاني بالزجاج وكررا ... على كميت اللون صافية تجري**



سهول بني كنانة والجولان المطلة على موقع معركة اليرموك

ألا عللاني من سلافة قهوة
تسلي هموم النفس من جيد الخمر
أظن خيول المسلمين وخالدا
ستطرقكم قبل الصباح مع النسر
فهل لكم في السير قبل قتالكم
وقبل خروج المعصرات من الخدر

فقتل المسلمون مغنيهم وسال دمه في تلك الجفنة، وأخذوا أموالهم، وقتل حرقوص بن النعمان البهراني، ثم أتى أرك فصالحوه، ثم أتى تدمر فتحصن أهلها ثم صالحوه، ثم أتى القريتين فقاتلهم فظفر بهم وغنم، وأتى حوارين فقاتل أهلها فهزمهم، وأتى قصم فصالحه بنو مشجعة من قضاعة، وسار فوصل إلى ثنية العقاب عند دمشق ناشراً رايته وهي راية سوداء وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب فسميت الثنية بها، ثم سار فأتى مرج راهط، فأغار على غسان في يوم فصبحهم فقتل وسبى، وأرسل سرية إلى كنيسة بالغوطة، ثم سار إلى بصرى، فقاتل من بها فظفر بهم وصالحهم، فكانت بصرى أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق..».

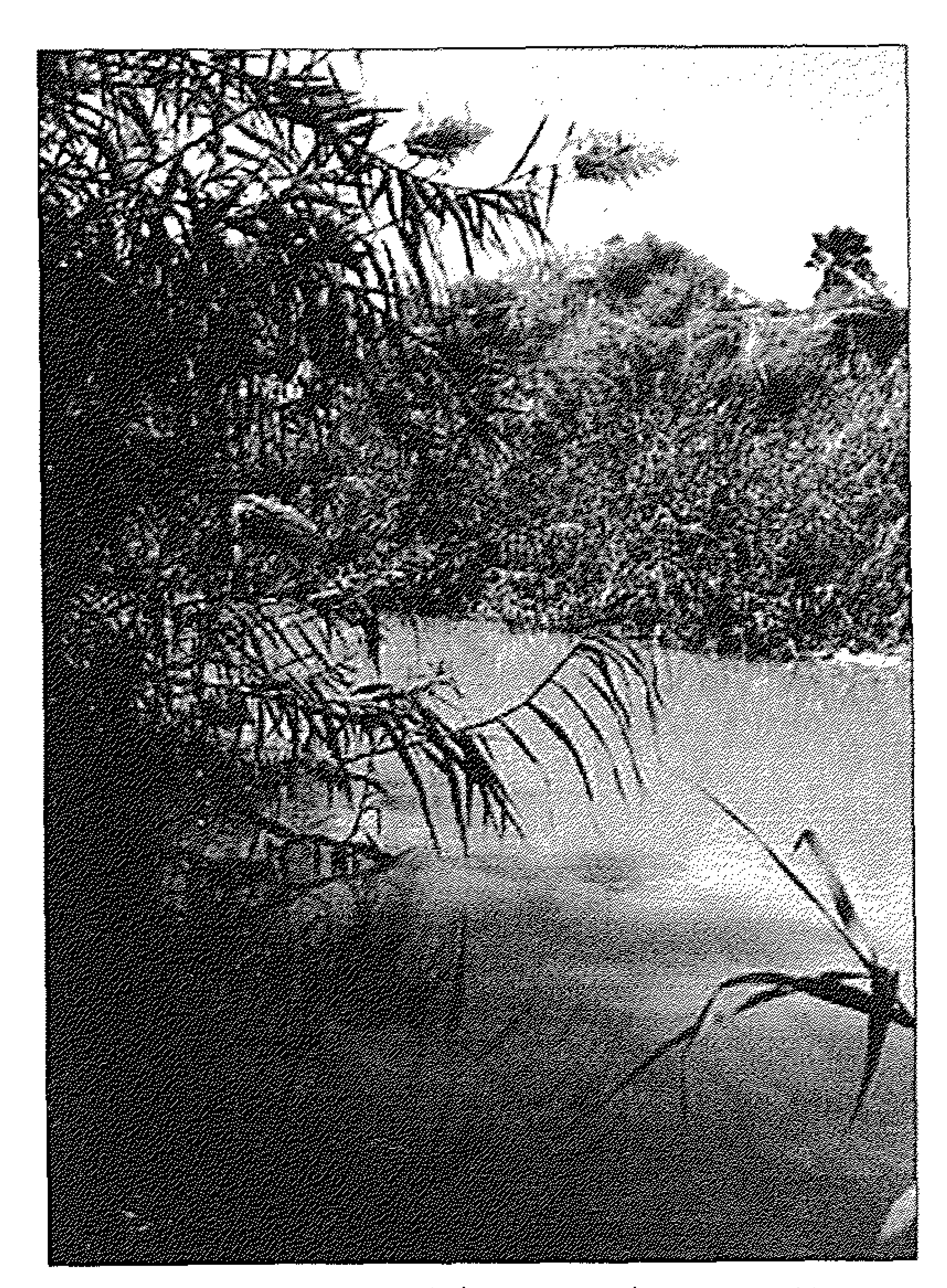
كانت هذه فتوحات صغيرة لخالد بن الوليد وهو في طريقه للفتح الأكبر في اليرموك !!

وصل خالد أرض اليرموك، في ربيع الآخر عام ١٣ هجرية، وكان على قوة تقدر بستة آلاف مقاتل، اختارهم أقوياء أشداء، «وقيل خرج من العراق بثمانمائة، وقيل في ستمائة، وقيل في خمسمائة، وقيل في تسعة آلاف، وقيل في ستة آلاف، وقيل إنما أمره أبو بكر أن يأخذ أهل القوة والنجدة»، وقيل إن جنده قد تعاظم عددهم في الطريق إلى اليرموك، من اهل الحماسة والنخوة العربية..

اختاره قادة الألوية الإسلامية فور وصوله قائداً لهم في المعركة، وقد خبروا حنكته ودرايته في أساليب الحرب والقتال.. وكانت الألوية الأربعة فيما عدا لواء عكرمة بن أبي جهل المساند للألوية جميعاً تقاتل الروم، كل لواء بقيادة منفصلة.

## يوم.. له ما بعده

يقول المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: «كان قتال المسلمين للروم على تساند، كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد حتى قدم خالد بن الوليد من العراق، وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهراً، ثم خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال في الخامس من رجب سنة ١٥هـ/ الموافق ١٢ أغسطس (آب) ٦٣٦م، فلما أحس المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين -أي كل أمير على أصحابه- فسار فيهم خالد بن الوليد، وقال لهم: إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم


نهر اليرموك شاهد على بطولات المسلمين في المعركة

وارضوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبئة وأنتم متساندون، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه رأي من واليكم ومحبته، قالوا: هات فما الرأي، قال: إنّ أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من إمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله فقد أفرج كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه إن دان للأمراء ولا يزيده عليه أن دانوا له، إن تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله، هلموا فإن هؤلاء قد تهيأوا وإن هذا يوم له ما بعده: إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وإن هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن بعضنا اليوم، والآخر غداً، والآخر بعد غد، حتى تتآمروا كلكم، ودعوني أتأمركم اليوم، فأمروه..

## «ذادة العرب.. وأنصار الإسلام»

فخرجت الروم في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط، وخرج القائد خالد بن الوليد في تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك، فخرج في ستة وثلاثين كردوساً -كل كردوس ألف خيال في قطعة واحدة متراصة- وقال لهم خالد: إن عدوكم كثير، وليس تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس، فجعل القلب في كراديس وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد ابن أبي سفيان، وكان على كردوس القعقاع بن عمرو، وجعل على كل كردوس رجلاً من الشجعان، وكان قاضي جيش المسلمين أبا الدرداء، والقاص ابو سفيان بن حرب الذي يعظ الناس ويحرضهم على القتال، فكان يقف على كل كردوس ويقول: الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك.. ثم أمر خالد عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو -وكانا على مجنبتي القلب، فأنشبا القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا، وصمد المسلمون صموداً عظيماً.. فتضعضع الروم، ونهد خالد بن الوليد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورَجِلهم، فانهزم الفرسان وتركوا الرجالة، ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للمهرب أفرجوا لها فتفرقت وقتل الرجالة، واقتحموا خندقهم، فهوى في الخندق المقترنون مع بعضهم البعض، وتساقط جند الروم في الخندق وهم يفرون، وقيل إن عدد الذين سقطوا من حافة الخندق والذي يزيد ارتفاعه على مائتي متر حوالي ثمانون ألفاً، سقطوا وهم يهربون مذعورين من مطاردة المسلمين لهم..

انهزمت الروم في هذه الموقعة الكبرى شر هزيمة، وكان عددهم يزيد عن المائتين وأربعين ألف مقاتل، أكثرهم مقيد أو مسلسل، كتفكير عسكري روماني، رأوا فيه أسلوباً عسكرياً يجلب النصر لهم، فهزموا، وانحسر الروم عن بلاد الشام، واندحروا بعيداً عنها.

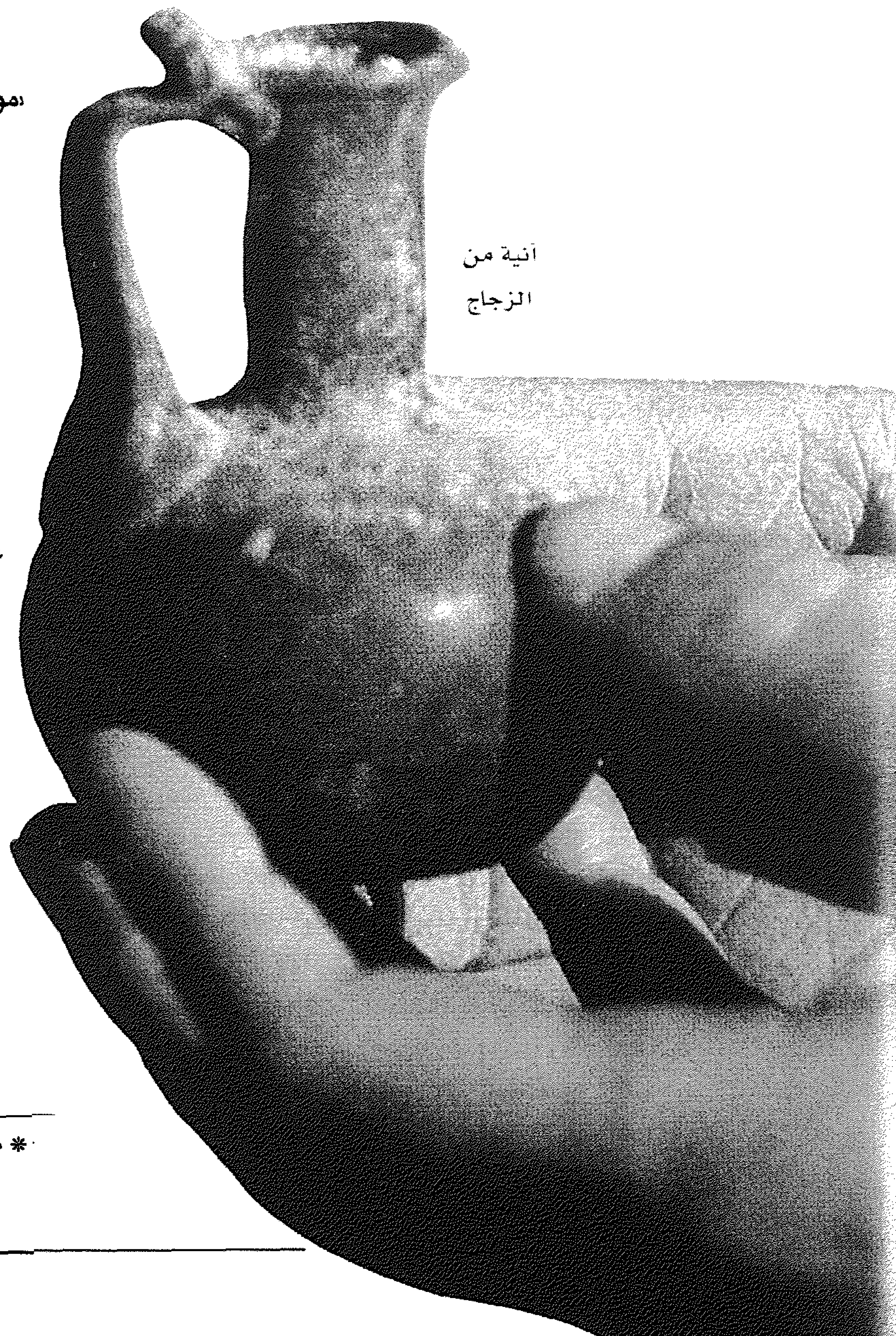
وفي هذه المعركة استشهد عدد من الصحابة منهم: سعيد بن الحرث السهمي وهو من مهاجرة الحبشة، ونعيم بن عبد الله النحام العدوي، والنضير بن الحرث بن علقمة وهو قديم الإسلام والهجرة، وأخو النضر الذي استشهد ببدر، وأبو الروم بن عمير أخو مصعب بن عمير، ومن أصيب من المسلمين في هذه المعركة ثلاثة آلاف، منهم عكرمة وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبو سفيان بن حرب.■

في الإمـارات

# اللقى الأثرية تكشف جانباً من التقاليد والمعتقدات الدينية

■ دة. امتثال النقيب *

مواقـع الآثار في دولة الإمارات العربية غنية باللقى الأثرية، بعضها يحمل كتابات ونقوشاً مهمة تفيد في مجال تسليط الضوء على بعض الظواهر الاجتماعية في تلك الفترة، كالعادات والتقاليد، واللغة، والمعتقدات الدينية.ومن هذه المواقع موقع الدور في أم القيوين، الذي عثر فيه على عدد من اللقى الأثرية المرسوم عليها بعض النقوش والكتابات، والتي قد تفيد في بعض الدراسات، منها طقم شراب من البرونز يفيدنا في محاولة فهم وتفسير بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة في تلك الفترة، وأيضاً لها دلالات واضحة خصوصاً على عملات منطقة شرق الجزيرة العربية.



آنية من الزجاج

* مدير عام دائرة المتاحف والتراث - أم القيوين.

شعوب وسكان كل منطقة، ولكنها تعود إلى نفس الإله، ومع ذلك يتوجب علينا وضع افتراضات تقوم عليها هذه الدراسة، والتي هي موضوع هذا المقال.

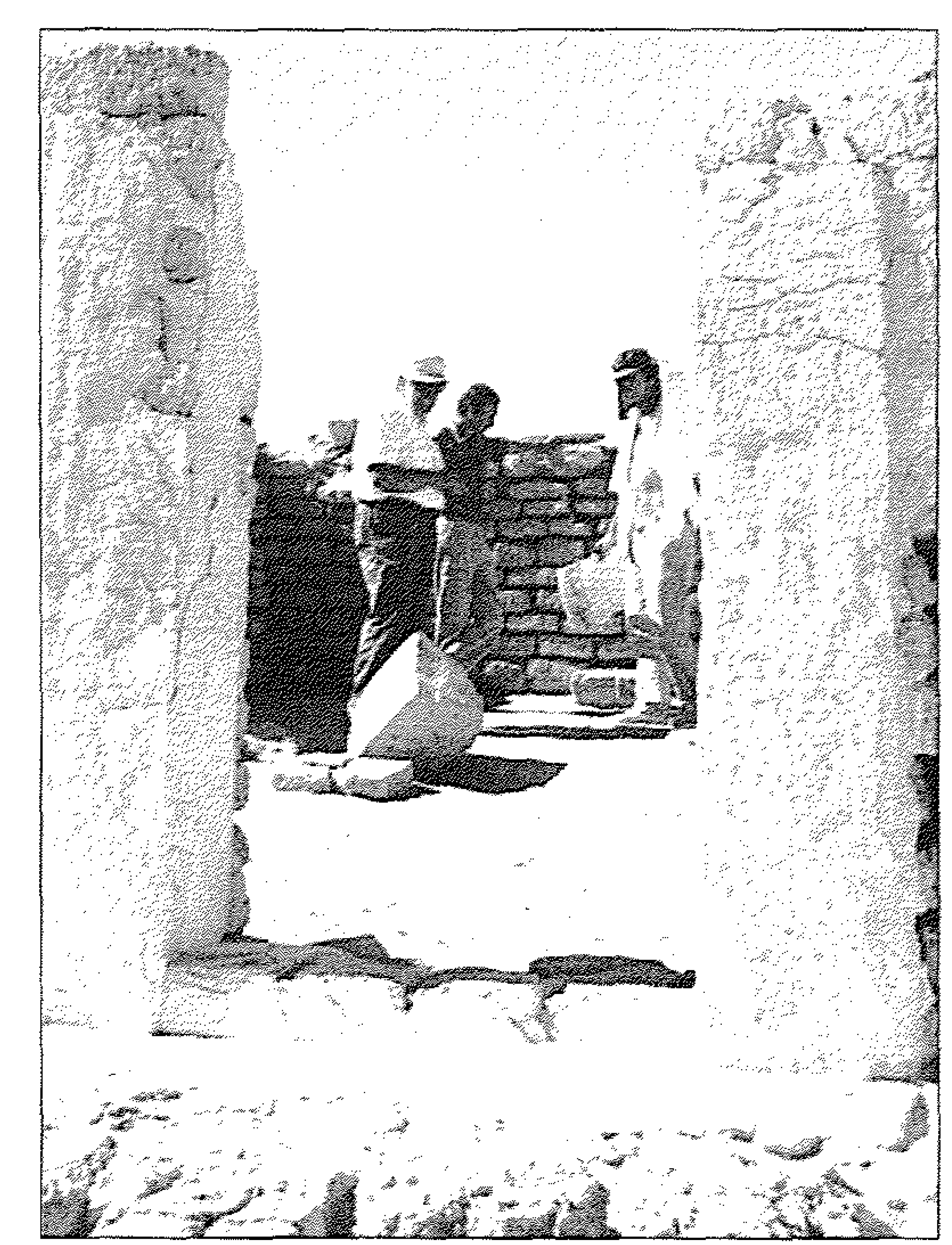
## تماثيل الحصان والصقر ودلالتهما

أما فيما يخص نقوش لقى الدور الأثرية بصورة خاصة وشرق الجزيرة العربية بصورة عامة خلال القرن الأول، فإننا نعتقد أنها تعود أساساً إلى عرب ما قبل الإسلام، وأنها مرتبطة بمبادئ القبائل الجنوبية السامية. وبما أن الآلهة كانت تمثل دائماً بصور الحيوانات، سنفترض هنا أن الحصان والصقر كانا يمثلان الإله (شمش)، وأن (الأسد) وتمثال (المرأة) يمثلان آلهة أخرى.

فالصقر وبالرغم من أنه لم يظهر على طقم البرونز المكتشف في الدور، إلا أنه من اللقى المهمة جداً، حيث اكتشف فريق جامعة غينت في عام ١٩٨٧م أثناء موسمه الأول بالمنطقة، مبنى ربما يكون معبداً لإله الشمس. ومكنت حفريات عامي ١٩٨٨ و١٩٨٩م من كشف أربعة مذابح وبئر ماء بالقرب من المعبد، وكان لهذا المبنى مدخل من الجانب الشرقي- حيث تشرق الشمس، وباب صغير على الجانب الغربي، حيث تغرب، وأثناء الحملة الأثرية الثانية، اكتشفت البعثة كتابات هي حسب الباحث، (J.TEIXIDOR) باللغة الآرامية يظهر اسم إله الشمس ( شمش) في وسط النص، كما تم العثور على نقش باللغة الآرامية يتكون من سبعة سطور مكتوبة على أحد جوانب مبخرة، وثلاثة سطور أخرى على الجانب الآخر منها، كما عثر على حجر مستطيل موضوع على أحد المذابح الأربعة بالقرب من معبد إله الشمس بالدور، وهذا النقش يعدُّ أطول نقش حتى الآن باللغة الآرامية عثر عليه في جنوب شرق الجزيرة العربية، كما تم العثور على كلمة من خمسة حروف على كسرة فخار، بالقرب من مدخل المعبد في الدور وهذه الكلمة (عربا أو عرابا)، وهذه الحروف الخمسة وكما قال دجون هيلي ليست آرامية بل يهودية / آرامية (JEWISH\ARAMIAC).

كما تم العثور على حروف آرامية متفرقة على كسر من الفخار والحجارة في موقع مليحة، وربما تكون هذه الحروف الآرامية عن (اللهجة الميسانية / المندائية) حسب قوله أيضاً.

ووجدت هذه الحروف منقوشة أيضاً على العملات المكتشفة في الدور ومليحة، كما تم العثور على الكتابة



البعثة أثناء اكتشاف معبد إله شمش في الدور

ولا نملك حالياً أي مصدر مكتوب عن ديانة هذه المنطقة ومعتقداتها في ذلك الوقت، لكن قد نستعين لمعرفتها بدراسة الآثار واللقى الأثرية للكشف عن تلك الديانة. ولكن حتى هذه بالتأكيد، ليست بالأمر السهل، لأنه لا بد من الأخذ في الاعتبار أنه كانت هناك خلال الفترة منذ نهاية الألفية الأولى قبل الميلاد وحتى عصرنا هذا، متغيرات كثيرة مختلفة، خاصة سيطرة الحضارة الإغريقية- الرومانية التي انتشرت في الدول الشرقية.. أضف إلى ذلك، توافق أو تداخل الأفكار والمبادئ الدينية لدى السكان العرب الذين سكنوا السواحل وتلك المستقرة في وسط وشمال الجزيرة العربية، ناهيك عن العادات والتقاليد التي كان يتبعها السكان، حيث رافقت التجارة والانفتاح في هذه الفترة تغييرات هامة في الأفكار والمعتقدات، وقد ساهمت هجرة القبائل العربية في نشر بعض من هذه المبادئ والتقاليد الجديدة، كما يجب الأخذ في الاعتبار المتغيرات التي يمكن أن تظهر مع مرور الوقت.

من الواضح أن سرد النزعات المختلفة لسكان المستوطنات الأثرية في تلك الفترة أمر في غاية التعقيد لأنه لم يكن لكل آلهة رمز واحد فقط، بل كان لبعضها عدة رموز وشعارات وشخصيات، تتخذها

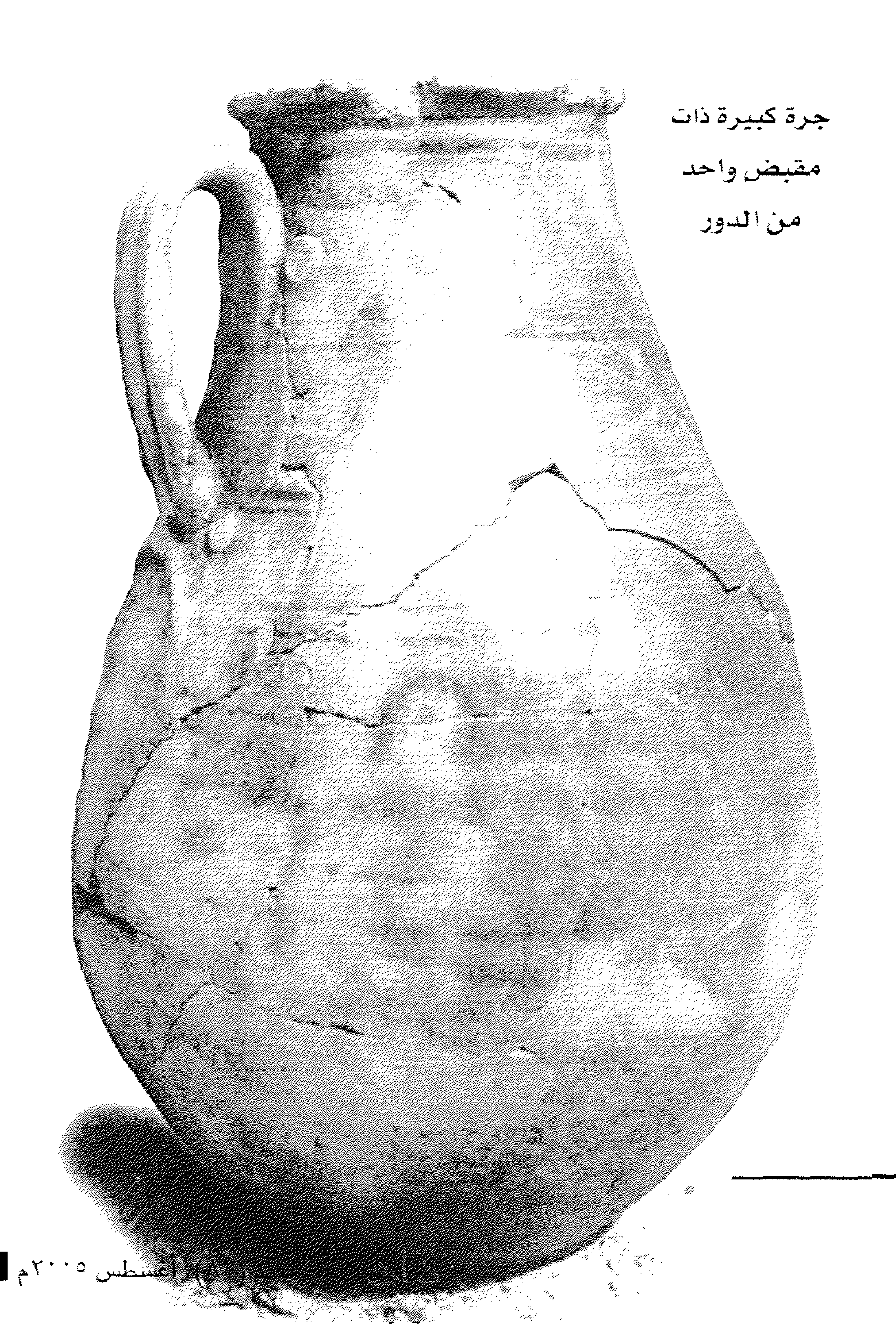
اليونانية في المنطقة، ومنها أختام ومقابض جرار وحروف العملات المكتشفة في الدور، وعثر كذلك على حروف لاتينية (..WNV) منحوتة على كسرة لجرة فخارية في موقع الدور الأثري، وثلاثة حروف أخرى (PBA) منقوشة على كسرة لجرة فخارية في مليحة، ووجود هذه النقوش والحروف الآرامية في المنطقة يدل على أن السكان ربما قد استخدموا الآرامية في تعاملاتهم التجارية اليومية، حيث إنها لغة واسعة الانتشار استخدمت في منطقة تمتد من نهر السند إلى سواحل البحر المتوسط، وكذلك وجود حروف اللغتين اليونانية واللاتينية على بعض اللقى الأثرية يشير إلى التبادل التجاري مع بلاد الشام، كما عثر بالمعبد على تمثال طائر من الحجر مقطوع الرأس يمكن أن يكون صقراً. ويوجد بجانب الباب الشرقي الذي تحدثنا عنه عمودان يمكن تخيل منحوتات عليهما. وهكذا من المتوقع أن يكون الموضع الأصلي لأحد التمثالين اللذين عثر عليهما الفريق الفرنسي أمام المعبد. ويلفت النظر إلى أن هاتين المنحوتتين تشبهان تلك المنحوتات الموجودة في مدينة حترا (الحضر) العربية، مدينة الإله (شمش) في بلاد ما بين النهرين، إذ يعتبر حامياً ورمزاً للصيد، حيث عُبد الإله نسر في مدينة الحضر العربية في بلاد مابين النهرين، وقد كان معروفاً بـ (نشرا)، وكان مصدراً لحماية المدينة ومصدر قوتها، كما عُبد هذا الإله في سوريا حيث ورد ذكره باللغة السريانية، والنسر هو رمز للعقاب، وقد استخدم النسر والصقر في الصيد، والتماثيل الثلاثة المكتشفة بالدور تشبه العقاب والصقر وليس النسر، ويتضح من خلال النقش المكتشف في الدور أن السكان عرفوا عبادة (إله الشمس) بالإضافة إلى عبادة (الإله نسر)، ومن المحتمل أن المعبد المكتشف في الدور قد خصص لعبادة الشمس والنسر معاً كما يشير البروفسور إرني هيرنك.

## الصقر على الخواتم

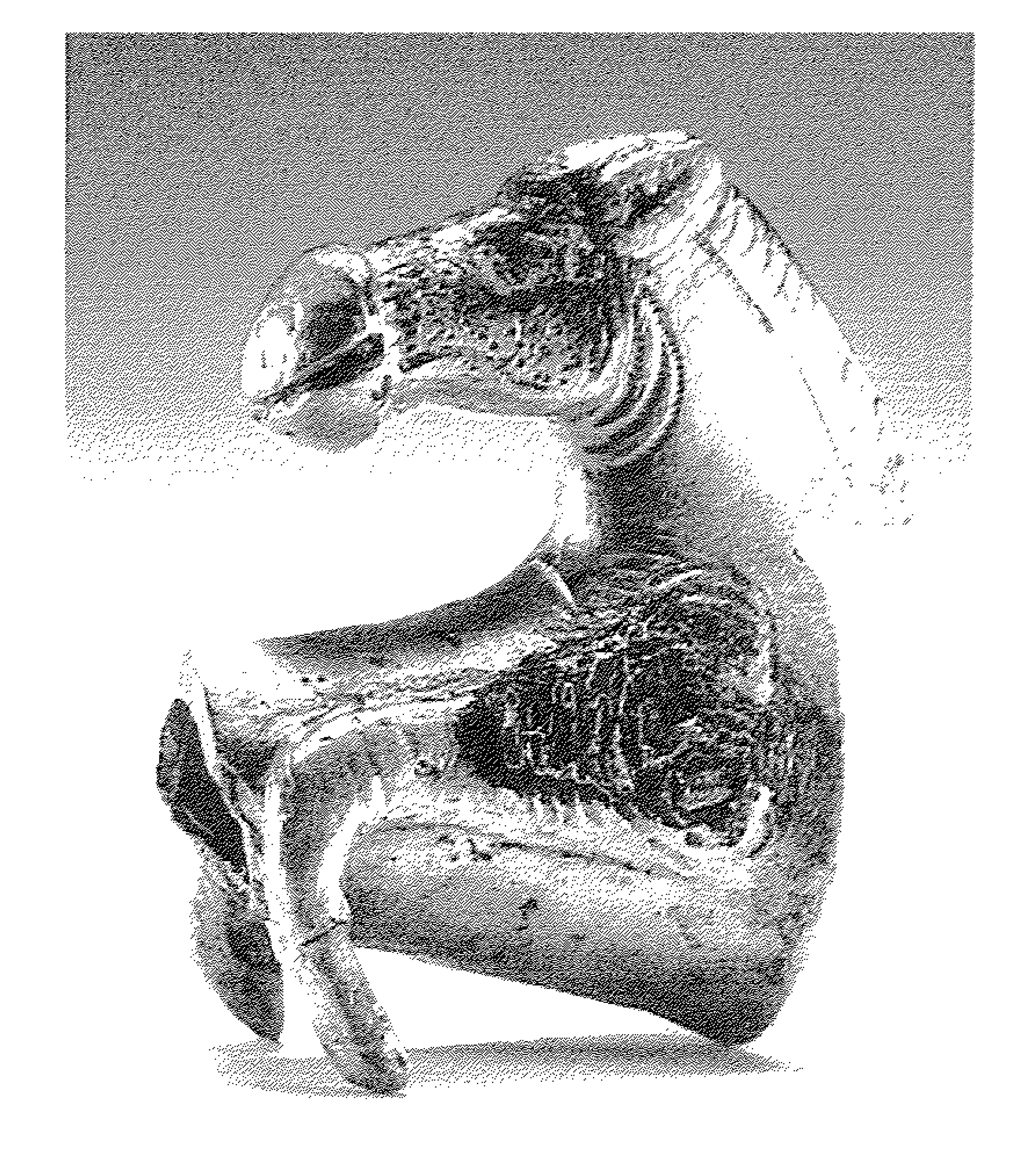
وفي القبر الذي وجد فيه طقم برونز الشراب، عثرت البعثة كذلك على ألواح عظمية وأخرى من العاج، ثلاث منها لنساء، واثنا عشر لوحاً تمثل صقوراً، ويتوافق هذا العدد مع عدد الأشخاص المدفونين، ويظهر الصقر أيضاً على فصوص الخواتم التي تم العثور عليها.

ويذكر أيضاً أن العملات المحلية كانت تقلد العملات السلوقية، ويظهر على وجهها رأس هرقل، عليه جلد أسد، أما على ظهرها، فيظهر شخص بلا لحية جالساً على عرشه ممسكاً بصقر على طرف يده الممدودة، أما اليد الأخرى فبها صولجان. ويظهر أحياناً أمام هذا الشخص الجالس اسم إله (شمس) مكتوباً بأحرف عربية جنوبية، لكن في الغالب الأعم هناك رمز أو علامة (تشبه عظمة الساق) من نفس المنطقة، وقد عثر بالدور على بعض الكسر ومعها نفس العلامة أو الرمز منقوش عليها، مما يشير إلى أن هذه العلامة تحمل رسالة ما. وقد لاحظ الباحث (O.MORKHOLM .etChr. ROBIN) فيما يخص العملات أن هذا الشخص الجالس لا يمثل الإله زيوس، إنما هو إله الشمس (شمش).

وقد فسر العرب صورة وجه العملة بأنها تعود إلى إلههم الأعظم (شمش). كما ذكر (Chr.ROBIN) أن الرسام حاول أن يمثل آلهة غير زيوس، وأن كلمة شمس إنما هي للتعريف. أما الباحث (H.SEYR IG) فقد أكد على عدم وجود أي لبس بين زيوس وإله



جرة كبيرة ذات مقبض واحد من الدور



الشمس، وإذا صحت هذه الأطروحة، فإن الأمر لا يعدو أن يكون تلاؤماً وتكيفاً مع الرموز وليس اعتناقاً لأفكار أو معتقدات، حيث لجأ العرب إلى النقوش الأجنبية وذلك لافتقادهم النقوش الخاصة بهم، ولكن كيفوها مع معتقداتهم الدينية.

## صور الحصان على شكل مصب

الحصان.. يبدو أن هذا الحيوان مرتبط بالإله (شمس) حتى في جميع أجزاء شرق الجزيرة العربية، أما في الدور، فيظهر الحصان على طقم الشراب البرونزي الذي عثر عليه في الموقع وذلك عند وصفنا للكوب، ولم يكن موقع الدور هو الوحيد الذي عثرنا فيه على أكواب ذات مصب في شكل صدر حصان، ولكنها موجودة في أماكن كثيرة في شرق الجزيرة العربية، كما كشفت حفريات الدور تمثالاً صغيراً مصنوعاً من سبيكة نحاسية ويمثل حصاناً عليه (فارس)، كما عثر على عظام حصان، ويوجد الحصان أو صدره على غالبية العملات المحلية ممثلة في عملة (الحاريتات) ملك الحضر العربية، بالإضافة إلى عملة أبييل التي تواصل تداولها منذ العصر السلوقي. ولا يحمل الشخص غير الملتحي، الجالس على العرش صقراً على يده الممدودة، بل يحمل حصاناً أو صدر حصان، كما تظهر شجرة نخيل.

وبعد تشتت القبائل اعتبر الحصان -الذي ربما عرف في الخليج فقط خلال القرون الأخيرة لحقبتنا هذه- حيواناً مميزاً وفريداً خصص لإله (الشمس)، الذي لا يمكن خلطه مع أي إله آخر أو أية آلهة أجنبية، كما هو الحال بالنسبة لصور الصقر التي كانت مخلوطة من صور أخرى، وهو ما كان موجوداً على العملات السلوقية، لذلك لم يكن ضرورياً وجود نص أو حرف لتفسير النقوش.

## النخلة تمثل إله الشمس

لا يستبعد استبدال العلامة أو الرمز بشجرة النخيل، شجرة الحياة، خاصة وأنها تمثل إله الشمس أو الإله الأعظم عند ديانات مختلفة. وربما من المهم في هذا الصدد، أن نذكر أن شجرة النخيل هي رمز الإله إنزاك، الإله الأعلى لمعبد دلمون. وليس مستبعداً أن ترتبط هذه الشجرة بالآلهة اللات، وهناك احتمال آخر يتمثل في عبادة نباتات نجهل اسمها.

وبالرغم من ظهور الحصان على غالبية العملات المحلية في الدور ومليحة، إلا أنه لم توجد له نماذج من الطين المحروق (الصلصال)، ولكن يوجد تمثال جمل عليه شخص راكب. والظاهرة نفسها موجودة في جنوب شرق الجزيرة العربية في موقع ثاج، حيث كانت هذه التماثيل تغلب على غيرها في فيلكا، أكبر جزر الكويت. وحسب عدد من الباحثين، فربما تمثل هذه التماثيل إله (الشمس)، إلا أنه من الصعب توضيح الفرق بين هذه المواقع في هذا المقال ولكني سأتناول ذلك في مقالات أخرى.

على أي حال، من الواضح كما يذكر بعض المؤلفين الكلاسيكيين أنه وحسب المصادر العربية والأثرية فإن إله (الشمس) يحتل مكانة هامة إن لم تكن الأهم في الديانة العربية لما قبل الإسلام، خصوصاً في مواقع الساحل العربي للخليج.

## آلهة نجمة الصباح

الآلهة الأنثى - (اللات / لات) : آلهة نجمة الصباح (كوكب فينوس)، نعتقد أنها الآلهة الأنثى التي ترتبط بالأسد وتماثيل النساء حيث تظهر على المغرفة التي اكتشفت في الدور وعليها خمسة أسود. وبالرغم من عدم وجود الأسد ضمن تماثيل الطين المحروق، إلا أنه في الغالب موجود في موقع الدور، وكذلك اكتشفت في مليحة صينية برونزية منقوش عليها (م ر أ م س) ومصور عليها فارسان يهاجمان أسداً، أحدهما يلبس درعاً والآخر من الخلف وبيده خنجر، والاسم منقوش على أحد الفارسين.

وتظهر الألواح العظمية والعاجية الموجودة بكثرة في قبور الدور الأسد ذا الفم المفتوح والذيل المنتصب. ويعد الحيوان في الديانات السامية قبل الإسلام شعار الآلهة أثار جاتس / عشتار أو اللات.

كما يمكن أن ترمز تماثيل النساء في الألواح العظمية والعاجية بالدور إلى هذه الآلهة.

ولنا أن نتساءل: هل اتخاذهم آلهة (أنثى) نوع من المجازفة؟ على أي حال، هيرودتس أبو التاريخ، يخبرنا أن العرب كانوا يعبدون آلهتين باسم (أوراني) وأوروتالت (ديونيسوس). وأيضاً كتب هشام ابن الكلبي من القرن التاسع أن جميع العرب كانوا يعبدون اللات. يفصل بين هؤلاء المؤرخين والمؤلفين أكثر من ألف عام ومع ذلك أجمعوا على أن اللات هي الآلهة الراسخة في المعتقدات الدينية لدى العرب قبل الإسلام.

وحتى إن لم نكن نملك غير مصادر ضعيفة أو مصادر صعبة التفسير، فيبدو لنا أنه من الممكن التمييز بين آلهتين على الأقل، تمثلان ما هو متعارف عليه : الذكر والأنثى. ولكن هل يا ترى هناك معطيات أخرى للرموز والنقوش يمكن أن تعيننا على فهم الديانة العربية لما قبل الإسلام في هذه المنطقة التي هي موضوع هذا المقال؟ هل يجب أن نأخذ في الاعتبار ثالوثاً من الآلهة بإضافة إله نجمي (كوكبي) ثالث كإله قمري؟ لأن عنق الكوب التابع لطقم الشراب الذي عثرت عليه البعثة الدنمركية بالقبر (A) بالدور، كان يمثل شكل رأس ثور وليس صدر حصان، حيث قرون الثور ترمز إلى هلال القمر، وهو رمز قديم بالشرق، كما أنه بلا شك موجود بالنقوش والرسومات العربية قبل الإسلام. كما أن أحد تماثيل الصقور التي عثرت عليها البعثة الفرنسية بالدور كانت تزين مدخل أحد المعابد. ومن غير المستبعد أن يشهد ذلك على الصراع الأبدي بين الشمس (الصقر)، والقمر (الثور). كما تظهر جمجمة ثور على أحد الخواتم، وعلى أحد الألواح العظمية، ويجب أن نذكر أنه على بعض عملات أبييل ذات الصقر يوجد أسفل رمز النخيل رأس ثور صغير من جانبه


قاعدة من البرونز منحوت عليها تمثال امرأة

الأمامي، ويحمل بعض هذه العملات حروفاً عربية جنوبية. وكما هو الحال بالنسبة للحصان والصقر فإننا لم نعثر على الثور في شكل تماثيل من الطين ( الصلصال) المحروق.

## تماثيل للجمل

أما الجمل.. فهو حيوان ذو أهمية قصوى في بيئة صحراوية كبيئة الجزيرة العربية، لذا كان من المتوقع أن يتبوأ مركزاً مهماً ضمن الرموز الدينية. وهذا ما أكده العثور على عدة تماثيل طينية للجمل عليها أحياناً شخص راكب. مما يعني أنها لعبت دوراً هاماً في الطقوس الجنائزية، كما أنها كانت تقدم في عدة مناسبات كقرابين عند دفن الموتى. ولكننا لا ندري ما إذا كان الجمل حيواناً مقدساً أم لا؟

أعتقد أنه من الواضح أننا لا نزال بعيدين عن سبر أغوار الديانة العربية قبل الإسلام في جنوب شرق الجزيرة العربية، وأنها ليست بالبساطة كما عرضناها هنا، إذ أننا مقتنعون بأننا لم نتصفح إلا القليل من تاريخ المنطقة، وأن الكثير من البحث ينتظر الباحثين حول ديانة هذه المنطقة. ومع ذلك نأمل أن توفر أعمال التنقيب القادمة معلومات أكثر عمقاً عن النقوش والكتابات للاقتراب أكثر من فهم المعتقدات الدينية في هذا الإقليم الواسع، خلال الفترة من نهاية الألفية الأولى قبل الميلاد وحتى بداية عصرنا الحالي.■




**المصادر:**

- تقارير البعثة البلجيكية العاملة في الدور
- منطقة الخليج العربي: د. حمد محمد بن صراي

**ونواصل الذود عن لغتنا العربية التي هي في مهب الريح الآن، نتيجة الحرب الطاحنة التي تهدف إلى التقليل من قيمتها وأهميتها وقوتها، ليس بهدف ضربها فحسب، وإنما ضرب الأصول، وهي القيم الإسلامية والعربية الأصيلة. وهذا المقال للأستاذ الدكتور نبهان ياسين حسين يكشف لنا جانباً مهماً آخر من جوانب اللغة العربية وثباتها، وتفوقها على اللغات الأخرى.. ويكشف لنا السر وراء الحملة المغرضة التي تسعى لإلغاء النحو من اللغة العربية، وما قد ينتج عن ذلك.. ويؤكد أن النحو ليس الهدف.. وإنما الحقد على لغة القرآن الكريم هو المحرك الأساس.**

## اللغة العربية في مهب الريح (٥٨)

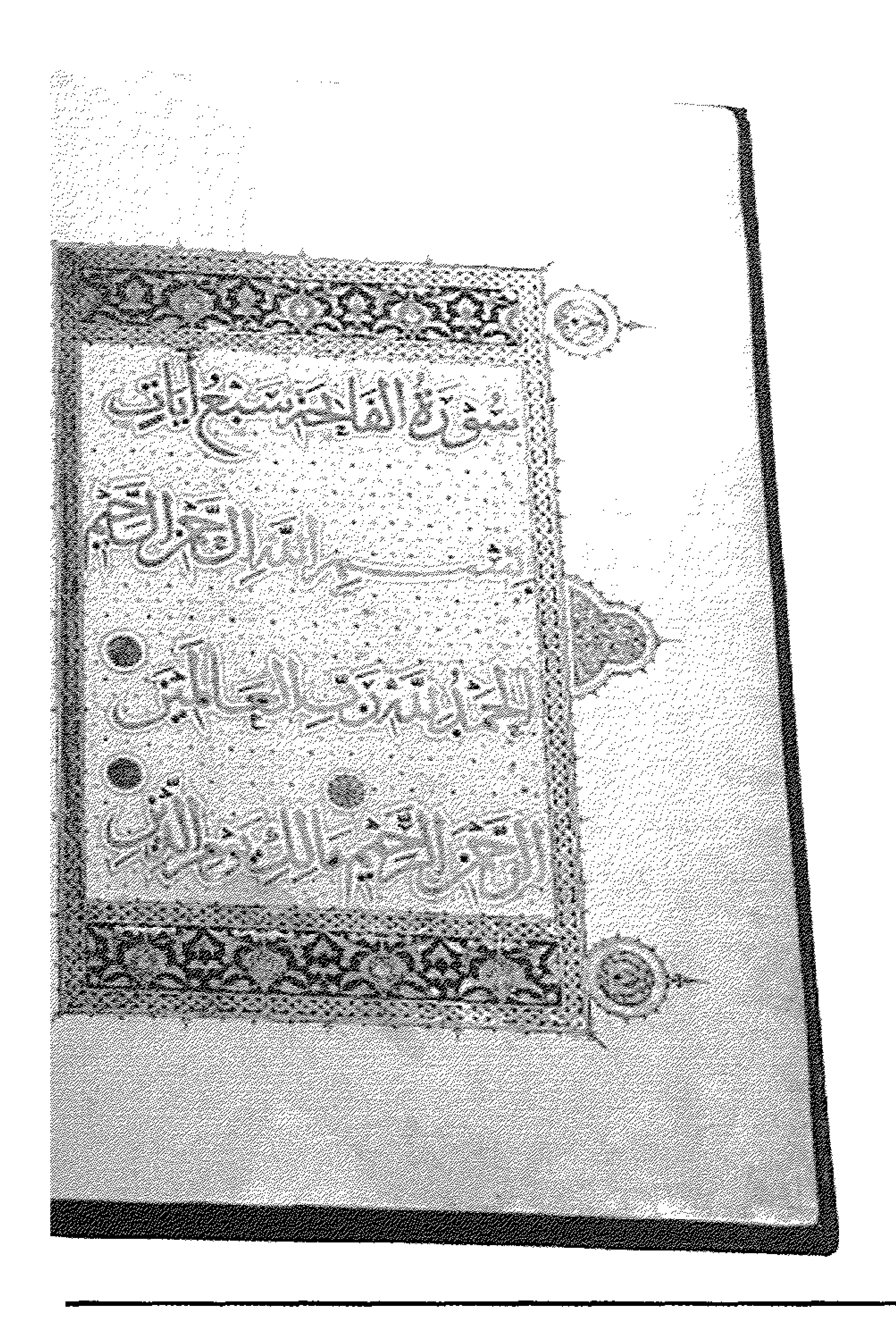
# القيمة التعبيرية.. للحروف العربية

■ أ.د. نبهان ياسين حسين

لكل حرف من الحروف العربية معنى عامّ يلازمه، فحرف الراء مثلاً يفيد أو يشير إلى الكرور، وحرف الشين يعني التفشي، والغين يدل على الغموض، والقاف يعبّر عن القوة، وبصورة عامة يمكن أن يقال:

إن أصوات الحروف تعكس معانيها، وهو ما سمّاه ابن جنّي (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) و(تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) فالشمس والشجر والشيوع والنشر لاشتمالها على الشين تشترك في معنى التفشي. والغيم والغروب والغاية والغور تدل على الغموض لانطوائها على الغين.

والطَّرق والقسم والقمة والمقصلة تلابس القوة لدخول القاف في تركيبها، والجرير والهدير والخرير توحي بالتكرار بصوت الراء المتردد في جنباتها.



* جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا – العين

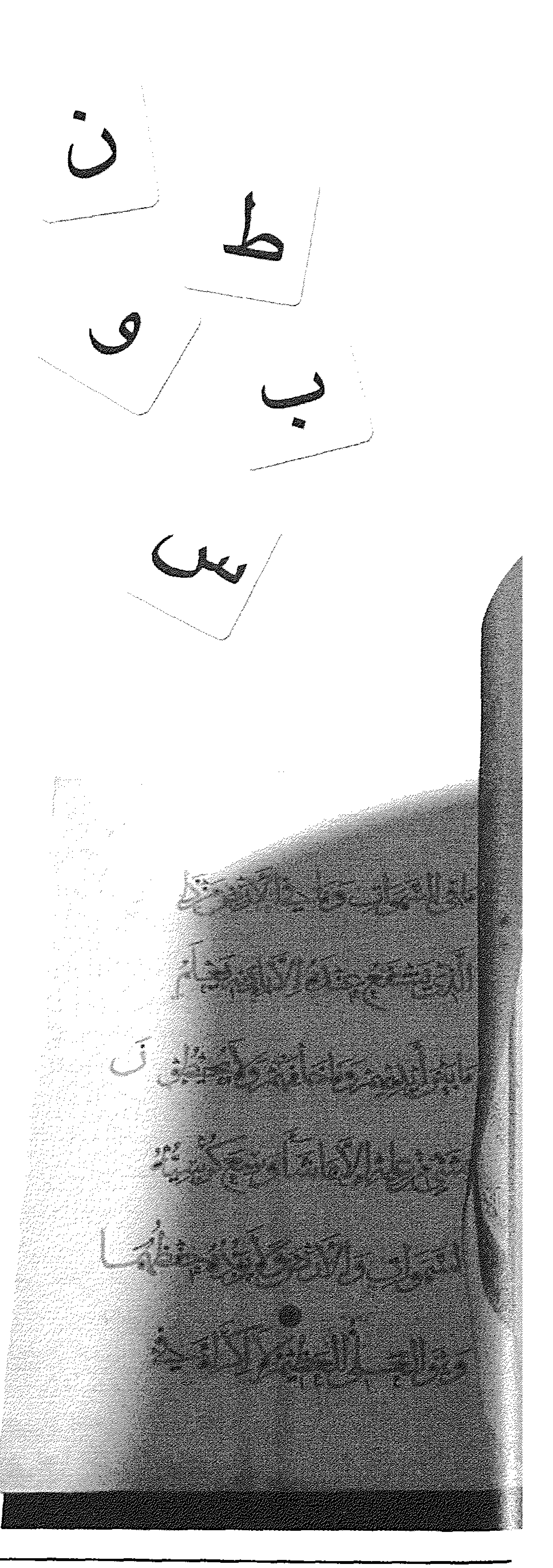
وهذه الظاهرة فتنت بعض الباحثين، فدفعهم افتتانهم بها إلى تحويلها من خاصة لغوية تلاحظ في طوائف من الألفاظ إلى نظرية تفسّر أبنية الكلام العربي. وعلى رأس هؤلاء الباحثين المتحدثين عبد الله العلايلي الذي لم يكتفِ برد الكلام العربي إلى أصول ثنائية، بل حاول ردّه إلى أصول أحادية، فذكر أن الحرف يحتفظ بقيمته التعبيرية حينما يتخذ مكانه من بنية الكلمة، وما علينا إلا أن نجمع معاني الحروف الثلاثة لنقف على دلالة اللفظة الكلية. ومما قال: «كلمة جمل تُحَلُّ إلى (ج) ومعناه الارتفاع، و(م) ومعناه المياه أو المطر، وهو ينظر إلى السحاب، و(ل) ومعناه الملاصقة أو المساس».

والمعنى المؤلّف: مرتفع يلامس السحاب[١]، ثم علّق العلايلي على هذا التحليل فقال: «هذه الحروف ذات معان جنسية، وقد بقيت ملاحظتها في وضع الكلمات في آخر العهد اللغوي»[٢].

وأقول: إن هذا الرأي لا يخلو من غلو، لأن الذين درسوا هذا الموضوع من المحدثين كالكرملي والعلايلي، وبنوا عليها النظرية الثنائية أو الأحادية في أصول الكلمات بالغوا في التحليل، ومنهم جرجي زيدان الذي قال: أرجّح كل الترجيح أن لغتنا مؤلّفة أصلاً من أصول قليلة أحادية المقاطع، ومعظمها مأخوذ من محاكاة الأصوات الخارجية[٣]، ومنهم العلايلي الذي ذكرناه قبل قليل، والذي ردَّ الألفاظ إلى أصوات أحادية، وأعطى كل صوت معنى، وقد أوقفنا القارئ الكريم على رأيه في تحليل كلمة (جمل) وهو في هذا التحليل من الرجم بالغيب أقرب مما هو فيه من العلم.

## جَمَل وتقليباته

إذ لو كان الحرف يحتفظ بقيمته التعبيرية لوجدت هذه المعاني التي تدلّ عليها كلمة (جمل) في تقليباتها، ومنها (الجلم) أي المقصّ، و(اللمج) وهو الأكل بأطراف الأصابع، و(المجل) وهو تورّم الجلد، ولمّا كانت هذه الألفاظ لا تشير إلى شيء مما تشير إليه أحرف (جمل) من ارتفاع وماء أو مطر وملامسة، فقد ثبت أن نظرية العلايلي لا تستند إلى أسس علمية مقبولة، وإذا كان حرف (الميم) -ولعلّ هذا مقتبس من العبرية[٤]- يدلّ على الماء أو المطر، فلماذا لا نجد هذا الحرف في عشرات الكلمات الدالة عليه ومنها الرّذاذ، والطّل والنّضح والوابل والعارض والدّجن والرّباب والغيث والودْق والهيب والنّشئ والقرع والقرَد والصيّب ..إلخ.



إن الدراسات اللغوية مهما ترقَ أساليبها لا يمكن أن تصل إلى مستوى العلوم الفيزيائية والكيميائية، ولهذا يحسن بكل باحث ألاّ يتعجّل في تحويل الآراء الجزئية إلى نظريات كاملة، يمكن نقضها بأدلّة مستمدة من اللغة نفسها.

## أبجد هوز..

وإن لم يكن بدّ من الحديث عن خصائص الحروف العربية، فالأجدر بنا أن نوجّه اهتمامنا إلى أصوات العربية ومخارجها، فقد نجد في صفاتها ومخارجها ما هو أدلّ على تميزها من إعطائها قيماً ودلالات معنوية.

وإذا أردنا الحديث عن خصائص هذه الأصوات فنقول: إن العربية احتفظت بالأصوات السامية الأولى، ولهذا جاءت أصواتها أشملَ من أصوات الساميات الباقية على قيد الحياة كالسريانية والعبرية، فالأخيرة على سبيل المثال لا تمتلك غير اثنين وعشرين صوتاً وهي التي جمعت في «أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت»[٥].

أما العربية فقد أضافت إلى هذه الأصوات أصواتاً أخرى جُمعت في «ثخذ ضظغ» وأهم هذه الأصوات وأفخمها صوت الضاد الذي تفرّدت به لغة العرب وسميت باسمه. ولا ينحصر تميز العربية من أخواتها الساميات بعدد الأحرف، وإنما يتجاوز العدد إلى المخارج والمدرج الصوتي، وحسن التأليف وثبات الأصوات.

أما المخارج فقد انتشرت على مدرج واسع يبدأ من أقصى الحلق، وينتهي بالشفتين، وتوزعت فوق هذا المدرج توزعاً متعادل الأعداد، فلا نجد بقعة من جهاز النطق مهملة وأخرى عاملة، ولا نجد الحروف تتراكب وتتعثكل في منطقة وتنسرح في منطقة أخرى، إن كثرة الحروف في كثير من اللغات لا تعني تفوّق هذه اللغات على اللغة العربية في ميدان النطق والرقي الصوتي، لأننا نجد الحروف في اللغات الأخرى متجمعة في مناطق ضيقة من الجهاز الناطق، وهذا التجمع يسبب صعوبة في النطق وتداخلاً في المخارج، ويدفع الناطقين بهذه اللغات إلى تغيير مخارج الأصوات، ولذلك تبدو قلقة وغير مستقرة.

## الفطرة والحس الموسيقي

ولقد عملت الفطرة العربية الصادقة عملها في إخضاع الكلمات العربية للحس الموسيقي، فلم تركّب من الحروف المتقاربة المخارج كلمات تؤذي السمع، وتعيي اللسان، وأحسن وسيلة للوقوف على هذه الألفاظ القبيحة غير المستعملة ضرب المهمل الذي أشار إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي على محك السمع.

فالفراهيدي كان قد جمع في معجمه (العين) على أساس التقاليب، وعرضه كذلك على هذا الأساس، ونبّه -وهو يعرضه- على الألفاظ المهمة، ومن ينظر في التقاليب أو التراكيب المهملة يجدها من هذا النمط.

وقد أوضح اللغوي ابن جني هذه الفطرة العربية النقية التي استبعدت الألفاظ المتراكبة المخارج، فقال: «أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التراكيب في بعض الأصول المتصوّرة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال»[٦]. ثم شفع رأيه بأمثلة توضحه فقال: «فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو سص وصس وطت وتط، وصش وشص، لنفور الحس منه والمشقة على النفس لتكلفه، وذلك قج وجق وكق وقك»[٧].

وللقارئ الكريم أن يسمّي هذه المقاطع المتجاورة المخارج بالمقاطع القبيحة أو المتعادية الأصوات، إذ لا يمكن أن تتآخى في كلمات فصيحة مقبولة، وأن يُسمّي المقاطع الفصيحة المتلائمة الأصوات بالمقاطع المتآخية، ومن علامات هذه المقاطع تباعد المخارج.

وقال السبكي: «أحسن التراكيب وأكثرها استعمالاً ما انحدر فيه من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط»[٨]، ومثال الشكل الأول (عدم) والثاني (دمع) والثالث (عمد).

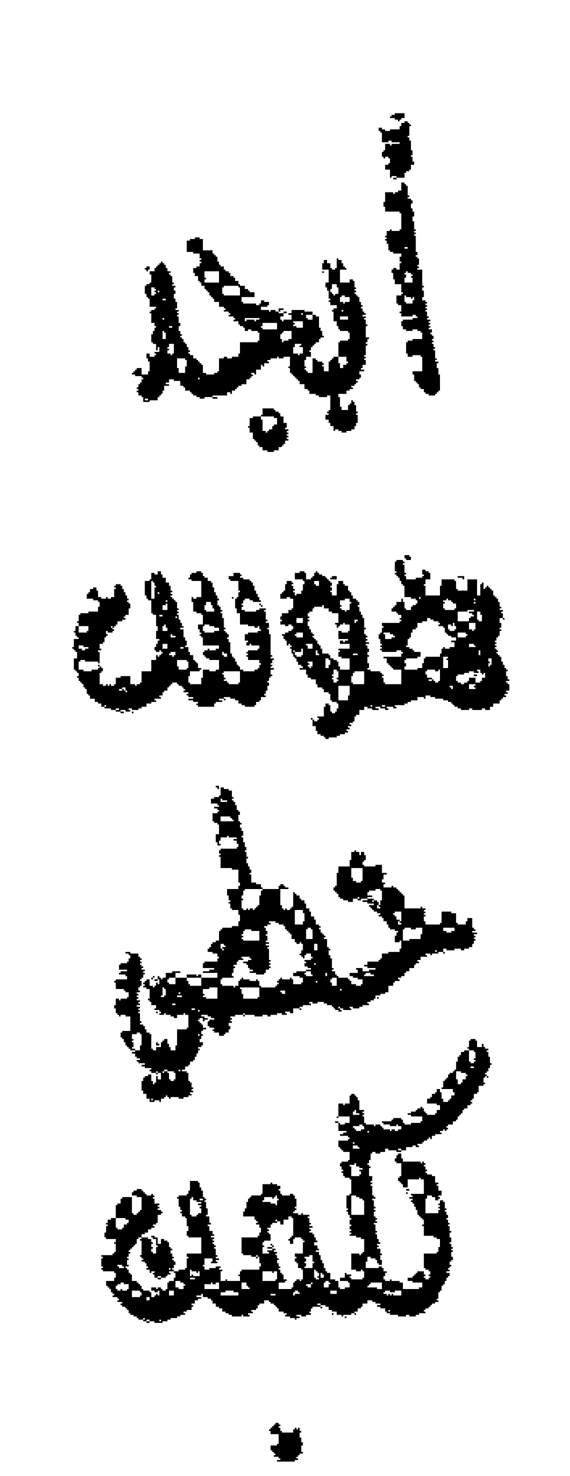
واستناداً إلى تركيب الأصوات في الكلمة الواحدة استطاع أبو منصور الجواليقي أن يكتشف الألفاظ الأجنبية المعربة فقد أفضى به الاستقراء إلى أنه لا يجتمع في أصول كلمة عربية صوتا الجيم والقاف، وصوتا الصاد والجيم، وأنه ليس في أبنية العرب راء بعد نون، وزاي بعد دال، أمّا الجصّ والصّنجة والنرجس والمهنذ فمن الدخيل المعرّب»[٩].

## ثبات.. على مر القرون

ومن أهم السمات التي ميزت الأصوات العربية ثباتها طوال قرون مديدة، فقد تبدّلت أصوات اللغات الأجنبية وتغيّرت مخارج كثير من حروفها، والمتتبع لهذا يقرّ أن التغير قد أصاب هذه اللغات وأن رجالها وضعوا لهذا التغيير قوانين، وزعموا كذلك أن اللغة العربية لا يمكن أن تنجو منه.

والردّ على هؤلاء أن التغيير أصاب اللهجات العامية، ولم يصب الفصحى، فقد قال الأستاذ محمد المبارك: وأما التطور الصوتي فلم يحدث في اللغة العربية الفصحى منذ أمد طويل على الأقل، فإن القرآن حفظ لنا أصوات الحروف كما لفظها العرب، ونقل إلينا ما كان قبل عصره من أصوات اللغة العربية، وعن طريقه حفظت حتى يومنا هذا. ذلك أن القرآن إنما انتقل بالمشافهة، وأخذ بالتلقي الدقيق جيلاً بعد جيل[١٠].

ولم يعصم القرآن الكريم أصوات العربية وحدها، بل عصم ما تزدان به هذه الأصوات من حركات ترمز لظاهرة الإعراب.




## الإعراب: الإبانة والإفصاح

فالإعراب في اللغة الإبانة والإفصاح وتحسين الكلام، وفي اصطلاح النحويين: هو أثرٌ تحدثه العوامل في آخر الكلمات، فيكون آخرها مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً أو مجزوماً حسب ما يقتضيه العامل[١١]، وإذا زعم دارسو اللغات القديمة فيما زعموا أنهم وقفوا على ملامح باهتة منه في اللغات السامية القديمة كالبابلية والآرامية، فالثابت الذي لا مراء فيه أن ما وصل إلينا من الساميات القديمة، وعلى رأسها السريانية والعبرية خلو من الإعراب. ودارسو هذه اللغات القديمة والناطقون بالعبرية الحديثة يعلمون علم اليقين أن هذه اللغات القديمة سواكن الأواخر، لا يعروها رفع ولا نصب ولا جر، ولا تؤثر العوامل في تحريك أواخرها[١٢].

## الإعراب.. يميز المعاني

والإعراب ليس حلية لفظية يتحلى بها الناطقون بالعربية الفصحى، وإنما هو بعض هذه اللغة لفظاً ومعنى، فحركاته أبعاض حروف المدّ اللينة، واستعمالها ضروري لتحديد المعاني التي يقصد إليها المتكلمون، وقد نبّه على ذلك أحمد بن فارس، فقال: «فأما الإعراب فبه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلاً لو قال: «ما أحسن زيد» غير معرب، لم يوقف على مراده، فإذا قال: ما أحسنَ زيداً!، أو ما أحسنُ زيدٍ؟ أو ما أحسنَ زيدٌ. أبان بالإعراب عن المعنى المراد«[١٣].

إذا كان القرآن الكريم قد صان الأصوات من التغيّر فإنه قد صان حركات الإعراب من اللحن، ومن المعروف أن الدافع الأول لوضع النحو نبع من حرص العرب على ضبط كتاب الله، وحفظه من العجمة التي بدأت تخالط قراءته.

وهذا لا يعني أن الإعراب لم يكن معروفاً، ولا يعني كذلك أن الجاهليين كانوا يسكنون أواخر الكلم. إن كل ما فعله القرآن الكريم هو ترسيخ الإعراب لا ابتكاره. وبرغم هذه الحقيقة التاريخية زعم المستشرق (فولرز): «أن القرآن نزل أول الأمر بلهجة مكة المجردة من ظاهرة الإعراب، ثم نقّحه العلماء على ما ارتضوه من قواعد ومقاييس حتى أضحى يقرأ بهذا البيان العذب الصافي»[١٤]. كما زعم كوهين أيضاً[١٥] أن الإعراب كان قاصراً على اللغة الأدبية، وأن الناس كانوا يتحدثون بلغة مجردة منه، وشفَع رأيه بحجة واهية وهي صعوبة القواعد النحوية، ناسياً أو متناسياً أن الملكات الأصلية قبل الاختلاط الواقع بين العرب والأعاجم كانت كافية لغرس الفصاحة ومجانبة اللحن.

واستناداً إلى هذه الآراء السقيمة المدخولة زعم الدكتور إبراهيم أنيس أن الإعراب قد اختُرِعَ، وأن النحويين اخترعوه بعد ظهور الإسلام، وحاول أن يلفّق من هذه الآراء اجتهاداً مرفوضاً في فصل من أحد كتبه اللغوية وسمّى هذا الفصل (قصة الإعراب)[١٦].

وهنا يحسن بنا أن نقف وقفة متأنية عند آراء المستشرقين والمخدوعين بآرائهم، وهي الآراء الزاعمة أن الإعراب لم يكن معروفاً في العصر الجاهلي، وإنما صنع بعد ظهور الإسلام، وركّبت حروفه وحركاته على الكلام العربي لتحسينه، وأنه قصة مخترعة لا حقيقة لغوية يشهد بها التاريخ.

ومن المستشرقين الذين أنصفوا وردّوا على (فولرز) وأمثاله، المستشرق الألماني (نولدكه) الذي كذّب هذا الرأي: «وسفّهه وفنّده، ونقده نقداً علمياً موضوعياً أقام فيه الحجة على أن أغلب ما توهمه (فولرز) تجرّداً من الإعراب إنما كان صوراً من تساهل الناس في القراءة بعد اختلاطهم بالأعاجم وشيوع اللحن والتحريف»[١٧] أي أن الأصل هو الإعراب، وأن التخفف منه في بعض الكلام هو الشذوذ القليل، والقواعد تبنى على الأكثر المطّرد لا على الأقل النادر.

## أدهى من آراء المستشرقين

وأما ادعاء الدكتور إبراهيم أنيس أن الإعراب فرية مفتراة، وقصة مخترعة فأدهى من آراء المستشرقين، فالنحويون لم يخترعوا النحو، بل اكتشفوا قواعده وقوانينه، وأيّدوا كلّ قاعدة من قواعده بشاهد من كلام العرب القديم الذي يحتج به، أو من القرآن الكريم أو السّنة الشّريفة، ووضعوا للاحتجاج أصولاً دقيقة لئلا يبنوا القواعد على نصوص المتأخرين، فكيف يكون قصة مخترعة، وكل النصوص التي استمدّ منها نصوص قديمة موثوقة النسبة إلى فصحاء العرب؟ وبلغت الدّقّة ببعضهم أن سمح لنفسه بالتطاول على بعض النصوص النبوية الشريفة فلم يقبل الاحتجاج بها، أو بناء القواعد عليها، لأن روايتها باللفظ، ومع أن في هذا الموقف غلواً قد ينال من سلامة الحديث في نظر المشككين، فإن فيه تزمتاً، يرفع من شأن النحو، ويزيده دقّة وتوثيقاً، وعراقة، إذ يلصقه بأعمق العصور العربية ويعزوه إلى العصر الجاهلي، وإلى نصوص الحديث المرويّة باللفظ، وإلى آي الذكر الحكيم الذي لم يصبه أدنى تصحيف أو تحريف.

وإذ كان الإعراب قصة فهو قصة حقيقية واقعية الأحداث وليست أسطورة من أساطير اليونان، ولا خرافة من خرافات ألف ليلة وليلة، وأدلّ ما يدلني على صحة هذه القصة جملة وتفصيلاً أنها انطلقت من الغيرة التي حرّكت نخوة الصحابة رضوان الله عليهم، وحملتهم على استنكار اللحن ثم حركت مروءة الآخرين فدفعتهم إلى وضع قواعد النحو العربي.

ولو عدنا إلى كتاب في أصول النحو للأستاذ سعيد الأفغاني لوجدنا أحداثاً كثيرة وأخباراً موثوقة عن بدايات اللحن الذي بدأ يفشو في عصر الراشدين بسبب الاختلاط بالأعاجم، وكل هذه الأخبار تدل على شيء واحد وهو أن الإعراب صوت وهو الأصل، وأن اللحن صوت وهو الشذوذ، ولا بدّ من قمع هذا الشذوذ.

من ذلك تقريع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقوم كانوا يرمون رشقاً -أي هدفاً- فلا يصيبون، فقال لهم: ما أسوأ رميكم! قالوا: نحن متعلمين، فقال: «واللهِ لخطؤكم في لسانكم أشدّ عليَّ من خطئكم في رميكم»[١٨].

ومن ذلك أيضاً أن رجلاً دخل على زياد فقال له: إنّ أبينا هلك، وأن أخينا قد غصبنا ميراثنا من أبانا» فقال زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك[١٩].

وأخطر ما في آراء د. إبراهيم أنيس نتائجها وذيولها، فلو أننا صدّقنا ما قال، وذهبنا إلى أن الإعراب قصة مخترعة لكان علينا أن نتقبل الدعوات المشبوهة التي تنادي لتيسير النحو تمهيداً لإلغائه، ولَكَمْ حاولت هذه الدعوات أن تجأر بما يخفي أصحابها من حقد على لغة القرآن الكريم، ولو نجح هؤلاء النّحاة لفقدت العربية خصيصة من أهم خصائصها، ولمهّدت السّبل أمام أعداء الفصحى، والدّعاة إلى اللهجات العامية على النحو الذي نلاحظه في بعض القنوات الفضائية التي تجرأت على حرمة الفصحى، وأخذت تبثّ أخبارها على مسامع الأمة العربية بلهجات عامية خالصة أو شبه عامية متذرعة باللجوء إلى التيسير والنزول إلى مستوى الشعب. ■

**الهوامش:**

١) مقدمة لدروس لغة العرب: عبد الله العلايلي، ص١٣٢.
٢) كذلك، ص١٣٤.
٣) الفلسفة اللغوية: جرجي زيدان، ص٨٢.
٤) انظر: دروس اللغة العبرية، ص٧٦.
٥) كذلك، ص٧٧.
٦) الخصائص: ابن جني، ١ / ٥٤.
٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، ١ / ١٩٨.
٨) نفسه: ١ / ٢٠٥.
٩) المطالع السعيدة في شرح الفريدة، تحقيق: د. نبهان ياسين، ١ / ١٧٤.
١٠) فقه اللغة وخصائص العربية: محمد مارك، ص٦٦.
١١) جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، ١ / ١٨.
١٢) دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح، ص١٢٤.
١٣) الصاحبي: ابن فارس، ص٦٦.
١٤) دراسات في فقه اللغة، ص١٢٢.
١٥) نفسه: ص١٢٤.
١٦) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص١٢٩.
١٧) دراسات في فقه اللغة، ص١٢٢.
١٨) في أصول النحو: سعيد الأفغاني، ص٧.
١٩) كذلك، ص٩.

# نقـــود سلاطـين البنغــال من بني حسين شاه



**عبد الله بن جاسم المطيري**
مدير بيت الشيخ سعيد آل مكتوم- دبي
عضو الجمعية الملكية البريطانية للمسكوكات

كانت البنغال عنصر إغراء لسلاطين دهلي حين لا تكون تابعة لهم، وعنصر حذر ومراقبة حين تصبح من أملاكهم!. وذلك بسبب ثرواتها الزراعية والطبيعية. ويعدُّ (اختيار الدين محمد الخلجي) الذي اتخذ من (كاور) قاعدة له هو أول من أدخل الإسلام إلى منطقة البنغال، استقلت البنغال فعلياً عن دهلي بعد وفاة السلطان (بلبن) سنة ٦٨٦ هـ، وتنازع على حكم البنغال العديد من الأسر، وكانت العاصمة تنتقل من مدينة إلى مدينة حسب الأسر التي تعاقبت على حكمها ومن أهمها: (كاور وباندوا و فيروزآباد)، منذ سنة ٧٤٠ هـ عمل (شمس الدين الياس شاه) على الاستيلاء على البنغال، وقد نجح في سنة ٧٤٦ هـ وتمكن من حكم المنطقة الغربية، وبعد سبع سنوات من حكمه تمكن من ضم المنطقة الشرقية وبذلك استطاع توحيد هذا الإقليم.

تعاقب على الحكم من هذه السلالة اثنا عشر سلطاناً استمر حكمهم ما بين ٧٤٦ حتى ٨٩٦هـ، يعد عهدهم عهد ازدهار، وقد انتشر الإسلام، وانتعشت التجارة، إلا أنه تزايد عدد الأحباش من الحرس في عهد (جلال الدين محمد)، وامتلأت الفترة بالمؤامرات والثورات، واستطاع سلطان شاه اغتيال آخر حاكم إلياسي والاستيلاء على الحكم سنة ٨٩٢هـ. ثم تعاقب على الحكم أربعة من الأحباش كان آخرهم (شمس الدين أبو نصر مظفر شاه) وبذلك انتهى حكم الأحباش سنة ٨٩٦ هـ حين تمكن (علاء الدين حسين شاه بن سيد أشرف) من الاستيلاء على السلطة في البنغال سنة ٨٩٩ هـ ويدعي علاء الدين حسين بأنه من نسل النبي صلى الله عليه وسلم.

ضرب بنو حسين نقودهم على طراز نقود بني إلياس مع اختلاف بسيط، وجاءت ألقاب وكنى السلاطين في الوجه الأول والأسماء في الوجه الثاني، نلاحظ خلو التنكات من الحواشي، وجاءت العبارات في مركز القطعة. ضرب بنو حسين تنكات من الفضة والنحاس والذهب، إلا أن القطع الذهبية تعدُّ نادرة جداً، وكانت الفضيات هي الأكثر انتشاراً بعد القطع النحاسية، كما نجد أن التنكات الفضية قد سكت من معدن الفضة وبعض المعادن الخسيسة مثل الرصاص والزنك. تعد التنكات المضروبة في مدينة (خزانة) أكثر ندرة من التنكات التي ضربت (بحسين آباد والله آباد) وعدد من المدن البنغالية. ■

## مأثورات الدرهم

### نموذج تنكة السلطان علاء الدين حسين شاه بمدينة حسين آباد سنة ٩١٤ هـ

الوجه الأول



الوجه الثاني



**الوجه الأول:**
السلطان الفاتح الكامرو وكمته وجاجنكر واريسه علاء الدنيا والدين ابو المظفر

**الوجه الثاني:**
حسين شاه السلطان بن سيد أشرف الحسيني خلد الله ملكه وسلطانه -حسين آباد ٩١٤هـ

براعة وسبق عالمي

# العرب أول من وضع «الموسوعات الأعلامية» بحياد وأمانة.. في رصانة وموضوعية

■ أ.د. محمد الدعمي*

إذا كان العرب قد عُرفوا بالاهتمام بالتاريخ والتأريخ منذ عصور القصاصين التي سبقت ظهور الإسلام، ربما بقرون، فإنهم قد برزوا وبزوا جميع الأمم الأخرى في ابتكارهم (لأول مرة في تأريخ التاريخ) لفهارس الأعلام أو فهارس التعريف بالشخصيات. لذا لا يبالغ المرء إذا ما ذهب مع الرأي القائل بأن هذا النوع من التسجيل التاريخي، يعادل ما يسمى اليوم بقواميس الشخصيات في الآداب الغربية (Who's Who)، إنما يتجذر في الميل العربي القديم للقص وللحكاية المتواشجة مع الشواخص الاجتماعية والعملية التي أدت أدواراً ملحوظة، ليس في الحياة السياسية فحسب، بل في بناء الثقافة والحضارة والمدنية كذلك.

* جامعة بغداد



وإذا كان المؤرخون عامة، والغربيون خاصة، ينتقدون حركة تسجيل التاريخ عند مختلف الأمم بسبب تركيزها فقط على تسجيل قصص (البلاط والمعسكر)، نظراً للاهتمام وحيد الجانب بحياة الملوك والسلاطين والقادة العسكريين وحروبهم (بديلاً عن تاريخ الثقافة والمهن والحرف وقصص آلاف البناة والعاملين من رجال القلم، وليس رجال السيف)، فإن التراث العربي الإسلامي يجهزنا بـ(الأنموذج) الرائد لرصد حياة الناس وتورخة الشخصيات الاعتيادية التي لم تغادر الحياة دون أن تترك آثارها على عيش الناس وإبداعهم ووسائل تواصلهم ورزقهم. لقد كانت الذهنية العربية، خاصة ذهنية المؤرخ، ميالة إلى تسجيل أسماء ومنجزات هذا النوع من عامة الناس عبر مثل هذه الفهارس الخاصة بالأعلام. وإذا كانت هناك ثمة إشارات لساسة ولمتنفذين ولقادة عسكريين تطفو هنا وهناك، فإنها غالباً ما كانت تظهر بضمن سياق عام، وليس كبؤرة وحيدة الجانب للعمل التاريخي السيروي. لقد كان الدافع الماثل في عقل المؤرخ هو تسجيل وتقويم وتقييم الإسهامات الفردية في بناء المدنية والحضارة العربية الإسلامية، مع إشارة خاصة إلى نقل تقاليد فنون الإسلام والبناء على نحو تراكمي باتجاه الأجيال التالية كي تستفيد منها وتضيف إليها.

## عمل رائد

ويعد تاريخ (ابن سعد) هو العمل الرائد الأول في هذا الحقل، حيث حاول المؤرخ هنا تورخة حياة وأعمال صحابة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الذين شاركوا في واقعة بدر، زيادة على إدراجه لأسماء العديد من المهاجرين والأنصار الذين غمرهم الزمان لولا هذا المؤلف المهم. وإذا كان هذا العمل قد بقي ماثلاً رغم التقادم، فإن هناك من الإشارات العديدة في المصادر القديمة التي تدل على اضطلاع آخرين بتأليف عدد آخر من فهارس السير وقتذاك، ولكنها، لسوء الطالع، لم تصل إلينا نظراً لضياعها. والمؤكد هو أنها تناولت جهابذة الثقافة والعلوم الإسلامية، زيادة على رصدها لحياة كبار القضاة في الحواضر العربية والإسلامية. وإذا كان منجز ابن سعد يعدّ الأول من نوعه، فإن تقليد الاهتمام بسير أمثال هؤلاء من الرجال قد تطور على نحو مضطرد حتى بلغ المستوى الرفيع الذي قدمه (السخاوي) (القرن التاسع هجري / الخامس عشر ميلادي)، الذي ركز على كبار الفقهاء والمفسرين والمحدثين وناقلي الحديث النبوي الشريف. والطريف في سير السخاوي أن اهتمامه يتجلى في الأفراد الذين شكلوا سلاسل ناقلي الحديث، مع إشارات خاصة إلى صحتهم البدنية والعقلية ولقدراتهم على التذكر وذكائهم ورحلاتهم، وعدد مرات الحج، ودقتهم في النقل وما عرف عن ثقة الناس بهم. هذه الاعتبارات شديدة الأهمية في علوم الحديث نظراً لارتباطها بالعقائد الإسلامية وبالعلوم الفقهية. زد على ذلك إضافة السخاوي لقصص عدد من الأحداث المهمة التي واكبت حياة الفرد، إضافة إلى ذلك رصده لظهور بعض الطوائف الدينية، وللحروب في عدد من بقاع العالم العربي والإسلامي آنذاك.

## وفيات أعيان «ابن خلكان»

على الرغم من الاهتمام الكبير بسير ناقلي الحديث النبوي الشريف وبحياة العلماء من كبار الفقهاء والمجتهدين، تمكنت الثقافة العربية الإسلامية من توسيع هذا النوع من النشاط العلمي والتاريخي، من خلال الانتقال من عالم المحدثين والفقهاء والقضاة إلى عالم الآداب والفنون والحرف والمهن، طبقاً للاهتمامات الشخصية للمؤلفين والمؤرخين من كتّاب السير. ففي مبادرة تعكس حيوية المؤرخ وفنه في الثقافة العربية، راح المهتمون بالآداب يؤلفون فهارسَ مهمةً لطبقات الشعراء والكتّاب وسير كل واحد منهم. وقد واكبت هذه الظاهرة ظهور فهارس أكثر تخصصاً لتسجيل سير كبار موظفي الدولة من الوزراء والكتّاب وأصحاب الدواوين، زيادة على فهارس متخصصة للوقوف على سير الفلاسفة والعلماء. ويبدو بأن أفضل نموذج يستحق الاستحضار في هذا الحقل هو (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي (القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي). بيد أن الأنموذج الأكثر تطوراً من (تاريخ بغداد)، يتجسد في فهرس (ابن خلكان) الذي احتوى على ٨٢٦ سيرة منتقاة، ليس من مدينة أو بقعة جغرافية واحدة، كبغداد، بل من مختلف أصقاع العالم الإسلامي. وقد شملت مدخلات الكتاب سيراً للأعلام: من خلفاء وملوك وحكام وغزاة ووزراء وقضاة وفقهاء ومحدثين ونحاة وناثرين ومؤرخين وشعراء وواعظين ومتصوفة وفلاسفة وفيزيائيين وأطباء وموسيقيين، زيادة على سير أهم الذين عملوا في العلوم القرآنية

كالشرح والتفسير. ولا يمكن، بأي حال من الأحوال، استبعاد فضل الإمام (ابن الجوزي) من الريادة في هذا الحقل نظراً لأنه قدم واحداً من أوائل الفهارس المصنفة على أساس سنوي حولي (عشر سنوات) دون أن يحدد نفسه بإقليم جغرافي أو بمدينة بعينها. وقد فعلت أعمال ابن الجوزي وابن خلكان فعلها في تمهيد الطريق للعديد من موسوعات الأعلام التي استقت وواصلت التقليد الذي أرسي على أيدي الشيوخ المذكورين في أعلاه. ويعد (تاريخ الإسلام) للإمام للذهبي (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي) الذروة في هذا المجال، حيث صنفت سير الأعلام والشخصيات على أساس كل عقد من السنين بما تخللها من أحداث سياسية وتغيرات اجتماعية تستحق الملاحظة.

وإذا كان الذهبي قد عمد إلى هذا التقسيم أو التصنيف الزمني المؤسس على تتابع العقود، فإن استطالة حركة التاريخ العربي والإسلامي وتقادم السنين جعلت من تبعوه في تجميع سير الشخصيات المهمة يعمدون إلى التصنيف على أساس القرون مع التركيز على أقاليم إسلامية بعينها، نظراً لاتساع العالم الإسلامي ولتشعب التخصصات ولتعاظم أعداد المؤرخ لهم من الشخصيات. وبضمن هذا النشاط تندرج السير التي أرخ لها (ابن حجر) و(الغازي) و(المحبي) و(المرادي) من بين سواهم من أصحاب الفهارس الذين ظهروا في أقاليم إسلامية معينة. أما التطور المهم هنا فهو يتجلى في توسيع هؤلاء لـ(المادة) العلمية لهذا النوع من الفهرسة السيروية: فإضافة إلى الخلفاء والفقهاء والوزراء وسواهم من الشخصيات التي ظهرت أسماؤها في الموسوعات السابقة، تمكن هؤلاء (بسبب تركيزهم على أقاليم محدودة من العالم الإسلامي) من إدراج سير وقصص مشاهير النساء والتجار والموهوبين وأصحاب المهارات ومدراء المدارس والمعلمين، وحتى مشاهير لاعبي الشطرنج والنرد والفرسان. وبذلك بز المؤرخون والسيرويون العرب أقرانهم من المؤرخين في الثقافات الأخرى في تورخة الأنشطة والإنجازات الرياضية لأول مرة.

أما عملية تجميع البيانات الخاصة بالشخصيات المؤرخ لها، فهي كانت بطبيعة الحال عملية مضنية حين ذاك بسبب ضعف الاتصالات ووسائل النقل. لذا فقد تم الاعتماد على القص أو المصادر الشفاهية وتناقل الأخبار عبر الأجيال. ولكن إضافة على هذه الوسائل، وبعد تقدم النتاج التاريخي المكتوب، راح السيرويون العرب يلوذون بالمراجع ويعتمدون الكتب والمخطوطات المخزونة في مختلف الحواضر، على نحو علمي يستحق التقدير بمعايير تلك العصور وعصرنا، خاصة عندما يشير المؤرخ إلى مصدره بدقة كما يفعل الباحثون الأكاديميون اليوم. وإذا لم تكن مثل هذه التقاليد الأكاديمية قد أرسيت في بقية أجزاء العالم، فإن دقة البحث التاريخي العربي قد تبلورت في الإشارة إلى (سلسلة) المراجع وناقلي الأخبار بدقة متناهية. زد على ذلك تعمد المؤرخ اعتماد المراسلات البريدية من أجل الحصول على المعلومة الدقيقة حول الشخصية المطلوبة. وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الطبيعة البطيئة للخدمات البريدية في ذلك الوقت، فإن على المرء أن يقف بكل تقدير لمؤلفي مثل هذه الموسوعات نظراً لصبرهم ومثابرتهم وروحهم العلمية الرصينة.

## روح علمية حيادية

لقد عمد مؤلفو الموسوعات إلى العناية بكل باب أو مدخل (entry) خاص بشخصية معينة من حيث الإجابة على ما يمكن أن يبغيه أو يتوقعه القارئ من معلومات عن هذه الشخصية: من هي؟ ما تاريخها وتاريخ وفاتها؟ أين عاشت ونشطت؟ إضافة على ما قدمته الشخصية موضوع الرصد من أعمال ومنجزات. بيد أن الطريف هنا يتجلى في إشارة المؤرخ إلى ما ورد عن صحة وقوة ذاكرة وسمعة الشخص المؤرخ له. أما في الموسوعات المتأخرة والأكثر تطوراً، فقد شملت بنية المدخل معلومات وإضافات بيانية أخرى كأسماء أساتذة وتلاميذ المؤرخ له، زيادة على الوظائف التي تقلدها والألقاب التي حصل عليها. ويقدم لنا (تاريخ الحكماء) للبيهقي أهم المقولات التي تفوه بها الشخص المعني. وتتراوح أطوال هذه (المدخلات) أو التعريفات بين صفحة واحدة وأكثر من ثلاثين صفحة، الأمر الذي يعكس حرص كاتب الموسوعة على إدراج كل ما تمكن من الظفر به من بيانات موثقة عن الشخصية المعنية للقارئ. وتبرز هذه الدقة على نحو واضح في أعمال ابن سعد والخطيب البغدادي والمرادي، وفي موسوعة أبي نعيم (حلية الأولياء)، بينما تتجلى الروح العلمية الحيادية في حرص مثل هؤلاء المؤرخين على تجنب اية (انزلاقات)

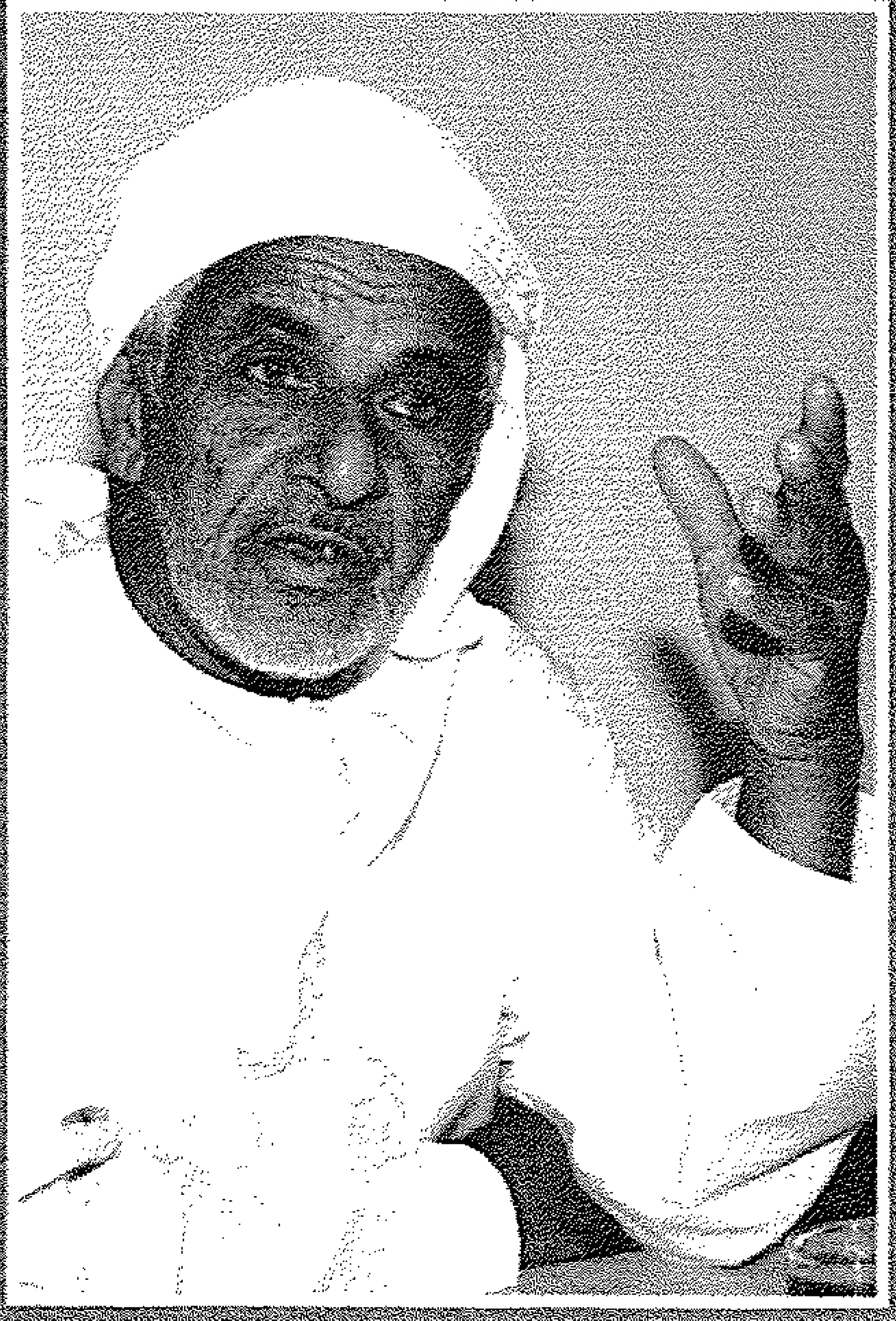
أدبية أو زيادات خيالية من أجل أن تظهر السيرة موضوعية ودقيقة المعالم ومبنية على الأعمال والوقائع المؤكدة التي مرت بها تلك الشخصية. وهنا يعمد المؤرخ إلى تغييب مواقفه الشخصية وميولاته السياسية، بينما تترك عملية تقويم الشخصية موضوع البحث للقارئ فقط. وإذا كان فن رسم (الصورة الشخصية) (Art of the Portrait) بالأحرف والكلمات قد تجسد في هذا النوع من الموسوعات، فإنه لم يكن لينجح لولا هذه المداخل الموضوعية المحايدة التي امتازت بها حركة التاريخ العربي.

هذا النوع من التجريد والتجرد الموضوعي الذي وسم كتّاب هذه الأعمال الموسوعية قد أسهم أيما إسهام في تشكيل الصورة الحقيقية لتقدم فنون وعلوم تسجيل التاريخ لدى المسلمين العرب على نحو خاص. إنه لمن المثير للدهشة أن هذا النوع من النشاط التاريخي قد خص اللغة العربية (من بين اللغات الشرقية، وبضمنها لغات الأمم المسلمة)، إذ بقيت مثل هذه المؤلفات تكتب بلغتنا فقط حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث ظهرت لأول مرة في تاريخ الثقافات الإسلامية موسوعات بلغات غير اللغة العربية، كالفارسية والأوردية والتركية. وإذا كان العرب قد تميزوا عن سواهم من الأقوام في الاهتمام بالتاريخ وبالتراث، فإن هذا النوع من المؤلفات الموسوعية قد ألقى الضوء على فجوات وبقاع كانت ستبقى مظلمة عبر الزمن لولا هذا النوع من النشاط السيروي. نعم، لقد أكدت مثل هذه الفهارس على الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأدباء أكثر من تأكيدها على سواهم من الشخصيات العلمية والعملية، ولكن هذه الظاهرة هي جزء من الذهنية العربية السائدة التي كانت تتمحور حول الموضوعات التي برزت فيها مثل هذه الشخصيات. بيد أن هذا لا يعني قط إهمال الشخصيات الأخرى التي أسهمت في تشكيل التاريخ الاجتماعي والفني والحضاري المدني للأمة عبر التوكيد على المؤسسات وعلى الشخصيات النسوية المهمة التي شهدت الحضارة العربية الإسلامية ظهورها. ولأن المداخل لكل شخصية قد اعتمدت الحكاية والأحداث والأعمال التي اضطلعت بها، فإنها قد ألقت الضوء الساطع أمام مؤرخ الأفكار والمؤرخ السياسي الذي يرنو لأن يستكمل تورخة الأحداث عبر استحضار (حكايات) أهم المؤدين في دراما الماضي العربي الإسلامي.■

## سعيد المحيربي في حديث الذكريات:

# استفدنا من «اللوثة» حتـ

# ...ى دارت الأيـــام!



سعيد محمد سالم المحيربي

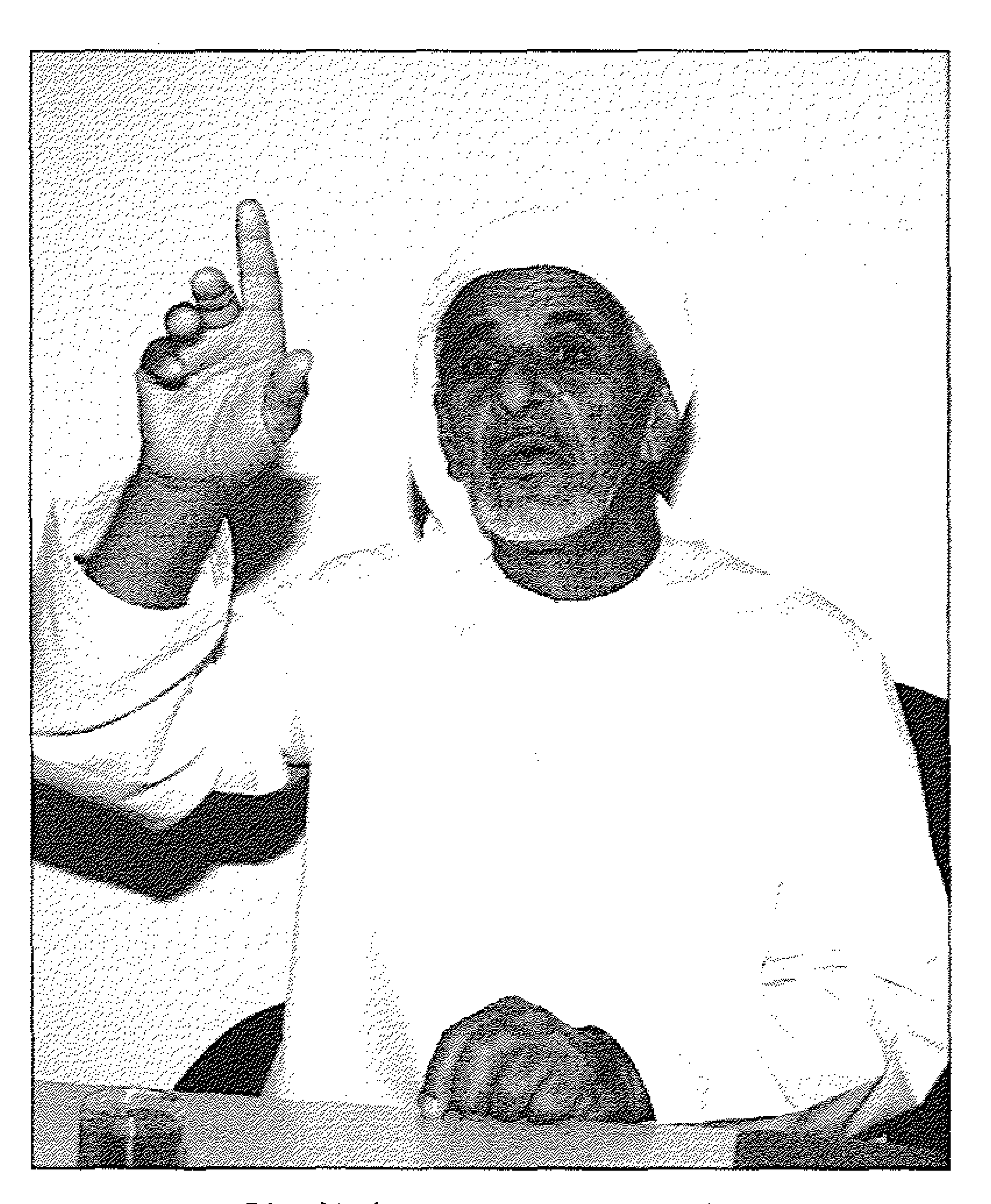
■ حمدي نصر

سعيد محمد سالم المحيربي من رجالات زمان الذين عانوا مرارة العيش.. والكد في عز الحر والبرد.. على البر وفي أعماق البحر.. أكل المالح وشرب الماء بكل أشكاله: العذب والعسر، الملوث والنقي.. عمل في صيد السمك والغوص.. وفي الشتاء استفاد من (اللوثة) حيث كان يخرج لها بعد صلاة الفجر ويمشي على السيف ما بين ١٠ إلى ١٥ كيلومتراً ومعه مخلاته يضع فيها ما خف وزنه.. وشارة (علامة) على ما عجز عن حمله.. ودارت الأيام.. وما أصعب دوران الأيام.. لتصبح أمتعته هو (لوثة) بعد أن غرق اللنش الذي يركبه.. ودارت الأيام مرة أخرى لتبقى تلك الأحداث مجرد ذكريات يحكيها للأبناء والأحفاد ليستفيدوا منها.. يأخذوا منها الدرس ويستلهموا منها العبرة.



في انتظار اللوثة (الصورة من كتاب بحارة الإمارات - رونالد كودراي)

(اللوثة) كما قال عنها بو محمد: هي طرح البحر في الشتاء، وطرح البحر المقصود به ما يرميه البحر على الشاطئ من أي شيء، ولأنه لم يكن هناك شيء في ذلك الزمان، فقد استفادوا مما يرميه البحر واعتبرها بعضهم وسيلة للانتفاع أو الرزق في الشتاء حيث تجبر الرياح بعض السفن على إلقاء جزء من حمولتها في البحر للتخفيف من الوزن واتقاء للغرق.. أو أحياناً غرق بعض السفن بكاملها، فتطرح على السيف أنواعاً شتى من الأمتعة التي يستفيد منها من يجدها.



« الجميع ملتزمون بعرف اللوثة»

بو محمد استفاد من اللوثة، وحصل على بعض الأشياء التي انتفع بها، وحكى لنا حكاية السيدة التي حصلت (لوثة) وباعتها بسبعة آلاف روبية- وهي كما يقول بو محمد- عن سبعة ملايين درهم حالياً، واشترت هي وزوجها جالبوتا (سفينة كبيرة)، وانتقلت به من عالم البحث عن اللوثة إلى عالم التجارة وصيد الأسماك.

وروى لنا سعيد محمد سالم المحيربي كيف دارت الأيام، وأصبحت أمتعته هو ورفاقه لوثة للآخرين عندما لعبت بهم أمواج البحر بفعل رياح (اللحيمر)، فاضطروا أن يلقوا بالأمتعة في عرض البحر وخرجوا بملابسهم فقط، وكيف دارت الأيام.. وانتهت المعاناة بفضل الله وأصبحت تلك الأحداث ذكريات يرويها لأحفاده وأبنائه ليتعرفوا على حياة الأجداد وكيف كانت، وليحافظوا على النعمة التي أنعم الله بها عليهم، والحرص على النعمة بشكرها.

بو محمد قال لنا عندما التقينا به في حديث الذكريات: إن عمره الآن قرابة ٧٠ عاماً قضاها بين البحر والبر، وعمل في عدة أعمال كانت بطبيعة الحال هي صيد السمك، والغوص في الصيف، وفي الفترات التي لا يكون فيها صيد أثناء الشتاء، كان يخرج إلى شاطئ البحر مع الفجر، يمشط ساحل الجزيرة التي كان يعيش عليها بحثاً عن طرح البحر، وحصّل أشياء كثيرة كان يحملها معه إلى البيت، والأشياء الكبيرة كان يضع عليها علامة فتصبح ملكاً خاصة له لا يقربها أحد.

ومن الأشياء التي كان يلقي بها البحر: الزجاجات الفارغة، قطع أخشاب، قطع من الصخام (الفحم)، صناديق، عبوات بلاستيكية، وكان من يهتم باللوثة يخرج إلى الشاطئ ومعه مخلاة يلتقط فيها ما خف وزنه من تلك الأشياء، أما الأشياء الكبيرة والتي لا يستطيع أن يحملها فيتركها في مكانها لحين طلب العون من الأهل والأقارب والجيران الذين لم يقصروا أبداً في مثل تلك الحالات، حيث كانوا يتعاونون في حمل الأشياء الثقيلة حتى بيت صاحبها، أو يضع عليها علامة ما، فإذا رآها أحد غيره لا يقرب تلك القطعة حتى ولو بقيت على الشاطئ أياماً عدة، ويذكر بو محمد أنه ذات مرة حصل (دقل) (صاري) مركب كبير، ووضع عليه علامته لأنه لم يكن يستطيع بمفرده أن يحمله إلى البيت، وظل هذا الدقل قرابة سنة في مكانه على الشاطئ لم يقربه أحد.

## عرف أهل اللوثة

يقول بو محمد: إن هذا عرف متفق عليه، وكان الجميع يحرصون على الالتزام به، وأحياناً يتعاون الجميع في جمع (اللوثة).. وإذا كانت متعددة وكثيرة فكل ما يجمعه الشخص يصبح من حقه، ويضرب مثالاً على ذلك بما حدث لسفينة إيرانية عام ١٩٤٥م عندما ضربتها رياح قوية فألقت بكل ما كان على السطح، وعادة تكون الأشياء الثقيلة داخل السفينة مثل أخشاب الساي، والأشياء الخفيفة على السطح مثل الخضراوات وغيرها، وكان بومحمد يسكن في صير بني ياس فألقت السفينة بحمولتها وجاء بها البحر إلى الشاطئ، وتجمع الناس ليجمع كل منهم ما يمكن الحصول عليه، قال: كانت من بين الأشياء التي رمتها



سفينة جنحت وألقت ما فيها وتخلت (الصورة من كتاب بحارة الإمارات - رونالد كودراي)

السفينة جونيات (أكياس) طحين، وكان الطحين إذا أصابه الماء فإن الطبقة الخارجية تلتصق وتشكل حامياً للطحين بالداخل، كنا ١٤ بيتاً من المحاربة والقبيسات والمزاريع.. وتجمع أهل البيوت وأخذوا يجمعون ما رماه البحر، وبلغ ما جمعوه من الطحين ١٠٠ جونية، وحصّلت أنا شخصياً خمس جونيات، كنت أشق الجونية وأفرغ الطحين غير المبتل في جونيات أخرى، وحصلت صناديق رمان الحبة الواحدة في حجم رأس الطفل.. وحصلت ٣ سوت (٣ قطع من أخشاب الساي) وخشبة طويلة تصلح كماليات للنش.. وغيري حصلوا أشياء أخرى كثيرة.

وجرى العرف -كما يقول بو محمد- في مسألة اللوثة أن الإنسان له كل الحق فيما يحصله، أما إذا عرف صاحب اللوثة فعليه أن يعيدها له، وإذا لم يعرف ولم يطلبها أحد فوراً فمن حقه أن يستفيد منها، والعرف أيضاً فيما ذكرته لكم في مسألة العلامة التي يضعها من وجد اللوثة عليها.. فلا يحق لأحد أن يأخذها حتى وإن كانت صغيرة، فهذه العلامة عبارة عن حجز مسبق ولا يحق لأحد المساس بها، وإن الإنسان إذا ما ساعد صاحب سفينة لاثت (جنحت) على السيف (الشاطئ) وأنزل معه بعضاً من حمولتها لإنقاذها من الغرق أو للتخفيف عن السفينة فإن من حقه أن ينال نصيباً من البضاعة التي أنزلها، وهناك من يتمسك بنسبة معينة، والحكم العرفي في ذلك نصف البضاعة، وله حق التصرف فيها، فقد يبيعها على صاحب المال، أو يتصرف بها كما يشاء، وهناك من يرضى بما يعطيه له صاحب السفينة.

## لوثة.. قيمتها سبعون مليوناً

ويحكي لنا بو محمد واقعة اللوثة التي قيمتها سبعون مليون درهم فيقول: أحد سكان الجزيرة ذهب إلى الميني.. والميني هو الذهاب إلى جمع المحار في بحر غير عميق ويكون ذلك في بداية الشتاء، وكانت زوجته تخرج لشاطئ البحر مبكرة بحثاً عن لوثة.. وكانت

تجمع كل ما تقع عليه عيناها من طرح البحر، وكما قلنا: قطعة خشب، قطعة صخام، زجاجة فارغة، وأحياناً كان الشبا (عشب البحر) يعلق بمحارة، ومع الموج كان يفصلها عن عرقها الذي تتشبث به في الأرض ويدفعهما المد إلى السيف، فوجدت تلك السيدة محارة تكاد تكون مختفية في الشبا، أخذتها ووضعتها في مخلاتها وواصلت سيرها حتى انتهت من جولتها وعادت إلى البيت، وفتحت المحارة فوجدت فيها دانة كبيرة، وعندما عاد زوجها خالي الوفاض من المينى وجد جيرانه يستقبلونه بترحاب وفرحة كبيرة بعد أن شاع الخبر والزوج آخر من يعلم.. قالوا له: مبروك الدانة، استغرب الرجل فهو لم يعد بشيء، وعندما دخل بيته عرف السالفة، وتفحص الدانة فوجدها كبيرة، فحملها وسار بها إلى الطواشين في دلما وكان أبرزهم: فهد الدوسري، العزيزي، راشد بن فهد، عيسى المريخي وحاضر المريخي، وعرض عليهم الدانة، وكان من عادة الطواويش أن يبخسوا سعر الدانة إذا عرضت على أكثر من طواش، فلم يجد بداً من بيعها بسبعة آلاف ربية فقط، لكنها الآن عن سبعين مليون درهم.. وقد نقلت الأسرة من المينى واللوثة إلى التجارة وصيد السمك بعد أن اشتروا جالبوتا (سفينة كبيرة) من بعد الشاحوف الصغير «اللي ما كان يوديهم دار».

## ودارت الأيام دورتها

ويتذكر سعيد محمد سالم المحيربي سالفة حدثت له منذ ٣٠ عاماً، قال: سافرنا على لنش لواحد من أهلنا اسمه عبيد بن بيات المحيربي، كنا حوالي ١٦ شخصاً كنا كلنا أهل بحر وبعضنا نواخذا، وكنا في ذلك الوقت نعمل في الصيد لأن الغوص قد انتهى، المهم، شرعنا في اتجاه جزيرة أم الحطب من جزر أبوظبي حيث وصلنا لها قرب المغرب.. وأرسينا.. وذهبت في بانوش (قارب صغير) أتعرف على أماكن تواجد السمك تمهيداً لصيده فيما بعد.. عدت مسرعاً إلى جماعتي وأخبرتهم بوجود كمية من السمك.. وعندما حل الظلام كاملاً.. وهذا هو الوقت المفضل للصيد لأن السمك يقترب من الشاطئ، بعكس الأيام القمرية حيث يهرب إلى الداخل،



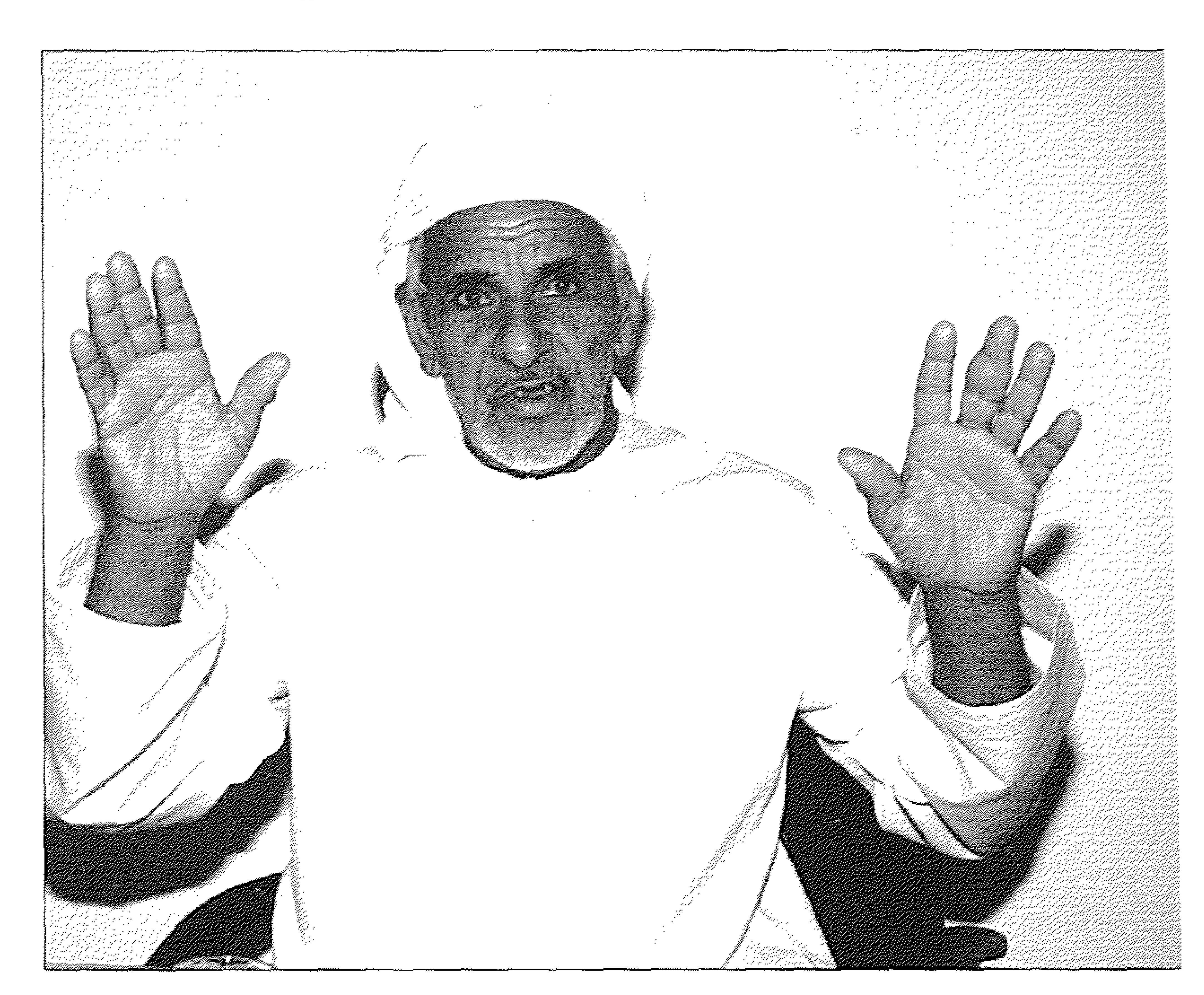
تحركنا وأحطنا السمك بشباكنا وتقريباً جمعناه كله.. وامتلأ اللنش عن آخره، ووضعنا باقي السمك في البانوش، وتحركنا في المساء إلى قطر حتى لا يفسد السمك، وفعلاً وصلنا في توقيت مناسب وجلسنا نبيع السمك الذي وصلت قيمته ٢٣ ألف ربية، وفجأة جاءنا واحد اسمه محمد العسيري من أهل قطر.. واتضح أن عبيد بن بيات قد أستأجر عنه اللنش، وجاء الرجل يطالب بحقه، فأعطاه عبيد كل ثمن اللنش ١٤ ألف ربية، وثار البحارة فهم يريدون حقهم، فقال لهم باقي السمك موجود، المهم، انتهينا من بيع كل الكمية وحصلنا نصيبنا واشترينا كل أغراض رمضان الذي كان وقتها على الأبواب، كل نفر من الستة عشر رجلاً اشترى عيشاً وتمراً وقناداً (هيلاً) وطحيناً وكل ما يطلبه البيت، وعندما عدنا من السوق كانت الساعة الثالثة والنصف عصراً، قال النوخذا بن بيات: هيا بنا لنسافر، قلت له: اتق الله، الوقت متأخر وسيأتي علينا الليل، وأرى أن الجو متغير، أصر النوخذا على المسير، وما أن خرجنا وأصبحنا على بعد ٥٠ كيلومترا من قطر.. وإذا بالرياح تعصف والبرق يضرب والرعد يدوي بشكل كثيف وعنيف.. قلنا له: يا نوخذا البر، قال لا.. البرق لا يأتي إلا بالمطر وما علينا من المطر، وفجأة جاء (اللحيمر)، وهو هواء صعب وخطير على أهل البحر.. وكان مع مقدمه انكسار السكان (الدفة) ومال اللنش على أحد الأجناب، فجرينا كلنا إلى الجانب المقابل حتى نوازن القارب على سطح الماء، ثم جعلنا مقدمة السفينة في مقابل الهواء وبدأنا في رمي الأغراض التي معنا إلى عرض البحر حتى نخفف من وزن السفينة.. حتى ألقينا بها كلها.. لكن الرياح القوية كانت تدفع المياه إلى داخل اللنش.. وبقينا طوال الليل وحتى الساعة ١١ من صباح اليوم التالي ونحن ننزح المياه من اللنش وكلما نزحنا جاءت موجه أخرى أكبر من أختها، ثم هدأت الرياح قليلاً.. وأصبح بإمكاننا الإبحار والعودة إلى قطر، وأخذنا نصارع الأمواج حتى وصلنا إلى شاطئ قطر ورسونا هناك، ثم ألقينا بأجسامنا المكدودة من التعب والجوع والعطش لمدة يومين، ونمنا حتى ظهر اليوم التالي دون أن ندري بأنفسنا، وقمنا نجفف ملابسنا ونتفقد أحوالنا، وعدنا إلى السوق لنشتري أغراضاً جديدة بدلاً من تلك التي فقدناها والتي تقدر قيمتها بعشرة آلاف ربيه، وجاء رجال من الحكومة القطرية يتفقدون الأضرار.. وعلمنا منهم أن ٤٠ لنشاً غرقت في ذلك اليوم.. وأن البحر امتلأ باللوثة.

أهلنا في صير بني ياس سمعوا بالرياح وأثرها وما فعلته في البحارة فكانوا في غاية القلق علينا، وعندما عدنا لم يصدقوا عودتنا.. وعاتبونا بشدة على السفر في ذلك الوقت لأن عدداً منا كانوا نواخذا ويعرفون أن السفر في تلك الأثناء سيكون خطيراً لكن التزامنا مع النوخذا هو الذي أجبرنا على السفر.

## اللوثة في الرؤيا

ويضحك بو محمد طويلاً وهو يتذكر اللوثة حتى في الرؤيا.. قال: عندما كنت صغيراً، وكان عمري وقتها حوالي عشر سنوات، أي قبل ٦٠ عاماً مضت، فوجئت ونحن في جزيرة صير بني ياس بأخي الأكبر يوقظني من النوم لأصلي الفجر، وأقوم أمشط الساحل كالعادة بحثاً عن اللوثة، قلت له: الوقت ما زال مبكراً، فأصر على إيقاظي، ولم أدر سر هذا الإصرار الغريب، وفعلاً، قمت وصليت الفجر، وخرجت أتمشى على السيف لعلي أجد لوثة تنفعنا ونرتزق منها، وأنا بين النوم

سفينة تحطمت على الخليج.. (الصورة من كتاب رونالد كودراي)



بو محمد يتحدث إلى «تراث»

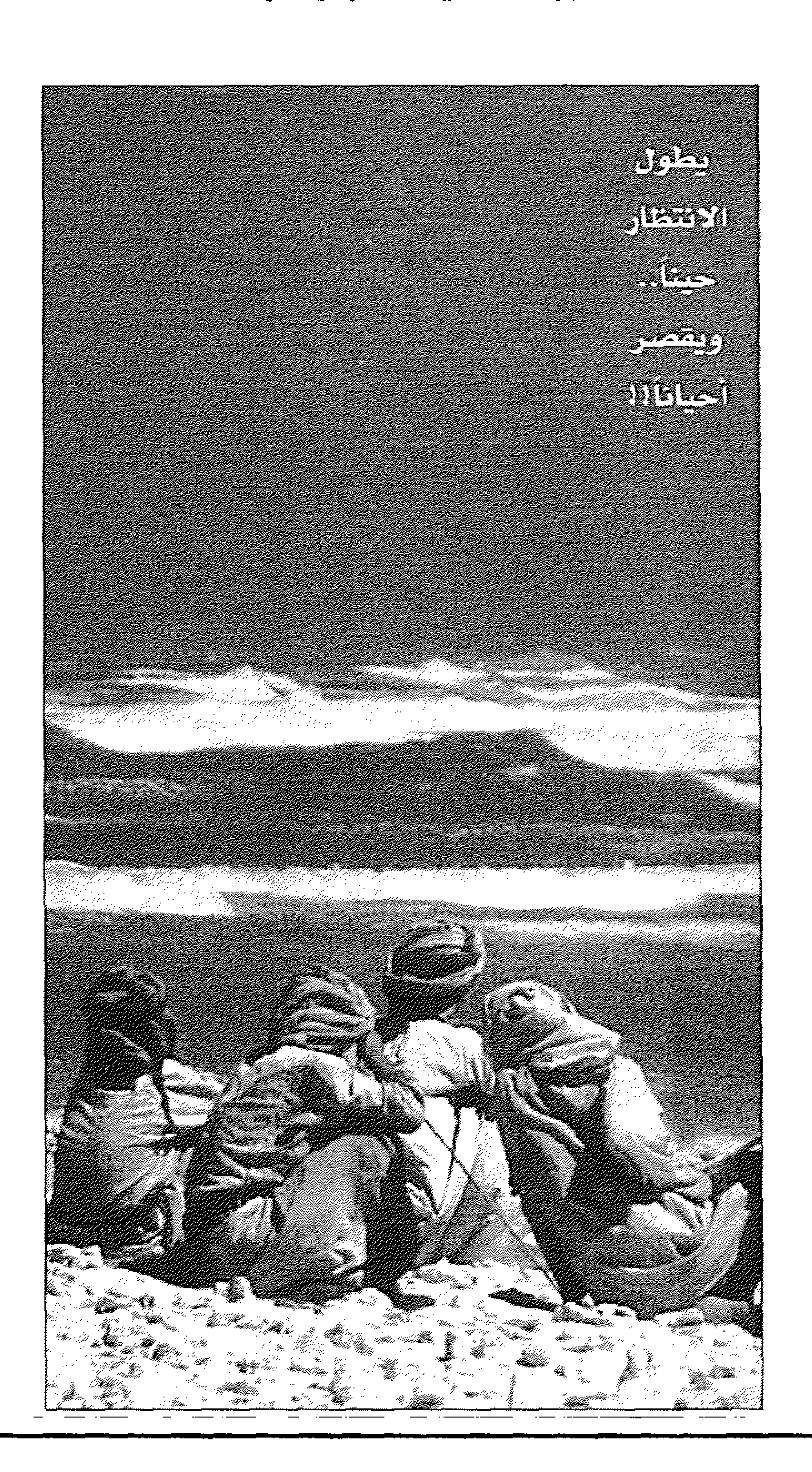
والبقظة، لمحت بانوشاً يقترب من الشاطئ، والبانوش قطعة من الخشب كبيرة حفرت على شكل قارب وعادة ما يتسع لراكب أو اثنين فقط ويستخدم للصيد والتنقلات القصيرة في البحر، أخذت أنظر حولي فلم أجد أحداً يمكن أن يكون صاحبه، اقتربت منه فوجدت فيه رمالاً لا نعرفها في منطقتنا وربما جاءت به الرياح من العراق، ووجدت جناه (عصى طويلة).. ولأنني كنت بمفردي.. جعلت وزاري عليها كما الشراع من الفرح، وسرت بالشاحوف ناحية البيت، وعندما اقتربت، جاءني أخي وهو يقول: والله هذا ما رأيته في المنام، لذلك كنت حريصاً على أن تخرج، وفرحنا بالبانوش كثيراً، وبحثنا عن أصحاب له فلم نجد، فاستفدنا منه في أيام الشتاء.

## لوثة السمك

ويقول بو محمد: إن السمك أيضاً يدخل ضمن اللوثة، استغربنا ذلك فقال: نعم.. ففي أيام الشتاء وتحديداً أيام شمل (الرياح الشمالية) الستين والثمانين تكون المياه باردة جداً، وتدفع السمك الذي يكون في ضعف شديد من البرودة ناحية الشاطئ وأحياناً تلقي به على السيف، وهذا يحدث لكل السمك ما عدا البياح والبدح والكنعد، أما باقي الأسماك مثل الصافي والعنفوز والهامور والعيفاه وخيل البحر فهي تخرج ونجدها مكومة على الشاطئ، فنجمع الحي منها لاستخدامه في الأكل أو نملحه ونبيعه، خاصة الصافي والشعري حيث كنا نجدها لا هي حية ولا هي ميتة.. أي بين الحياة والموت، أما السمك الميت فلا أحد يبيعه ولا يشتريه.

## حوتان في اللوثة

ويتذكر بو محمد و اقعة أخرى.. قال: كنا في جزيرة صلاحة، وكان ذلك في عام ١٩٤١م تقريباً، وجزيرة صلاحة لها شاطئ طويل والمياه فيه ليست غزيرة، وحدث أن فوجئ الناس بحوتين عظيمين يجنحان على الشاطئ بعد أن انحسر عنهما المد، طول الواحد لا يقل عن ٥٠ متراً وارتفاعه قرابة ثلاثة أمتار، المهم، اندفع الناس يشقون الحوتين ويستخرجون منهما اللحم والصل الذي يستخدم في طلاء السفن، وتم استخراج ما بهما من عنبر، وإرساله إلى الشيخ شخبوط رحمه الله، واستفاد الناس من لحمهما وزيتهما واستخدموا بعضاً من عظامهما لعمل ركائز للبيوت. ■



يطول الانتظار حيناً.. ويقصر أحياناً!!



د. حسن محمد النابودة
مدير مركز زايد للتراث والتاريخ - العين

## الرجل الذي طلق خمس نسوة!

من طُرف الأصمعي ما حدث به، قال: قلت للرشيد يوماً: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلق خمس نسوة، قال الرشيد: إنما يجوز مُلْكُ رجل على أربع نسوة فكيف طلق خمساً، قلت: كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهن يوماً فوجدهن مُتلاحيات متنازعات وكان الرجل سيئ الخُلق فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما إخالُ هذا الأمر إلا من قبلك، يقول ذلك لامرأة منهن، اذهبي فأنت طالق! فقالت له صاحبتها: عجلت عليها بالطلاق، ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقاً، فقال لها: وأنت أيضاً طالق! فقالت له الثالثة: قبحك الله! فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مفضلتين! فقال: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق أيضاً. فقالت له الرابعة وكانت هلالية وفيها أناة شديدة ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق! فقال لها: وأنت طالق أيضاً! وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه منكم، أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة! قال: وأنت أيتها المؤنبة المتكلفة طالق، إن أجاز زوجك! فأجابه من داخل بيته: قد أجزتُ! قد أجزتُ!

**(البرقوقي: دولة النساء)**



## بين شاعر وفقيه

حكى بعض من كان يحضر مجلس محمد بن داود الظاهري أن رجلاً دخل عليه ورفع إليه رقعة، فأخذها وتأمل فيها طويلاً. فظن من في المجلس أنها مسألة في الفقه يسأله الفتوى فيها، فقلبها وكتب على ظهرها وردها إلى صاحبها. ونظر في المجلس فإذا الرجل علي بن العباس بن جريج الرومي، وإذا هو قد كتب في الرقعة:

**يا ابن داود يا فقيه العراق**
**أفْتِنا في قواتلِ الأحداقِ**
**هل عليهنَّ في الجروح قصاصٌ**
**أم مُباحٌ لها دَمُ العُشاقِ**

وإذا بأبي بكر قد كتب له على ظهر الرقعة:

**كيفَ يُفْتِيكمُ قتيلٌ صريعٌ**
**بسهامِ الفراقِ والإشتياقِ**
**وقتيلُ التلاقِ أحسنُ حالاً**
**عندَ داودَ مِن قتيلِ الفِراقِ**

**(ابن خلكان: وفيات)**



## الدينار والدرهم

قال أشعب: جاءتني جارية بدينار وقالت: هذا وديعة عندك. فجعلته بين ثنْي الفراش. فجاءت بعد أيام تنظر الدينار، فقلت: ارفعي الفراش وخذي ولده، وكنت تركت إلى جانبه درهماً. فتركت الدينار وأخذت الدرهم، وعادت بعد أيام فوجدت معه درهماً آخر فأخذته، وعادت في الثالثة كذلك. فلما جاءت الرابعة تباكيْتُ، فقالت: ما يُبكيك؟ فقلت: ماتَ الدينار في النفاس، فقالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟ فقلت: يا مائقة، تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس!

**(ابن شاكر الكتبي: فوات)■**



مخطوطة

# كشف الغُمّة الجامع لأخبار الأُمّة

## تأليف: سرحان بن سعيد الأزكوي العُماني

■ د. فالح حنظل

**لقد كان من فضل الله سبحانه وتعالى أن أنعم على الإمارات ودول الخليج الأخرى بنعمة تبوّءِ قادة سخّروا المال سلطاناً لتذليل الصعوبات وحلّوا به عقد المشاكل وعليه أقاموا الصناعات وأبرزوا مكنونات العلوم، فتحررت العقول من عقالها والنفوس من ركودها لتسير في نهضة علمية ووعي حضاري. فلقد ظهرت في الساحة الثقافية جملة من الكتابات التي تبحث في التاريخ والتراث بشكل جيد.**

غير أن منطقة الإمارات خاصة وعُمان عامة لم تحظ من الكُتّاب العرب الذين كتبوا أمهات كتب التاريخ العربي بأخبار عنها إلا قليلاً بل دون القليل، فلم يذكروا من أخبارها إلا نتفاً متفرقة تظهر عرضاً على هامش الأحداث الجسام ويشوب الخطأ الفاضح معظمها. فلما انبثق عهد العلم مقروناً بعهد المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، انبرى شباب الجيل من أبناء الإمارات يبحث عن تاريخه ومصادره وما كُتب عنه، وفي المراحل الأولى لم يكن مما يمكن الرجوع إليه واستنطاقه إلا الوثائق البريطانية، وهي الوسائل التي كان (البيلوز) أي المقيم السياسي البريطاني المقيم في بلدة (بوشهر) الفارسية أو في البحرين يرسلها إلى حكومة الهند البريطانية وفيها نتفٌ عن أخبارٍ جرت في الإمارات. وهنا تكمن صعوبة قراءة هذه الرسائل وفهمها خاصة وأنها مكتوبة بخط اليد، إلى أن تيسر الأمر بقيام مختصين بقراءتها، ثم ترجمتها. وبقي ما يعوَّلُ عليه هو تاريخ عُمان. علماً بأن تاريخ ذلك البلد العظيم ظل نادراً ومنزوياً في المكتبات، ومن البدهي أن ما كان يحدث في عُمان من أحداث جسام، يجد له أثراً ومكاناً على أرض الإمارات، ومن ذلك الانقسام الحزبي القبلي الهنائي والغافري الذي عَمَّ عُمان كلها وقسمها إلى طائفتين سياسيتين متصارعتين منذ عام ١٧٠٠م تقريباً، فإنه أيضاً عمّ منطقة الإمارات فقسمها إلى إمارات تحزبت للهنائية الموالية لآل بوسعيد، وهو البيت الحاكم في عُمان، وإمارات أخرى غافرية معارضة لذلك، وقد أصبح ذلك الانقسام المحور الذي دار عليه تاريخ الإمارات لمدة قرنين ونصف تقريباً.

## بني ياس في كشف الغمة

وكان أول كتاب عُماني جاء فيه ذكر لبني ياس وهم الرهط القبلي الكبير في الإمارات ومنهم آل نهيان وآل مكتوم الكرام، هو كتاب (كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمة) لمؤلفه سرحان بن سعيد الأزكوي العُماني، فقد قال وهو يتحدث عن الوقائع في عام ١٦٤٥م على أيام الدولة اليعربية في عُمان ومؤسسها الإمام ناصر بن مرشد اليعربي: إن زعيماً من بني هلال اسمه قطن بن قطن الهلالي، ثار على هذا الإمام ووقعت معارك بينهما أدت إلى هروب الزعيم قطن ولجوئه إلى إمارة الظفرة حيث يقيم هناك بنو ياس. وإن مقدام بني ياس الشيخ صقر بن عيسى قد وافق على لجوئه، وعندما أرسل الإمام ناصر بن مرشد جيشاً لمقاتلة الزعيم قطن فإن مقدام بني ياس خرج لصد الجيش وفقد حياته في تلك المعركة. فكان ذلك الخبر أول إشارة لبني ياس، وتلته أخبار أخرى صغيرة عن تدخلات هذه القبيلة بالشؤون العُمانية. ليس هذا الخبر هو موضوع مقالنا، بل موضوعنا في هذا المقال هو مخطوطة أو كتاب (كشف الغمة) الذي يعتبر من أكثر كتب التاريخ العُماني شهرة وشيوع ذكر، وهو في الواقع أوسعها شمولاً وأكملها عرضاً للأحداث، وقد اكتسب شهرته لأسباب منها أنه ليس كتاباً في تاريخ عُمان فقط، وإنما هو كتاب في تاريخ العرب العام منذ أقدم العصور حتى أواسط العصر العباسي، ولكنه يعرّج على تاريخ عُمان فيخصص له الباب الرابع، ثم الأبواب من ٣٣ إلى ٣٧، ويأتي فيها على ذكر هذا التاريخ منذ قدوم الأزد إلى عُمان في تاريخ لا يحدده وحتى وقت الانتهاء من تأليف الكتاب عام ١١٤٠هـ الموافق ١٧٢٨م، وهو العام الذي انتهت فيه الحرب الأهلية في عُمان بين الغافرية والهنائية بمقتل قائدي الفريقين في يوم واحد ومعركة واحدة.

## مقدمة الكتاب

قال المؤلف في مقدمة كتابه: «لقد وضعتُ هذا الكتاب وجعلتُ ظاهره إلى القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار». ولربما للسببين السابق ذكرهما يعود الفضل في ذيوع شهرة الكتاب. وربما أيضاً يضاف إلى ذلك سبب آخر هو كثرة النسخ المتوافرة من المخطوطة في شتى أنحاء العالم وكثرة توافرها بين أهل عُمان أنفسهم.

ويعود الفضل في تعريف العالم بهذه المخطوطة إلى (المستر روس E.e. Ross) وكان معتمداً سياسياً لبريطانيا في مسقط، فقد عثر على هذه المخطوطة وترجم إلى الإنكليزية القسم الخاص بتاريخ عُمان منها، ونشرها في مجلة الجمعية الآسيوية في البرتغال عام ١٨٧٤م تحت عنوان (أخبار عُمان من أقدم العصور حتى عام ١٧٣٨م)، وقد جاءت الترجمة دقيقة ولا يقلل من جودتها إغفالها الكثير من تفاصيل المعارك والمغامرات وتجاوزها عن المقطوعات الشعرية التي جاءت بالأصل العربي.

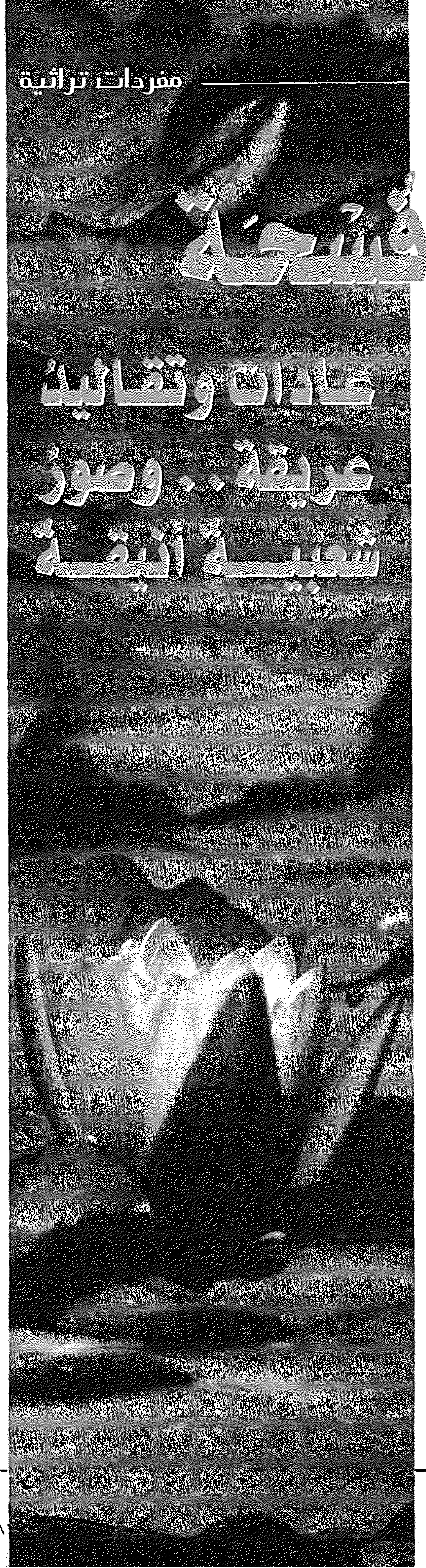
وكان المستر (ساجو E. Sachau) من رجال القنصلية الألمانية في زنجبار قد حصل بدوره على نسخة من الكتاب فنشر عنه مقالاً في الألمانية عام ١٨٨٤م.

## كلين والإسلام في عُمان

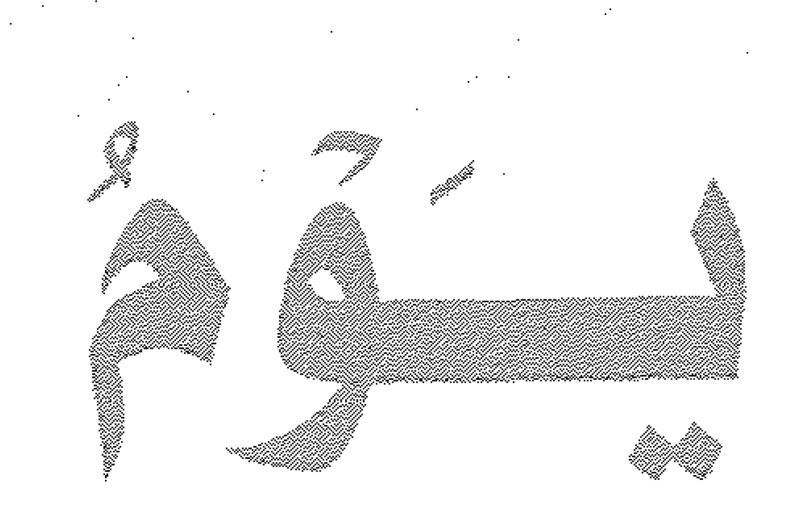
وقامت باحثة ألمانية تدعى (كلين H. Klean) بتحقيق الباب الثالث والثلاثين الذي يتحدث عن دخول الإسلام إلى عُمان وجعلته موضوع رسالتها لنيل الدكتوراه من جامعة (هامبورج)، ثم نشرت هذا البحث عام ١٩٣٨م. وقد اعتمدت هذه الدكتورة في بحثها على نسخة كانت في متحف برلين. وفي الإمارات العربية المتحدة قام الباحث المرحوم عبد المجيد حسيب القيسي بتحقيق النص العربي للفصول المخصصة لتاريخ عُمان وهي الفصول ٤ و٣٣ حتى ٣٨ ونشرها تحت عنوان (تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمة). ومما تجدر الإشارة إليه هو أن هناك عدة نسخ من هذه المخطوطة أهمها نسخة المتحف البريطاني وهي تحت رقم (MS.O.R. ٦٠٢٠) وتاريخ الانتهاء من نسخها عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٤م، وهي مكتوبة بخط رديء وإملاء ضعيف وقد غلب عليها كثرة سقوط الكلمات والسطور. وهناك أيضاً نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق وهي برقم ٣٤٧ وكان الانتهاء من نسخها هو عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٧م وقد كُتبت بخطٍ جميل، وفي دار الكتب الوطنية في باريس توجد نسخة شبيهة بنسخة المكتبة الظاهرية. وهناك نسخٌ أخرى في تونس والقاهرة والدمام. ومما تجدر ملاحظته هو أن (المستر روس) ذكر في صدر ترجمته أن نسخ المخطوطة نادرة جداً، وأنه حصل على نسخته من أحد أفراد الأسرة الحاكمة، وقد استعادها منه ثم قام بترجمتها. على أن ما يجب أن يُذكَر هنا هو أن هذه النسخ على وفرتها لم تزدنا علماً بمؤلف الكتاب فجميعها خلو من اسمه إلا اثنتين، الأولى قيل إنها في الدمام وقد حملت اسم مؤلفها سرحان بن سعيد الأزكوي العُماني، والثانية من مكتبة الشيخ السالمي المؤرخ العُماني الشهير. وينقل عن هذا الشيخ أنه قال: «لم يذكر اسم المؤلف في المخطوط كله ولم يستطع أحد أن يدلي لي بمعلومات تسد هذا الفراغ، حتى تفضل أحد القضاة الأفاضل فكتب إلى أحد الأدباء في نزوى يسأله في الأمر فأجابه هذا الأديب أن المؤلف هو سرحان بن سعيد من أهالي أزكي».

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أيضاً أن هناك مخطوطتين أخريين في تاريخ عُمان تكادان أن تكونا صورتين طبق الأصل من القسم الخاص بتاريخ عُمان من كتاب (كشف الغمة). الأولى بعنوان (قصص وأخبار جرت في عُمان) تأليف أبي سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي، والثاني بعنوان (تاريخ عُمان) لمؤلف مجهول. أما كتاب المعولي، فهو صغير الحجم ويكاد أن يكون نقلاً تاماً للجزء الخاص بتاريخ عُمان من كتاب كشف الغمة، إلا أن أحداث هذا الكتاب تمتد حتى عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م في حين تقف أخبار كشف الغمة عند العام ١٧٢٨م. أما كتاب (تاريخ عُمان) لمؤلف مجهول فهو موجود في المتحف البريطاني على شكل مخطوط، ويكاد يكون صورة طبق الأصل من (كتاب القصص والأخبار) ومن ثم أيضاً القسم التاريخي عن عُمان الذي جاء في كتاب كشف الغمّة.

وسوف نحاول أن نكتب عرضاً للكتابين في أعداد قادمة من «تراث» إن شاء الله، وفي عودة لنا بالحديث عن كتاب (كشف الغمّة) الذي انتشر اسمه وذاع ذكره، فإن هناك بعض النقاط التي يجب ملاحظتها وذكرها عنه، فالمؤلف نقل وجمع ما كتبه الأوائل عن التاريخ العربي العام وبتلخيص مبتور لما ورد في أمهات الكتب كالطبري والمسعودي وابن الأثير وغيرهم. أما أخبار عُمان القديمة فقد نقلها عن كتاب (أنساب العرب) الذي استمدها بدوره من ابن الكلبي، أما تاريخ العقائد والفرق الإسلامية فقد نقله عن كتاب (الملل والنحل) المشهور للشهرستاني.■



# يَــوْمُ فُسْحَةَ



## عادات وتقاليدُ عريقة.. وصورٌ شعبيــةٌ أنيقــةٌ

■ أ.د. محمد رضوان الداية

في مراجعة لروائع كلاسيكيات الأغاني الشعبية أيام سيادة الإذاعة، قبل ظهور التلفزة وملحقاتها، نتذكّر أغنية ذات إيقاع عذب، قائمة على الحوار بين اثنين؛ وهو حوار يجري بين سيدة يرافقها زوجها راكبين في عربة نقل يجرها حصانان اثنان (حنطور) وبين الحُوذِيّ (سائق العربة). والراكبان يُمضيان فسحة جميلة في شوارع فسيحة مظللة بالأشجار تُمتع النفس والعين، ويتردد مع موسيقى الأغنية والصوتين اللذين يتبادلان الحوار وقع حوافر الخيل، وصوت الأجراس التي تُزيّن بها رقبة كل حصان، في تمازج غريب بين هذه العناصر المختلفة، وقد أدى هذا إلى لحنٍ رقيق مؤثّر جداً، وممتع غاية الإمتاع؛ فإذا جمعنا اللحن ومتعلقاته إلى تصوّر الحال وكأنها ماثلة في الواقع توقّعنا لوحة فنية لا تُنسى. تقول هي:

«سُوق يا اسطى لحدّ الصُّبْحِيَة»

ويجيب الحوذِيّ: «وعلى راسي يا هانم وعينيه»

وتتوالى المقاطع المُغنّاة من صوت السيدة الفرحة بهذه الفُسْحَة الحلوة، وتتوالى إجابة الحُوذِيّ بالعبارة السابقة، مضافاً إليها عبارة تكرر معها:

«الجوز الخيل.. والعربيّة
أنغامها كلّها حِنّية»

و(الفُسْحَةُ) في العَربة التي تجرّها الخيل، واحدة من أساليب متعددة يلجأ إليها الناس، وهم يحاولون كسر رتابة الحياة اليومية، واغتنام فرصة مواتية في يوم الفراغ، أو يوم العطلة، أو مناسبة العيد، أو ابتداء الربيع، وما شابه ذلك من المناسبات..

وفي مثل هذه الفُسَح ترويح عن النفس، وإعانة لها لتعود إلى العمل والكد في نشاط مستأنف، وهمة جديدة.

وفي الأثر: «رَوِّحوا القلوبَ ساعةً بعد ساعة، فإنها إذا كَلَّت عَمِيَتْ».

والكلال هو التعب الشديد..

وللترويح بالنّزه والفُسَح أنواع وألوان..

## النّزهة وأخَواتها

النُّزهة، وما يتفرع من مفردات مادّة (ن ز ه) هي الأكثر استعمالاً، ودوراناً من الكلمات التي ترد للحديث عن حركة الخروج عن البيوت والدُّور والأحياء السكنية إلى مكان بعيد، أو خارج عن حدود القرية أو المدينة.

وأصل مادة (ن ز ه) معناه البُعد. لكن الدلالة تطورت من قديم وقالوا: مكان نَزِهٌ ونزيه. وقد نزهت الأرض. وقال الجوهري في الصحَاح: خَرَجْنا نتنزَّه في الرياض. وقال ابن سِيْدَة الأندلسي: تنزّه الإنسان: خرج إلى الأرض النُّزهة. وقد توسّع الناس فقالوا: خرجنا نتنزّه إذا خرجوا إلى البستاتين والخُضَر والرّياض. واعترض بعض اللغويين على هذا التطوير، وقال: التنزّه: التباعد عن الأرياف والمياه. ولكن الجوهري أثبت صحّة الاستعمال الشائع. وثبت هذا المعنى في المعاجم الحديثة التي طرحها مجمع اللغة العربية. وفي الوجيز: تنزّه فلان: خرج إلى الأرض للنزهة. ويُسمّى المكان الذي يقصد لهذا الغرض، أو يُعَدُّ لأجل ذلك: المُتَنَزَّه. وورد في المعاجم الحديثة: المُنْتَزَه. وسمّيت مواضع بهذه المفردات اللغوية وصارت علماً عليها مثل (منتزه الإسكندرية).

– واستعملوا كلمة البَرّ والبرّية، وقالوا: جَلَسْتُ بَرّاً، وخرجْتُ بَرّاً. والبَرّيّةُ: الأرض المنسوبة إلى البَرّ، ويقال بَرّية إذا كانت إلى البرّ أقرب منها إلى الماء (البحر أو النهر العظيم).

– ومن هذا قولُ الناس في بعض الأقطار إنهم خَرَجُوا إلى البَرّ، وهم يريدون معنى الخروج إلى النُّزهة. وسنعود إلى هذه الفكرة في ما يلي.

– ونقرأ في الوجيز (معجم من مجمع اللغة العربية بمصر): الفُسْحة: «السّعةُ بين عملين للراحة والتنزّه». و«تفسّح: طلب الفُسحة من عَمَل ليستريح». وقد شاعت كلمة فسحة ومشتقات من (ف س ح) للدلالة على معنى النزهة والتنزّه، في بعض البلاد العربية، وصارت معروفة في الأقطار المختلفة، وربّما استعملوها تقليداً للدّارج في مصر.

– و(النزهة) ومادتها اللغوية ترد في بعض الأقطار، في الدارجة، موافقة لمقاصدها في الفصيح دون زيادة أو نقصان. وتزاحم كلمة النزهة مفردات أخرى بين عربية وأعجمية، مع ميل مستمر إلى تغلّب الألفاظ العربية.

## .. وفي الألفاظ الشائعة

في الإمارات – كما في معجم الألفاظ العامية –[1]: (عِزْبة): السّفرة والنّزهة، وتُسمّى كَشْتَه أيضاً. يقوم مجموعة من الأصدقاء بنصب عِزْبة أي مجموعة خيام قرب ساحل البحر، لبضعة أيام، بقصد النزهة واصطياد السمك.

وفي مادة (كَشْتَه): قال: الخروج إلى ضواحي البلد والمزارع المحيطة به لغرض النزهة، فيقال: كَشّتْنا، وكَشْتَنَهْ؛ أي خرجنا للنزهة. انتهى

وأرى أن اسم عزْبة عربيّ صحيح، موصولٌ بمعنى النُّزهة الفصيح، وهو معنى البُعد عن المدينة والحيّ إلى خارج المنطقة، وفي لسان العرب: عَزَب الشيء: بَعُدَ وخَفِي.

فالعِزْبة العربية والكَشْتَة الأعجميّة تدل على معنى النزهة؛ والخروج إلى البحر، أو إلى البَرّ.

وفي مصر يوردون كلمة (فُسحة) اسماً. ويشتقون أفعالاً: مثل تَفَسَّح، وتفسّحوا.. إلخ. وقد سبقت الإشارة إلى الكلمة.

وفي العراق يقولون: كُنّا في سَفْرة (بفتح السين) وأخذونا سَفْرة. كما يقولون: طلعنا البَرّ.

وفي فلسطين: شَطْحَة، وفي ليبيا: زَرْدَهْ[2].

وفي الشام (سورية – دمشق): سيران. وسماط. وقد سجّل صاحب (مرآة الشام) أحوال نُزَهِ الرّجال والنساء في الشام أوائل القرن الماضي[3]، أما الرجال فنزهتهم (سيران)، وأما النساء فنزهتهن سماط. كان ذلك يجري باستقلال مجتمع الرجال عن مجتمع النساء. قال: «ولم تزل السَّيارِيْنُ باقيةً مع شيء من التعديل (في أوصافها القديمة وأحوالها الشائعة) وإنما السماطات أُهملت، وأخذت النسوة يذهبن

زرافات ووحداناً إلى أي حديقة راقت لهنّ.. والبعض منهنّ أخذ يجلسن في المقاهي والحدائق العامة في الرّبوة ودُمّر وشارع بغداد والمهاجرين وغيرها أمام الرّجال..» ولم يُخْفِ المؤلف سنة ١٩٤٣ دهشته من هذا التغيّر.

وبقيت كلمة السَيران؛ وبقي نشاطاً اجتماعياً ما تزال له رسوم وعادات أكثرها موصول بما سبق مع بعض التغيير الذي تقتضيه ظروف المكان والحال أحياناً..

## أزمان وأوقات

ولهذه الظاهرة الاجتماعية أوقات تكثر فيها. وهي أوقات متقاربة في البلاد العربية، وكثرتها موصولة بالمناخ المناسب، وانتعاش الطبيعة، وإسباغها ظلالها الظليلة، وثمراتها الطيبة، ودِفْئها المعتدل.

ومن هنا يكثر الخروج طلباً للفُسْحَةِ والعِزْبَةِ والسِّيْرَان وما شابه من الأسماء والألقاب في أوقات الربيع، وأطراف الصّيف، على أن المناسبات قد تدور مع فصول السنة كالأعياد، وهي مؤسسة على السنة الهجرية المرتبطة بالشهور القمرية.

وفي خطط الشام[٤] وصف موجز للاحتفاء أيام الربيع، قال: «من عاداتهم الخروج أواخر فصل الشتاء وأوائل فصل الربيع إلى المتنزهات العامة يوماً في الأسبوع لاستنشاق الهواء النقي على اختلاف عاداتهم ومذاهبهم نساءً ورجالاً..».

وتحدث أحمد أمين[٥] عن بعض عاداتهم في مصر في شم النّسيم، واحتفالهم برأس السنة القبطية، وهو يوافق الاحتفال بيوم النَّيروز، وسنمرّ بالحديث عنه. وذكر مناسبات أخرى معروفة في القطر المذكور، ثم قال: (والحكام تشجع هذه الموالد لترويجها للحركة التجارية ومسايرتها للعواطف الشعبية»[٦].

ومزية الربيع في الأقطار المختلفة أنه فصل:

- تخرج فيه الدنيا من برد الشتاء إلى اعتدال الزمان؛
- ويصفو فيه الجوّ، ويكون نقياً بعد مواسم الأمطار. ومن هنا يقول الناس عن هذه النزه والفسح إنها لـ (شمّ الهوا)؛ والمراد هذا التغيير الذي ينفع النفس والبدن.
- وتبرز الطبيعة فيه محاسنها بعد خُمول أو همود: ينبت النبات وتزهر الأعشاب والمزروعات والأشجار؛ وتنفتح النفوس لتلقي ملامح الجمال، والصفاء والأنس.
- وتنطلق الطيور الأهلية المقيمة كما تعبر الطيور الوافدة العابرة..

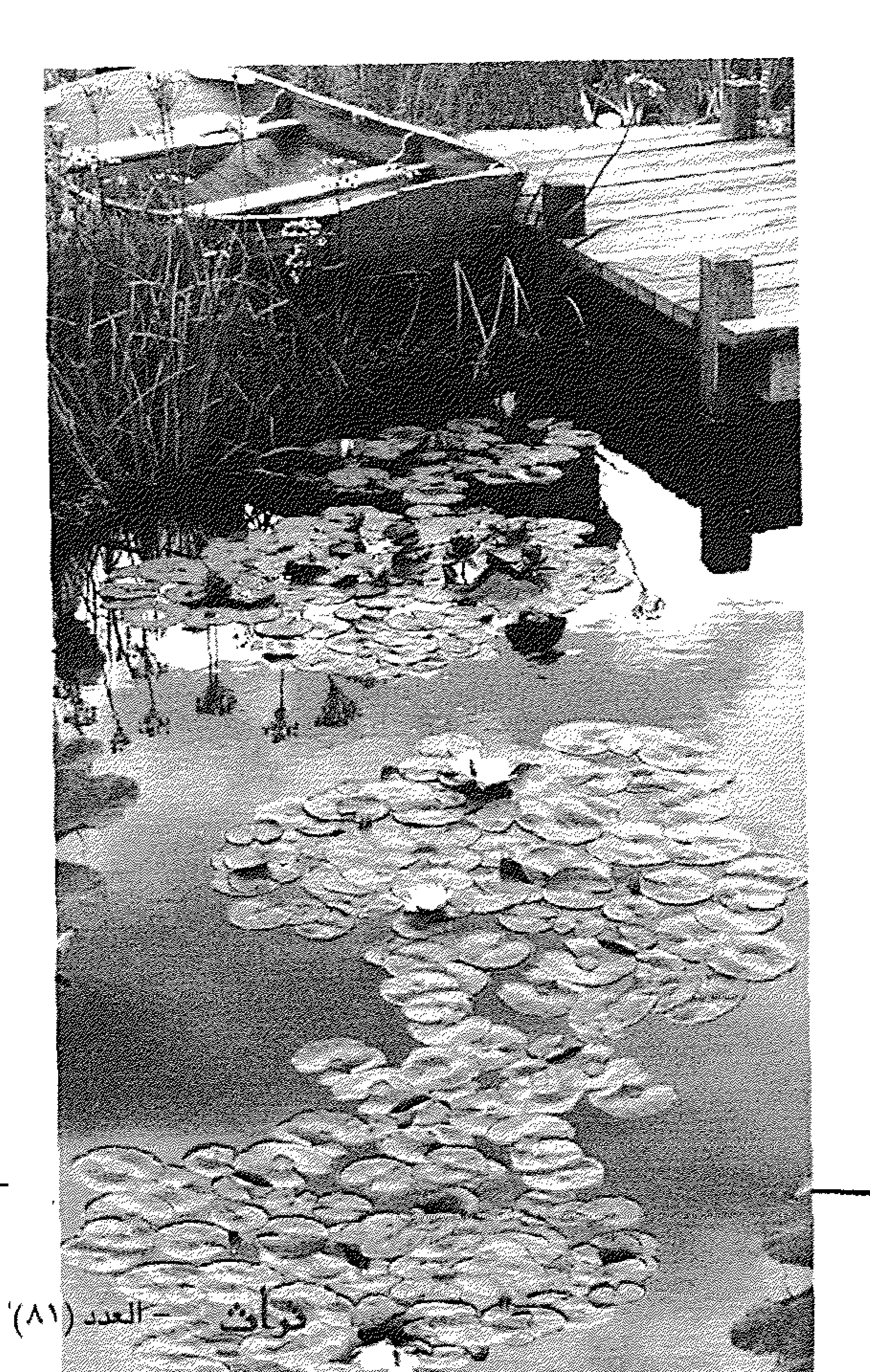
وقد تختلف بدايات مظاهر الربيع بين منطقة وأخرى بين شمال وجنوب، وبعد عن البحر وقرب، ونفوذ في البادية أو اقتراب من المدن والقرى.

## النّزهة قديماً وحديثاً..

نقول إنها عادات وتقاليد عريقة لأنّها ضاربة في جذور التاريخ، فاحتفال المصريين بوفاء النيل قديم جداً (واكتسب في العصور الإسلامية منحى جديداً)، والتفات أهل دمشق والغوطتين إلى الطبيعة منذ سكن الناس في هذه المنطقة التي كانت تُعَدّ إحدى جنان الدنيا الأربع، وخروج أهل البادية في الجزيرة العربية إلى المتنزهات في إبان الربيع موصوف في أشعارهم وآثارهم، وهكذا دواليك في سائر الأقطار العربية.. ولا يغيب عن البال الاختلاف الجغرافي بين بيئة الجزيرة (أو بيئاتها) والبيئات المتوسطية والبيئات الأطلسية.

- الاحتفال بالربيع متشابه لكنهم في المشرق استعاروا اسم النَّيروز، ونقرأ لأبي نواس:

**أما ترى الشمس حلّت الحمَلا**
**وقام وزن الزّمان فاعتدلا**
**واكتست الأرض من زخارفها**
**وشي نباتٍ تخاله حُلَلا!**



والربيع يمثل عند معظم الشعوب انبعاث الحياة، ومبدؤه في ٢١ آذار (مارس). وفي هذا الوقت تدخل الشمس بُرج الحَمل.

- وهناك احتفال آخر يُقام في فصل الخريف، وكان يسمّى المِهْرَجان. وأصل معنى الخريف من قطف الثمار. وهو في الأرياف والبوادي بدء خَرْف التمر والبلح، وهو في البلاد المتوسطية زمان نضج التين والعنب وغيرهما. وكان الاحتفال في أيام الدولة العباسية بالمهرجان بعد ١٤٩ يوماً من يوم النَّيروز.

- والنيروز يوافق في مصر أول السنة القبطية (كما ذكر أحمد أمين) وقال القساطلي إن أيام النيروز كانت تبدأ في الشام على أيامه في ٢١ آذار من السنة.

- وكان الأندلسيون يحتفلون بالربيع، وكان شعراؤهم ينظمون في مناسباته كثيراً. وكانوا يقلّدون أهل البلاد في الاحتفال بالعام الجديد ويسمّونه (ينيّر) وهو اسم الشهر الأول بالتقويم الميلادي الجاري العمل به. وأخذ أهل المغرب من ذلك الزمن الاحتفال بالعام الجديد والاهتمام بأيام الربيع.

- وسهّلت أدوات الحضارة الحديثة وخصوصاً وسائل الانتقال القوية السريعة في دخول البرّ واجتياز المسافات، والذهاب بالأهل والولد للاستمتاع بأيام الصفاء والجوّ الحسن في الربيع المعروف، وفي الخريف



الذي يسمى في الجزيرة العربية باسم الربيع أيضاً، فإذا نزل الوسميّ (الأمطار الأولى) راق الجوّ، وتهيأت الأرضُ لموسم جديد، ولعله كان بشارة بنبات الكمأة (الفقع) ولهم عادات في الخروج إلى البرّ للفُسحة من جهة وجمع الفقع من جهة أخرى.

- ومن الطريف أن موسم الثلج يشجع الناس (على رغم البرد الشديد) للخروج إلى البرّ واللعب به، والتباري في صناعة التماثيل منه إلخ...

## من العادات والتقاليد

والفُسحة، أو العِزْبة، أو السَّيران، ترتكز عادة على:

- الخروج إلى ظاهرة البلدة (خارجها) قصد التّرويح عن النفس، والتسلية.
- الاحتفاء بأنواع ملائمة من الأطعمة والأشربة.
- الاندماج في ألعاب مختلفة تلائم الأعمار، والأذواق.
- وقد تشتمل على شيء من النواحي الثقافية المناسبة.

وفي الشعر الجاهلي دليل واضح على العنصرين الأولين: الخروج إلى النزهة، وتحضير الطعام المناسب؛ فقد ذكر امرؤ القيس حادثة دارة جلجل حين عقر ناقته لتكون طعاماً مستعجلاً لمجموعة صديقات ابنة عمه فاطمة: «ويوم عَقَرْتُ للعذارى مطيتي»، وهو يوم مشهود، ذكره المؤرخون والجغرافيون؛ وقد قال امرؤ القيس:

**ألا رُبَّ يومٍ لك منهنَّ صالحٍ**
**ولا سِيما يومٌ بدارةِ جُلْجُلِ**

قال ياقوت الحموي[٧]: إنه مكان في أرض حجر (نواحي مملكة كندة) في نجد.

وقد وصف امرؤ القيس حفلة الشّواء وفصّل فيها، وزاد ما يخص العنصرين الآخرين فإنّ حفلة السّباحة كانت العنصر الثالث، وكان إنشادهُنّ من شعره العنصر الرابع!.

هذا في القديم ونقرأ في كتاب: (دمشق في مطلع القرن العشرين)[٨]: كان أهالي دمشق يقيمون الربيع على أيام الأسابيع ويجعلون لكل مكان يوماً معيّناً. أما الشيوخ فنزهاتهم غير محدودة وهم يطلبون الهدوء، وتبدأ نزهاتهم غالباً عقب صلاة الفجر. وفي هذه الرحلة المبكرة يأخذون موادّ الإفطار، وهو في العادة طعام منوّع كثير، ويحملون آلة الشاي، وخصوصاً السّماور) الذي يفضلون صنع الشاي فيه، ويحملون

معهم بعض كتب السيرة أو الفقه أو الأدب. ويقصدون ضفاف الأنهار (تفرّعات نهر بردى) مثل قناة المزّة، وفي مجريات السّيران: تناول الإفطار، وأداء ركعتين شكراً لله تعالى، وقراءة شيء مما حملوه معهم من الكتب، ويختمون بالدُّعاء، ويَعُودون..

ويكون الذهاب من المنازل إلى أماكن النزهة سيراً على الأقدام إن كان المكان قريباً، أو ركوباً: كالقطار، أو الحمير (آنذاك).

أما الشباب وسائر الناس فيطلبون مكاناً فسيحاً في الضواحي ويخرجون مبكّرين، ويعدّون العدة للبقاء إلى آخر النهار، وربما تأخّروا إلى شيء من ليل إن كان الجوّ مساعداً. ويحملون معهم ما يكفي من المآكل، أو موادّ المآكل، والمشارب، والحلوى وما يتسلّون به، وأكثر مآكل السيران تتم في النزهة من طَبْخٍ وشيٍّ وصنع المقبلات والمتبلات والتّبولة ..إلخ.

ومع الطعام وشرب الشاي والقهوة تتم مسابقات، ولقاءات وألعاب تُناسب كل فريق من الكبار والصغار والفِتْيان والفتيات. وطعام أيام الربيع في النزهات من المشويّ، ومما يُقْلى من الخضروات، والمُجدّرة (قريبة من الكُشَري في مصر) وهي مُتقنة لذيذة، وما يُطبخ من الفول، ولهم تفنّن في صناعته على ألوان شتى تزيد على عشرة.. لكل واحد طعم مختلف.

ولا تخلو جلسات عامة الناس من الجو الثقافي، وذلك بمنافسات مذاكرة الأنفاس (مسابقة حفظ الشعر) وتداول الأمثال، وغيرها مما يدخل في التسلية المفيدة.

## أشعار في السيران

وإذا كانت (العزبة) من الإبعاد عن المساكن، و(الفُسحة) من التفسح والتنزّه، فإن (السِّيران) الشامية من السَّيْر. لأن الأصل القديم كان السَّير (غالباً). وبقي الاسم كذلك ولو كان الانتقال على الدواب أو بوسائط النقل التي استُحدِثَت مثل السيارة.. ونقرأ للشيخ عبد الغني النابلسي:

**أتينا قبّة السيّار يوماً**
**مع الأصحاب نركض في الصّباحِ**
**وقد كان المسيرُ على رياض**
**معطرة بأنفاس الرّياح**
**وعُدْنا بعد ذلك في سرور**
**فيا طيب الغدوّ مع الرّواح!**

وقبّة السيار في طرف قاسيون من المنازه المشهورة.

وقال ابن الشمعة الدمشقي:

**سِرْ بي إلى المَرْجَة الخضراء في زمن**
**فيه الربيع أتى والزّهر قد نثرا**
**واستجْلِ طَرْفَكَ في باهي محاسنها**
**مَعْ شادنٍ إن تبدّتْ تخجل القمرا**

ومن مادة (س ي ر) اشتقوا كلمة السيران، وجمعوها على سَيَارِيْن. واشتقوا من الكلمة فعلاً فقالوا: تسيرن، وكله مُوَلّد مُستحدث. والمرجة الخضراء من المتنزهات القديمة، وهي اليوم في قلب دمشق.

إنّ مَلْمَح النُّزهة على اختلاف أشكاله وأزمانه وبلدانه: مَنْشط اجتماعي أغلب ما يكون عند الناس شاملاً، كانطلاق الأسرة بأسرها؛ أو الأسرة مع بعض الجيران. وقد يستأجرون حافلة: تأخذهم وتعود بهم لكثرتهم. وفي هذا ما فيه من التآلف الاجتماعي وتنشيط النفوس، وتسلية الأولاد، وتقريب بعضهم من بعض، وفي هذه اللقاءات في الأماكن المشهورة مصالح اقتصادية للباعة وصغار الكَسَبة، وهي على كل حال نوع من السياحة في الوطن، أو السياحة الداخلية، وتقع تحت عنوان «تعرّف إلى بلادك» حين تكون الفسحة بعيدة.

ثم أقول رغم المستجدات الجديدة من الملهيات وأدوات التسلية وتزجية الوقت يبقى لهذه النزه والفسحة مكانها ومكانتها في الحياة الاجتماعية، فإنها من المناشط القديمة الباقية بخصوصيتها وارتباطها بالثقافة الشعبية المتواصلة.■

### إحالات:


(١) معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة: د. فالح حنظل، ومراجعة د. غسان الحسن، الطبعة الثانية: عزبة، ص٤٥٤، وكشتة: ص٥٦٨.

(٢) حاشية الكتاب السابق: ص٥٦٨.

(٣) مرآة الشام: تاريخ دمشق وأهلها: عبد العزيز العظمة: ص١٣٣-١٣٤.

(٤) خطط الشام: محمود كردعلي، ط٢ / ج٦، ص٢٧٩.

(٥) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية: أحمد أمين، الطبعة الثانية (مكتبة النهضة بمصر)، ص١٠٦.

(٦) المرجع السابق: ص٣٨٨.

(٧) معجم البلدان: مادة: (دارة جلجل).

(٨) المؤلف أحمد حلمي العلاّف: ط١، دمشق، ص٢٠٨-٢٠٩.

مهن وحرف على وشك الاندثار

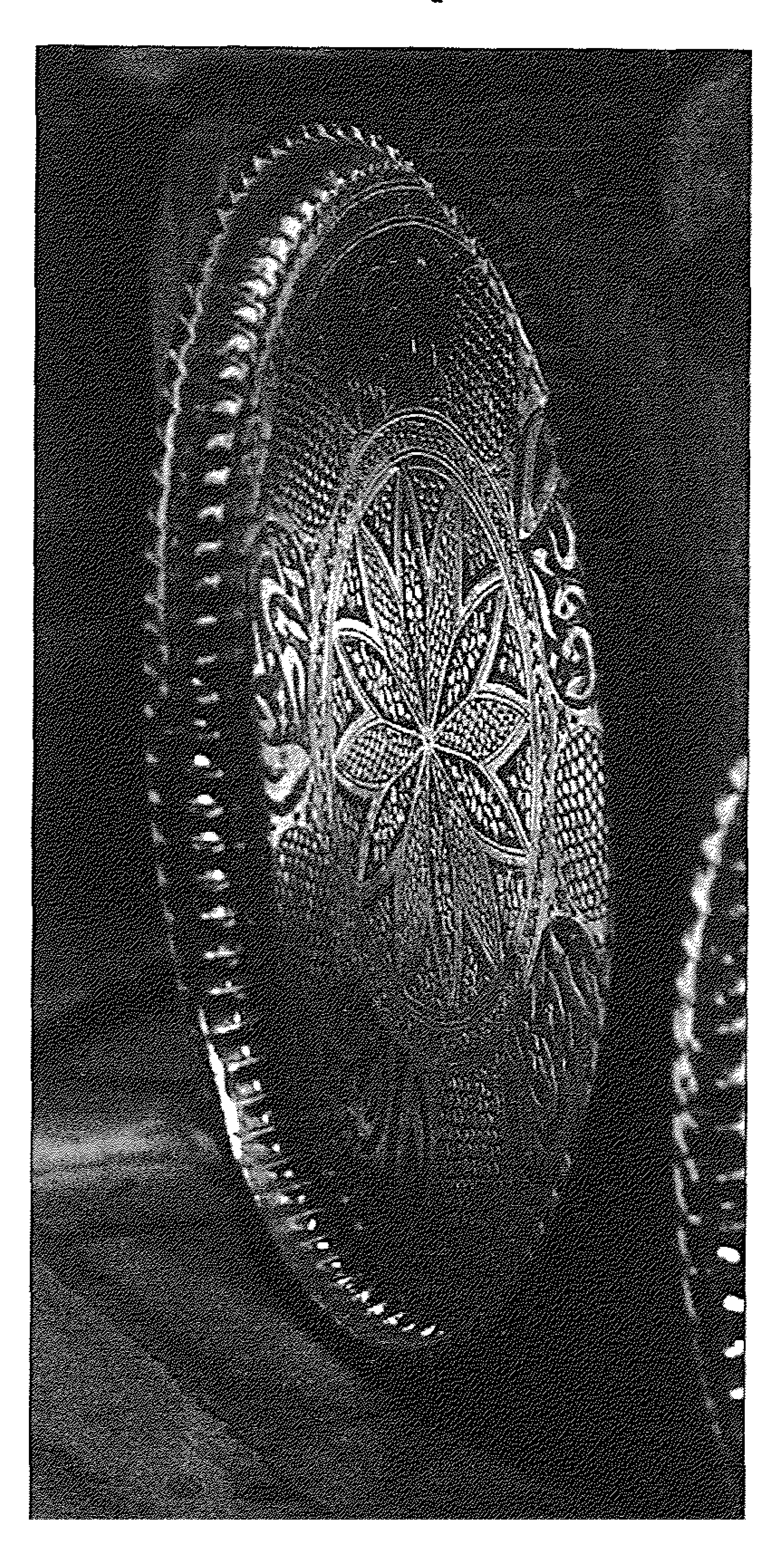
# صناعات دمشقية تنبض بالتراث

■ ياسين صويلح

تعدّ الحِرف والصناعات التقليدية جزءاً هاماً من التراث الذي نعتز ونفخر به، حيث يقصد السائحون الأجانب الأسواق القديمة في العاصمة السورية دمشق للتمتع بتلك الروائع الفنية التي يبدعها الحرفيون، لدرجة أن أغلب تلك الصناعات والحرف ارتبطت بأسماء أصحابها لتصبح كنيتهم أو ألقابهم.

وفي هذا البحث سنحاول إعطاء لمحة عن تاريخ الصناعات الدمشقية، وتسميتها، مروراً بالحِرف التي ارتبطت بأسماء أصحابها، والشروط الواجب توفرها في من يريد أن يتعلم حرفة ما، ثم نصل إلى واقع الصناعات الدمشقية في وقتنا الحاضر.

مهن وحرف كان لها حضورها في الماضي.. كانت مصدر رزق.. وإبداع فن.. لكنها اليوم بدأت تعاني النسيان أمام دوامة الحداثة والتقدم العلمي.. ثم تتوارى.. وتتوارى.. لكن قبل أن تغيب من الواقع والذاكرة.. لابدّ أن نسلط عليها هذا الضوء.



بداية نقول إن دمشق عُرفت في معظم عصورها بأنها مدينة صناعية، كما هي مدينة زراعية وتجارية، فهي مركز للقوافل التجارية التي كانت تغدو وتروح بين قارات العالم الثلاث، مما جعل أصحاب الصناعات والحرف يفدون إليها من شتى بقاع الأرض، ويقيمون فيها ردحاً، حيث يباشرون ممارسة الحرف التي حملوها من ديارهم البعيدة، فيتلقف منهم صناع دمشق كل غريب ونادر، وبالمقابل كان الصانع الدمشقي يسافر إلى أقطار أخرى ويمارس فيها صناعته كما حدث في المغرب العربي والأندلس وبلاد الروم وغيرها.

ويعود تفوق دمشق في صناعتها إلى وفرة المواد الأولية المستخرجة من أرضها، وتسلسل العمل في كل صنعة في بيوت مخصوصة لها على الأغلب، واتساع الأسواق أمام منتجاتها ويذكر التاريخ أن دمشق كانت مركز الصناعة الأول للنفائس، كما وُجدت صناعات: الديباج، والخز، والبروكار، والأغباني.

وإذا انتقلنا من مجال الصناعات النسيجية إلى الصناعات الأخرى، نجد النحاس المنقوش، والسيوف المصقولة، والزجاج، والخزف، والخشب المحفور المنزل بالصدف، وقد كانت منسوجات دمشق تصدر إلى سائر الأقطار، ويتفاخر الملوك والعظماء باقتنائها، وقد عرف النسيج الموشى في أوروبا باسم (دامسكو) بالإيطالية نسبة إلى دمشق، كما عرف الغرب صناعة دمشقية أخرى هي نصال السيوف المصقولة المرصعة





بالذهب والفضة، وكذلك النحاس والحلي المرصعة بالأحجار الكريمة، وقد بلغت هذه المصنوعات النفيسة ذروة شهرتها إبان الحروب الصليبية، إذ كان التجار الفرنجة يترددون على دمشق لشراء مصنوعاتها رغم حالة الحرب التي كانت قائمة بين العرب والصليبيين، ومن هذه الشواهد ما ذكره المؤرخون عن قدوم رهط من هؤلاء التجار ونزولهم في المدرسة العادلية بدمشق في ذلك الوقت.

كما كان لتجار البندقية صلات قديمة مع سورية، نشأ عنها وجود جالية بندقية في حلب، حيث منحهم السلطان في ذلك الوقت امتيازات خاصة للاتجار والإقامة، ولا يزال الخان الذي كان مقراً لهم في حلب قائماً ويعرف بخان البنادقة إلى يومنا هذا، ولم يقتصر الاتجار بالمصنوعات الدمشقية على الأجانب وحدهم، فقد تولى الكثيرون من التجار العرب منذ عصور عديدة، وحتى إبان الحروب الصليبية نقل المصنوعات الدمشقية إلى أوروبا فضلاً عن الأقطار العربية.

وقد ذكر أبو البقاء البدري المصري الدمشقي في كتابه: (نزهة الأيام في محاسن الشام) قوله: «ومن محاسن الشام ما يحمل منها إلى الديار المصرية عشرة قافات انفردت بها وهذه مسمياتها: قصب ذهب، قبع قرطية، قوس، قبقاب، قراصيا، قمر الدين قيشة، قنب».

وإذا تجاوزنا الفكاهة في هذا القول، فإن ما يصنع في دمشق من نفيس المتاع ليحمل إلى العالم يفيض بكثير عن القافات، وقد يشمل أحرف الهجاء جميعها.

## التسمية

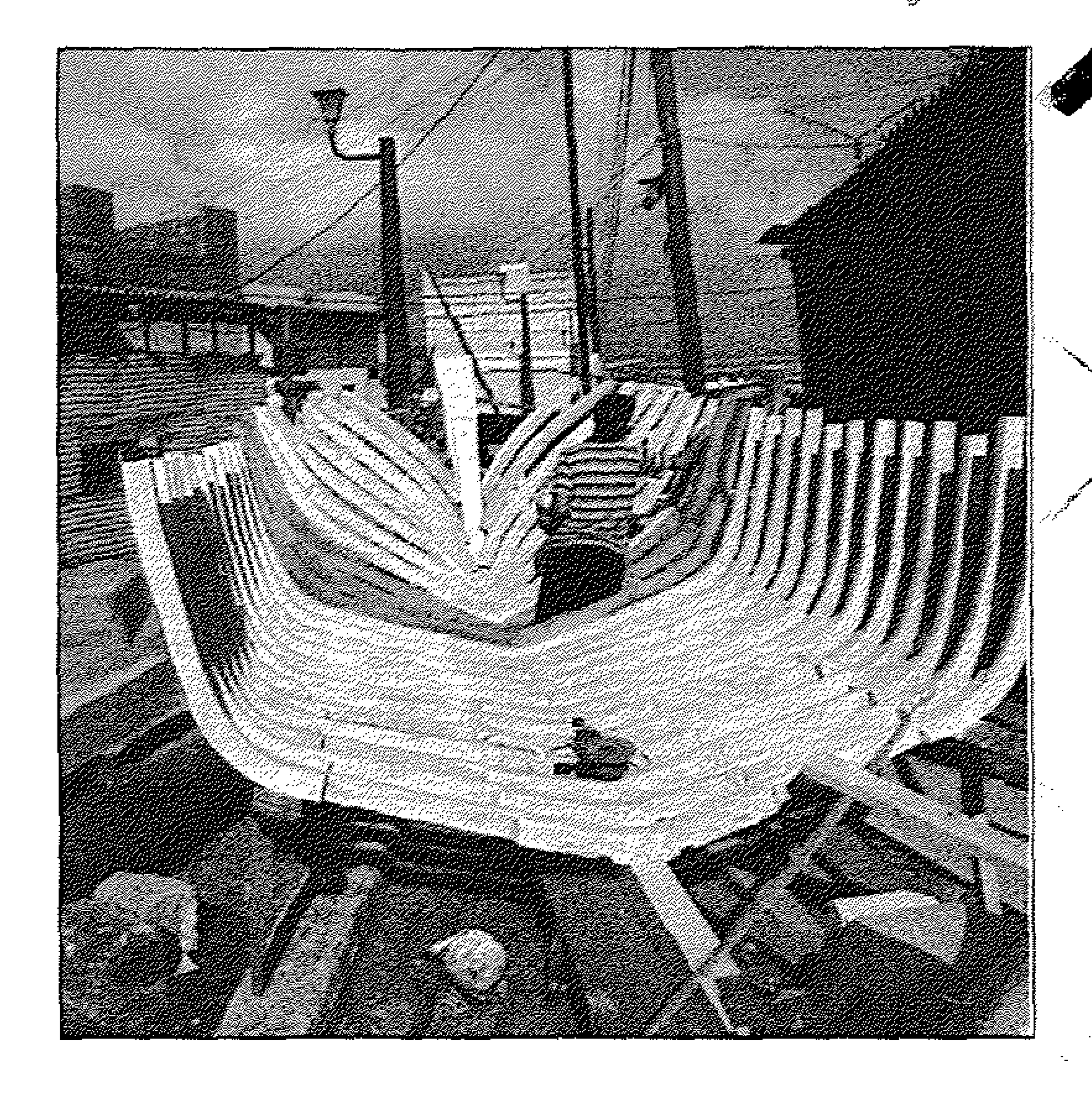
كانت كلمة (صنعة) تطلق على الصناعة في دمشق، والكلمة الأكثر شيوعاً هي (شغل) ويقال شغل الشام مثلاً (ويعني دمشق)، وشغل مصر أو (شغل برّه) للدلالة على أنها مستوردة من الخارج.

ومنذ أن دخلت الآلة على بعض الصناعات التقليدية أصبح المرء يحتار ماذا يطلق على تلك الصناعات وكيف يسميها. الحرفية، أو التطبيقية، وأحياناً نضع قبل الصناعات كلمة الفنون، فنقول: الفنون والصناعات اليدوية أو التقليدية، وقد اصطلح في الغرب على تسميتها بكلمة (الأرتيزانا) وهي تجمع بين الفن والصناعة ويسمى القائم بها (ارتيزان)، وقد جاء تعريف الأرتيزانا من قبل مكتب العمل الدولي في جنيف كما يلي: «الأرتيزانا هي كافة الأشياء التي يصنعها الإنسان باليد المجردة أو بالاستعانة بوسائل وأدوات تدار أو تحرك باليد».

وهكذا فإن مكتب العمل الدولي جاء بتعريف مطلق أدخل فيه كل الأشياء المصنوعة باليد دون تمييز بين المصنوعات التي تحمل طابعاً فنياً، وبين المنتجات العادية البدائية: كالجرار الفخارية، والحصر، والخواص، والسلال وحتى المحراث وشباك الصيد وغيرها من أدوات الزراعة والعمل، واعتبرها جميعاً في عداد (الأرتيزانا).

## حِرف ارتبطت بأسماء أصحابها

ارتبطت بعض الحِرف والصناعات الدمشقية، بأسماء أصحابها، لتصبح كنية لهم أو لقباً يلقبون به، ومن هذه الكنى المعروفة بين الناس والذين يفتخرون



بانتسابهم لها: «المنجد، الخباز، القزاز، المبيض، القباقيبي، الدباغ، الطرابيشي، الدهان، الحداد، النداف، الحايك، العطار، العرقسوسي» وغيرها من كنى تدل على الحرفة وهي كثيرة لم يبدلها أصحابها، بل اعتبروها إرثاً غنياً، وشرفاً كبيراً، ومثار فخر واعتزاز بالرغم من أن أكثرهم لم يبق له إلا الاسم الذي يحمله، لأن التواصل لم يتم، ولم يتحقق لأسباب عديدة أحد أهمها دخولنا عصر العلم الحديث، مما جعل أكثر الحرف التقليدية أعمالاً قيمة تشدنا بحنين إلى عبق الماضي، وروعة صناعته، وتذكرنا بما لا يمكن أن ينسى من حرف ساهمت فيها المهارة، والذكاء والصدق مع الذات.

وما ينطبق على ارتباط الحرف بأسماء الأشخاص، يرتبط بالأسواق. فقد كانت بعض الأسواق مختصة ببعض الحرف حتى يتسنى لرئيس الحرفة مراقبة عماله وصانعيه والإشراف عليهم.

وهكذا نجد لكل حرفة سوقاً، يجتمع بها أربابها فكان هناك سوق للخياطين، وآخر للنحاسين، ومثله للدقاقين.

كما أن بعض الحرف كانت لأبناء بعض الأديان والمذاهب دون غيرهم. وقد أعد محمد سعيد القاسمي وولده جمال الدين أربعمائة وخمساً وثلاثين حرفة في كتابهما (قاموس الصناعات الشامية) تطرقا من خلاله إلى أبجديات معظم الحرف والصناعات الدمشقية.

## تعلّم الحرفة

من أسماء الحرفة في دمشق اسم (الكار) والجمع (كارات) وكلمة كار جاءتنا من اللغة التركية عن الفارسية وهي تعني الصنعة أو الحرفة. ومن أمثالهم في هذا المجال: «الكار سوار من ذهب» أي الصنعة أمان من الفقر.

ومزاولة الفتى صنعة (كاراً) ما، توجب عليه الانضمام إلى تجمع ذلك الكار الحرفي، بحيث يتدرج فيه ويترقى من أجير إلى صانع فمعلّم وفق قواعد مستمدة من الأعراف والتقاليد.

وينحصر تسلسل المراتب في الكار في سبع درجات نذكرها كما يلي:

– شيخ مشايخ الكارات: وهو الرئيس الأعلى لجميع الصناعات والحرف التقليدية ومنصبه وراثي، وسلطته واسعة على جميع الكارات، تنحصر مهمته في القيام بحل جميع المشاكل التي تقع بين أرباب الحرف، وقد استمرت سلطته مرعية الجانب إلى أن أصدر السلطان عبد الحميد الثاني بما يعرف بـ (التنظيمات الخيرية) فتقلصت سلطته وأصبح عمله يتعلق بالإشراف على إقامة الاحتفالات والطقوس الرمزية الخاصة بالحرف.

– شيخ الكار: وهو رئيس الحرفة، ومنصبه وراثي ويطلق عليه في بعض الأحيان لقب (باشي)، كما في حرفة القصابين والمعماريين – قصاب باشي ومعمار باشي– ومن شروط تعيينه أن يكون بارعاً في صنعته، أميناً على عهده، ومهمته تنحصر في حل المشاكل والخلافات بين المعلمين وصناعهم من جهة، وبين المعلمين والزبائن من جهة أخرى، وله صلاحيات واسعة تصل أحياناً إلى حرمان المخطئ من ممارسة الكار مدة من الزمن.

– النقيب: وهو الساعد الأيمن لشيخ الكار، وينوب عنه في غيابه، ومهمته تنحصر في السهر على حسن انتظام قواعد العمل في الكار، وهو يعين من قبل شيخ مشايخ الكار بناء على اقتراح من شيخ الكار.

– الشاويش: وهو صلة الوصل بين شيخ الكار والحرفيين ومن مهامه إبلاغ أوامر شيخ الكار إلى الحرفيين في الحرفة ويتم تعيينه من قبل شيخ الكار ويراعى في اختياره أن يكون أهلاً لعمله.

– المعلم: وهو رئيس الحرفة (الكار) في مشغله أو معمله يشترك في الاجتماعات واتخاذ القرارات المتعلقة بالحرفة مع بقية المعلمين وشيخ الكار. يتبع له الصناع والأجراء في المعمل وهو مسؤول عن نشاطهم وأخلاقهم وعلاقاتهم مع الزبائن.

- الصانع: وهو العمود الفقري في الحرفة، ويعمل لقاء أجر متفق عليه، ويبقى صانعاً حتى يترفع إلى درجة معلم، وقد حاول كثير من المعلمين تأخير ترفيع صناعهم خشية المنافسة لهم، ولا يحق للصانع ترك عمله وفتح محل خاص به إلا بموافقة المعلم، وإن حاول ذلك فإنه يتعرض للمضايقة والتشهير وربما يضطر إلى إغلاق محله.

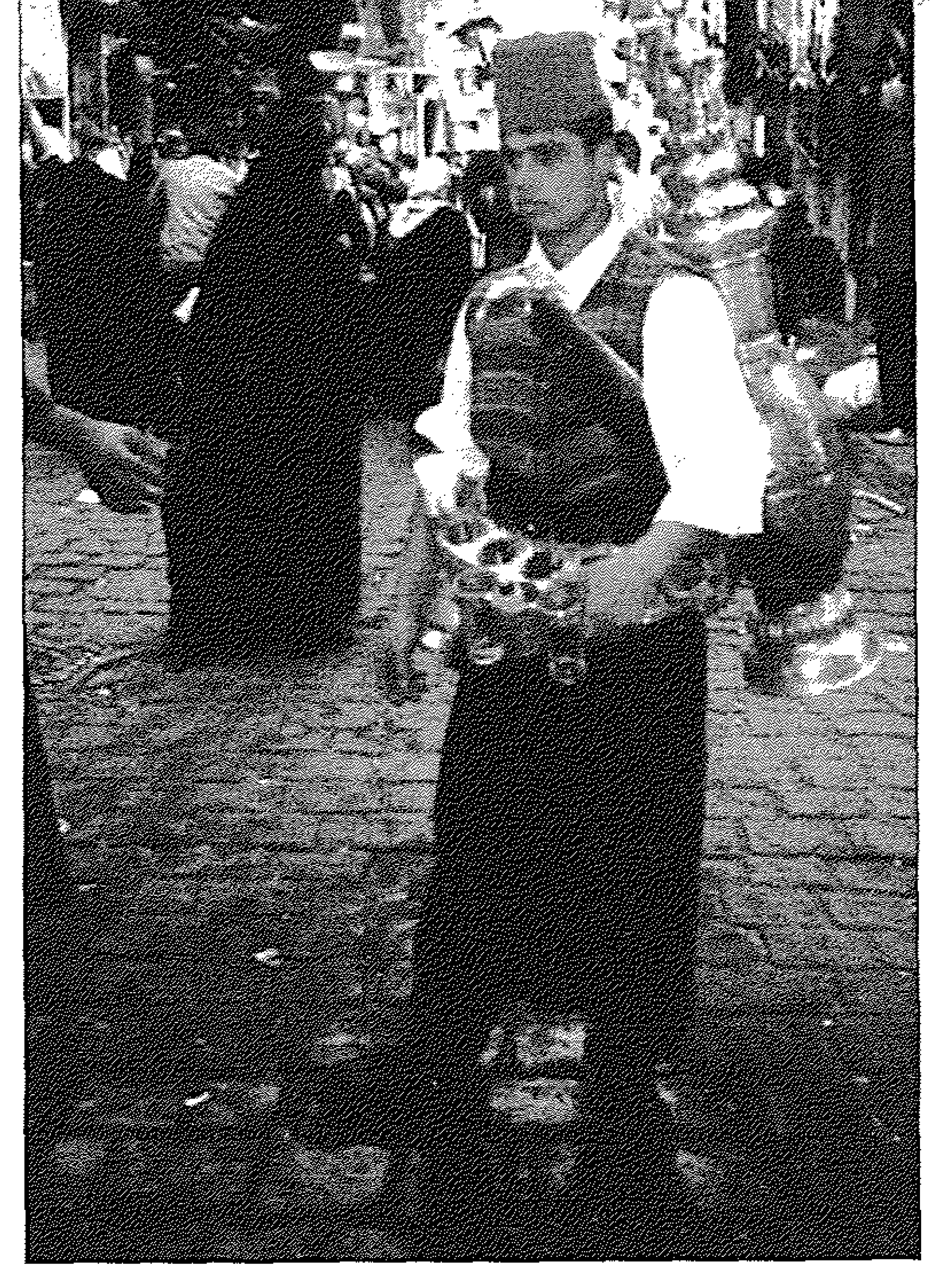
- الأجير: تأتي مرتبة الأجير في أسفل مراتب سلم الحرفة، أما أجره فكان رمزياً لا يتعدى مصروفه من طعام وشراب ولباس، وكان استخدامه يتم بموجب عقد مسجل لدى القاضي الشرعي.

## الترفيع

إذا توفرت في الصانع الشروط المطلوبة لإتقان أبجديات الحرفة وتوفرت في الأجير الصفات المطلوبة كي يصبح صانعاً، فإن ذلك لا يمنع من ترفيعهما وفق سلسلة من الاختبارات يعقبها اقتراح المعلم وموافقة شيخ الكار، وبعد تحديد موعد معيّن تجرى مراسم الترفيع وهي تتمثل فيما يسمى بـ (شد الخصر) وهو قيام المعلم بعقد حزام من الحرير على خصر مرشحه كرمز لارتباط ذلك المرشح بالكار، وشد أزر العاملين فيه والمحافظة على السمعة الطيبة للحرفة، ويتخلل الحفل قراءة الفاتحة وإنشاد بعض الأناشيد الدينية، وغالباً ما تقام الحفلات في الحدائق العامة بحضور جمع غفير من أصحاب الكار من شتى الاختصاصات، وهناك أدعية كانت تردد في بعض هذه الأمور، وعهود غريبة تؤخذ من الصانع.

## الواقع الحالي

كانت الصناعات اليدوية في سورية ودمشق تنتج حتى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، احتياجات البلاد من كافة المصنوعات، ناهيك عن التصدير إلى الأسواق العربية والعالمية، ونتيجة لتطور الحياة الاجتماعية من جراء تسرب تأثيرات المدنية الغربية تحول الناس إلى اقتباس الأساليب الغربية في السكن واللباس والزي، وحتى الطعام والشراب، وهو ما يحتم استنباط وسائل وحاجيات تتلاءم مع متطلبات هذا التطور، وهي لم تكن موجودة في منتجاتنا، ولذا انقلب الناس إلى البضائع الأجنبية، حيث كان هذا التحول فرصة سانحة للغرب الذي كان بالمرصاد، يتطلع إلى بلادنا لفتح أسواق جديدة لصناعاته الآلية



بائع العرقسوس

الحديثة، فتسربت البضائع الأجنبية إلى بلادنا وحلّت محل صناعاتنا في عقر دارها.

ثم جاءت الضربة القاصمة للحرفيين عندما بدأ تجار المنتجات اليدوية بالاستغناء عن الوسائل اليدوية التقليدية في الإنتاج واستبدالها بالآلات الميكانيكية الحديثة وصنع أصناف مماثلة للبضائع الأجنبية.

وفي مجرى انسياقنا في تقليد الغرب واتباع أساليبه، تنكرنا لمدرستنا العريقة واقتبسنا المثال الغربي دون وعي وتبصر، ومن غير تمييز بين الغث والسمين، فأدى هذا التهور والطيش إلى الإضرار بحرف عديدة كانت تعمل وفقاً لأساليب تقليدية والتي تخلى عنها صناعها، وفقدنا ثمرات أعمالهم الفنية الرائعة.

ومن المؤلم أن صناعات غريبة في أسلوبها، دخيلة في نمطها وأشكالها حلّت محل هذه الحرف، فطمست وجه صناعات أصيلة، وأصبح الفن السائد في بلدنا هو الفن الغربي الهجين، فاكتظت منازلنا بأثاث مكسوة باللدائن بدلاً من الحفر والنقش والتلبيس والتطعيم بالصدف الذي كان يتقن صنعها مهرة توارثوها أباً عن جد، واندثر الكثير من دورنا القديمة وما كانت تزخر به من روائع الفنون. ■

### المراجع والمصادر:


١- منير كيال: فنون وصناعات دمشقية.
٢- منير كيال: يا شام في التراث الشعبي الدمشقي.
٣- خير الدين الأسدي: موسوعة حلب.
٤- مجلة العمران دمشق: وزارة الإسكان والمرافق.



إشراف:
محمد إبراهيم الحديدي
m_alhadidi@hotmail.com




# كثر الكلام

يِقُوْلْ الْفِهِيْم الْمَايِدِيْ إلّي بَنَا — والأمْثَالْ مَا بِيْنْ الرِّوَاتْ اتْقَالْ
بَوْصِيْكْ عَنْ كِثْرْ الكَلَامْ المخَالِفْ — وَمَا جَاكْ مِنْ كِثْرْ الْحِدِيْثْ أقْوَالْ
وانْ يَتِكْ عُوْيَا مِنْ سِفِيْهٍ فَخَلْهَا — وانْ يَاتْ مِنْ غِيْرْ السِّفِيْهْ فَسَالْ
ولَا يِنْقِلْ الْمِنْقَال رَجْلٍ ابْجَيدْ — وَلَا يِشْرَبْ الدِّهْنْ الْمِذَابْ إرْيَالْ
ومِنْ لَا يِدَارِيْ عِلّةْ الْهُوْنْ أوّلْ — تِبَاطَا بِهَا زَادَتْ عِلِيْهْ أعْلَالْ
ومِنْ لَا عِطَا الْحَجّامْ رَضْوةْ مِرَاهِدْ — إحْتَاجْ إلَى بَذْلْ الطِّبِيْبْ ابْمَالْ
ومِنْ لَا سَعَا لِلظِّلْ لَيْ عَادْ مِبْرِدْ — الشَّمسْ صَالَاهَا بِغِيْرْ إظْلَالْ
وكَمْ مِسْتِظَلٍّ زَالْ عَنّهْ اظْلَالْه — وكَمْ جَالِسٍ فِي الشَّمسْ يَاهْ إظْلَالْ
ومِنْ لَا عَلَى الرَّاحَاتْ يَدّدْ نِعَالهْ — وطأ الشُّوْكْ والرَّمْضَا بِغِيْر انْعَالْ
ومِنْ لَا تِغَاضَا عَنْ خِطَايَا رِجَالهْ — شِكَى الضّيْمْ مَهْضُومٍ بِغِيْر ارْجَالْ

■ الماجدي بن ظاهر

*****

في كتاب خالد سعود الزيد: (أدباء الكويت في قرنين) ترجم لـ: جاسم عيسى النصر الله (٢: ٣٤٠) واختار من شعره. والشاعر من أهل الكويت، لكنه وُلد في البحرين حيث نزح والداه، فتعلم هناك، ورحل إلى الهند للتجارة. ثم عاد إلى الكويت واستقر فيها. وَصَفَهُ الزّيدُ وأثنى على حِفظه الكثير من الشعر العربيّ، وقال إنه كان عازفاً عن نشر شعره أو جمعه.

– وعند حاشية النصّ المختار إيضاح بمناسبته وزمان نشره، وفيه: «قضى الشاعر من عُمره زمناً في مدينة بُومباي بالهند؛ فنظم هذه القصيدة متذكّراً صِباه، وواصفاً حنينه إلى مدينة المُحَرَّق في البحرين. وقد نشرت عام ١٩٤٧م في مجلة العرب التي كانت تصدر في دلهي..»

– والشعر نابض الحيوية بهمّ الاغتراب والحنين إلى الوطن وأهله..

– ولخليفة الوقيّان تخميس لطيف على القصيدة.

# حَنِينُ الغَرِيب

■ جاسم عيسى النصر الله

وَطَنِي! نَحْوَ مائِكَ العَذْبِ حَنّا … مُغْرَمٌ طيرُ قَلْبِهِ فيكَ غَنّى[1]

يا بلاد الحبيبِ مَسْقَطَ رأسي … وأماني الكئيبِ إذْ يَتَمَنّى

يا بلادي! ويا سَمِيرَةَ رُوحي! … كيفَ يسلوكِ مُولَعٌ ومُعَنّى؟[2]

يا بلادي! ويا مَرابِعَ أُنْسي! … قد تركتِ الجَمالَ للنّاسِ فَنّا

يا (أُوالُ) مرضتُ من طُول بُعدي … هلْ دَواءٌ مِنَ (المُحَرَّقِ) يُجْنَى؟[3]

كم ليالٍ على رُباكِ تقضّتْ … لو رَآني بها العَذُول لَجُنّا!

بين جَنْبَيّ طاهِرُ الحُبّ يُمْلي … من لذيذِ الحديثِ آياتِ حُسْنى

جَمَعَتْني والظَّبْيَ عينُ عذارى … فَبِرُوحي أفْدِي الغزالَ الأغَنّا[4]

يتشكّى وفي تشكّيهِ عَذْلٌ … يترضّى. وفي تَرَضّيْهِ مَعْنى

كلُّ هذا تَدلّلٌ وتَجَنٍّ … غيرَ أنَّ الدّلال للنفسِ أهْنى

ليتَ شِعري هل التّداني حَليفي؟ … أَمْ أُعاني جَيْشَ المُنُون فأَفْنَى

إن قضى الله باللقا عن قريبٍ … لم أَعُدْ ذاكراً لِـ "هِنْدٍ" و"لُبْنى"[5]

أنا ما زلتُ حافظاً لِعُهودي … وأكيلُ الوفاءَ وَزْناً فَوَزْنا!

## شرح المفردات:

(١) الفعل حَنَّ: من الحنين. والألف التي مع الفعل لإطلاق الشعر.

(٢) مُعَنّى من فعل عَنّى؛ يقال: عَنّاه أي كلّفه ما يَشُقّ (يَصْعُبُ) عليه، ويكثر وصف المحبّ المُوَلّه بـ المُعَنّى.

(٣) أُوال اسم قديم للبحرين.

(٤) الأغنّ صفة تكاد تكون لازمة للغزال والظبي ونحو ذلك، مأخوذة من الصَّوْت.

(٥) هند، و: لبنى، و: ليلى.. من الأسماء التي تذكر لمطلق معنى الغَزَل.■

# نجم سهيل يبعثر أوراق شعراء النبط

نجم سهيل هو نجم هذه الزاوية في هذا العدد، أولاً: لأنه يتصادف ظهوره يوم ١٠ من شهر أغسطس، ولأنه علامة فارقة عند أهل البر والبحر و(الحير)، وعشاق الحداق والقنص والسفر.

وظهور نجم سهيل عند كبار السن ليس معناه رؤيته بالعين المجردة في السماء يوم ١٠ أغسطس، وإنما المتعارف عليه أن تراه الناقة الصفراء في الماء عندما تشرب فـ(ترتبش)، أي تجفل وتكثر حركتها، وهذا معناه عندهم تعبير عن فرحتها بظهوره وبدء برودة الجو.

ويلمس الإنسان ذلك إذا ترك ماء في إناء لفترة بسيطة في أي جزء من الليل فيجده بارداً وهو ما لم يكن يحدث في الأيام التي سبقت ذلك، ورؤية نجم سهيل في السماء عند الفجر تتم بعد ظهوره بستة أيام، ويقولون إنه فارق الأرض وظهر في السماء، ويطلقون على الأيام الستة التي اختفى فيها نجم سهيل ما بين ظهوره ومفارقته الأرض بالستة (المساريق).. أي التي لا تدخل في حسابات الدرور، والتي تبدأ من يوم ١٦ أغسطس حيث طلوعه وظهوره في السماء وهدوء الرياح.

وحسابات نجم سهيل في منتهى الأهمية عند المهتمين بها لأنها رزنامة البحر والرياح والزراعة عند أهل البر وأهل (الحير) (الحجر.. أي سكان الجبال).. وهي أمر يهم المسافرين بحراً أيضاً لأن الرياح قد تأتي بما لا تشتهي السفن.

ولأنه علامة فارقة في حياة الناس في الماضي، ومعلم تراثي خالد تغنّى به شعراء النبط، ولكنَّ كلاً تغنّى به على هواه أو على ليلاه كما يقولون، فمنهم من فرح به لأنه بداية موسم، أو قرب الموسم كما هو عند عشاق القنص بالصقور، وهو عند بعضهم رفيق السهر للمحبين، وهو يتلألأ في السماء كما قلوب العشاق في خفقانها، وهو جزء من التراث عند عشاق البادية في حلهم وترحالهم.

بحثنا في عدة دواوين عن نجم سهيل في أوراق الشعراء فوجدناه قد بعثرها تماماً كما ذكرنا من قبل.. لكن هناك من تعامل معه برقة العشاق وحنان المحبين واكتفى بوصفه واتخاذه دليلاً على السهاد والهيام، وصديقاً لأن عيونه لا تنام، ومنهم من اكتفى بالحديث عنه من منطلق تحديد المواعيد.

في ديوان روائع البيان في آل نهيان ص٢٠٧ يقول الشاعر سعيد بن عتيج الهاملي في مدح الشيخ حمدان بن زايد الأول:

**عليك يا مختال برق شامي**
**صفاري إلى بانت نجوم سهيل**
**تنزو عليك من المغيب ردايم**
**عليها من يلال البروق شعيل**

**ومعناها: يا من ترتجي خيراً وتأمل بالعطاء، عليك اختيار البرق الشامي الذي يبشر بالمطر، وهو يظهر في الصفري مع ظهور نجم سهيل، الذي هو موعد المطر الوسمي الذي يسوق الخير للزرع والضرع، والمعنى العام: يا من ترتجي خيراً، عليك بمن هو أهله ولا تذهب لأي شخص.**

## العشاق ونجم سهيل

أما العشاق، فحدِّث عنهم ولا حرج، فهذا محمد بن حميد بن جبران السويدي في ديوانه المسمى باسمه يقول في قصيدة (قل للحب مشكور) ص٣٥:

**قبلك أنا ياوشت في بحور**
**في محملٍ والموج يغشاه**
**أصبح شرى مُسي ومجبور**
**ما بين نجم سهيل والياه**

فهو يعترف للمحبوب بأنه ليس الأول، فقبله خاض أيام عشق عنيفة تلاعبت به كما تتلاعب الأمواج العاتية بسفينة في عرض البحر، وجعلته تائهاً ما بين سهيل والياه، والياه هو القطب الشمالي، ويقصد تباعد حالة التيه التي كان يتخبط فيها بسبب العشق.

وفي قصيدة (جرح المودة بان) ص٤٣ من الديوان السابق يصف بن جبران حاله للمحبوب فيقول:

**إن هب شرتا سهيل ذنّان**
**اذكرت وقتي لي مضى وفات**
**البارحة بت اسجع الحان**
**واجاوب الورقا بالاصوات**

يقول: إن هبّ النسيم الشمالي من صوب نجم سهيل وكان هادئاً بارداً رقيقاً، أتذكرك وأتذكر ذكرياتي معك، فالبارحة هاجت بي المشاعر وبتُّ أنظم الشعر وأتجاوب مع طائر الورقا، وهو طائر تغريده عند الشعراء المكلومين كصوت الناي الحزين.

ويبدو أن الحب قد استبد به، وطال الصد والحرمان، فقال في قصيدة (الحب مر) ص٦٢ من الديوان نفسه:

**الأول ينش الْيه بترحيب**
**في الحب يدري لي مداراه**
**خطّفت والشرتا مِ المغيب**
**ما بين نجم سهيل والياه**

فهو يؤكد التيه الذي كان فيه ما بين سهيل والياه، ويتحسر على الأيام التي مضت والتي كان فيها الحبيب يقوم له فيها احتراماً وتقديراً وسعادة بمقدمه، ويسعى للقائه مهما كانت المصاعب والعقبات.

إلا أن الشاعر سعيد بن سرور في ص١٤٢ من ديوان (تراثنا من الشعر الشعبي) الذي أصدره نادي تراث الإمارات يحيي الهبوب الذي جاءه من ناحية سهيل فهو يذكره بالحبيب الذي تركه ساهراً بمرور ثلثي الليل، وعبراته تنسال على خده فيقول:

**حيي ابهبوب يا منْ اسهيل**
**سوايبه في الينب جذيات**
**جن الدجى واتثالث الليل**
**وانا نظيري ما بعد بات**

وتضمنت أوراق التقويم السنوي الهجري الذي أصدره نادي تراث الإمارات العديد من أبيات الشعر التي تذكر نجم سهيل، لكنها لم تتضمن اسم الشاعر.. ومن بينها:

**وسهيل كوجنة الحب في اللون**
**وقلب المحب في الخفقان**

تشبيه رائع كم كنت أتمنى أن أعرف صاحبه لأرسل له التحية، فلون ضوء نجم سهيل أصفر مائل إلى الحمرة كوجنة المحب في خجله ولهفته وعشقه، وتلألئه كخفقان قلب هذا المحب عندما يلقى من أحب.. بالتأكيد كلام رائع.

وشاعر ثان شغوف متلهف مترقب متشوق لرؤية المحبوب، الذي يكني له بنجم سهيل بقوله:

**أراقب لحا من سهيل كأنه**
**إذا ما بدى من آخر الليل مُطرف**

أما الشاعر الثالث الذي أصابه الوهن من الحب، حتى لم يعد يقوَ على الحراك، فهو أيضاً يلمح ويكني ويقول لأصحابه راجياً:

**أقول لأصحابي ارفعوني فإنني**
**يقر لعيني أنْ سهيلاً بدا ليا**

والشاعر الرابع لم يهنأ له بال، ولم يذق للنوم طعماً،

ولم يعد يستسيغ الطعام بدون المحبوب، فهو يؤخر طعام العشاء لعل وعسى، لكن رجاءه خاب:

وأنــيت الــعشـــاء إلى ســـهـــيـــل
أو الشـــعـــرى فـــطـــال بـــي الأنـــاءُ

## بكاء على الأطلال

والبكاء على الأطلال وارد، بل هو من هموم الشعراء، وقد يكون البكاء على أطلال المحبوب، أو الذكريات، أو على أطلال حياة كان يعيشها الشاعر وهجرها ثم حنَّ إليها، وهي سمة موجودة الآن بين معظم الشعراء كبار السن، فما أن يحدثك أحدهم عن الماضي إلا ويثني عليه ويقول مع زفرة حارة: إنها كانت أياماً جميلة. الشاعر أحمد بن دري الفلاحي «رحمه الله» يقول في قصيدة (فاجأني الخبر) التي يشاكي فيها ولده سعيد في ديوان الفلاحي ص٢٧٢:

يـــا هـــلا بـــه عـــد مـــا نـــف المطـــر
أو عـــدد مـــا هـب مـن مـطـلـع سـهـيـل

فهو يرحب بمن يرحب به ترحيباً بعدد حبات المطر، وعدد ما هب الريح من جهة مطلع سهيل.

ويستخدم مطلع سهيل أيضاً في تعداد الكثرة بقوله في الديوان نفسه في قصيدة (أبدع الأمثال):

يـــا هـــلا بـــه عـــد حـــجَّـــاجٍ تـــطـــوف
وعـــد كـــوسٍ هَـبُ مـــن مُـطـلـع سـهـيـل

وقد ذكر الفلاحي نجم سهيل كموعد زمني عند حديثه عن قبيلة المناهيل التي تنقلت في أماكن مختلفة من الشام واليمن والجزيرة العربية وتركت أثراً في كل مكان حطت رحالها فيه.. يقول في ص٩٧ من الديوان السابق:

بـدوٍ يشـدّوا عـقـب مـا يـطـلـع سُـهـيـل
في وقـت مـــا تحـتـــاج حـــق الـــظـــلالي

وقلب شاعرنا محمد بن يعروف معلق بحياة الأجداد والآباء، ففي ديوانه (الخوافي في غريب القوافي) يقول في ص٥٠:

في طـــرابـــة والـــعـــرب مســـتـــأنسين
يـــوم حـــيـــاة الـــبـــدو عـــاد إلـــهـــا طـــراوه
ولي قـضـــــا المربـــــاع ردو مـــــفـــــرعين
صـــوب مـصـيـــافٍ بـــغـــو أرضـــه ومـــاه

وانـــزلـــوا عـــدٍ عـــلـــيـــه ابـــطـــوا قـــطـــين
لين بـــان ســـهـــيـــل مـــا خـــلـــو يـــبـــاه

فهو يصف حالة الطرب والانسجام والسعادة عندما يتذكر العرب حياتهم في البادية وبساطتها وحلهم وترحالهم بحثاً عن الكلأ والمرعى صيفاً وشتاءً بإشارة من نجم سهيل.

وفي الديوان نفسه وفي قصيدة عن تقاليد وعادات الماضي ص٥٢ يصف الوقت قبل ظهور سهيل والحر وما يفعله بالإبل وتزاحمها على الماء بينما ساقيها يصب لها الماء بالهوينا حتى ترتوي بلا تعجل فيقول:

وألا كـــمـــا ذودٍ بـــطـــلـــعـــة ســـهـــيـــل
خـــطـــرٍ تـــكـــسّـــر حـــوضـــهـــا مـــن ضـــمـــاهـــا
قـــامـــت تـــزاحـــم عـــلـــى الـــعِـــد وتمـــيـــل
وســـاقـــيّـــهـــا يـــبـــطـــي عـــلـــى صـــب مـــاهـــا

وفي ديوان (تراثنا من الشعر الشعبي) لنادي تراث الإمارات يقول بن ظاهر في الصفحة ٣٥ واصفا حال البدو:

تـــنـــحـــوا وكـــل نـــهـــيٌ في هـــواه
عـــن الـــدار وانـــوو مـــشـــام الـــرحـــيـــل
وجـــات الـــصـــفـــاري وزل المقـــيـــض
وبـــانـــت غـــبـــيـــشـــه لـــواضـــي اســـهـــيـــل

فالأعراب استعدوا مع ظهور نجم سهيل عند الفجر على الرحيل.. فقد جاء الصفري، وانتهى القيظ، وبدا الجو في التحسن.

ويصف بن ظاهر في ص٢٠ من الديوان السابق حال الديار عندما يظهر نجم سهيل ويحل المطر قائلاً:

تـــجـــيـــلٍ غـــيـــمـــهـــا وَشـــل الـــســـحـــاب
وداقـــلـــهـــا الـــصـــبـــا شـــرتـــاه وآني
شـــعـــيـــل البر مـــن حـــد المغـــيـــب
وهب إلـــهـــا ســـهـــيـــلـــيٍ يمـــاني

## سهيل وقرب موسم القنص

وتغنّى شعراء النبط من هواة القنص بالصقور بنجم سهيل، قد يكون محبة فيه.. والمعنى في بطن الشاعر، لكن المؤكد وكما صرحوا هم: إن حبهم لنجم سهيل لأنه علامة على قرب موسم القنص الذي ينتظرونه بفارغ الصبر.

وقد عثرت على بعض أبيات حول نجم سهيل والقنص في العدد الرابع أغسطس ٢٠٠٣م من مجلة الصقار.. فمحمد الرويخ الهاملي يصف حالته في انتظار الموسم بالشغف الشديد:

ثارت براكين الولع وسط جوفي
من يوم قالوا نجمة سهيل شفها
قلبي على المقناص جابه شغوفي
وقلبي هو النادر وحبه شغفها

وإذا سألنا لماذا كل تلك اللهفة، فكأن الشاعر ضحوي الهاملي يجيب بقوله:

اقبل طلوع سهيل واقبل براده
وانا الحرى يستوي ريش غنّام
هذي ثمان شهور صبر وجلاده
مليت من عد الليالي والايام

أما الشاعر فهد الرفاعي فيقول:

من القيظ ملينا متى نشوف نجم سهيل
على أحر من جمر الغضى نحسب حسابه
لا قفا سموم القيظ وبيّن براد الليل
وكلٍ نقل طيره لفعلٍ تهقو به

ولم يبتعد الشاعر سالم سعد المنتي عن المعنى بقوله:

بيّن براد سهيل عقب السمومي
والصيف راحت مدته ما بقى لون
يا ما حلا تشريفته بالحزومي
والقلب مستانس ولا فيه شاطون

فهو يرحب بظهور نجم سهيل الذي يعني برودة الجو في البر حيث يسعد القلب ولا يعكر صفوه شيء.

أما الشاعر سمير بن صليهم فيرحب بنجم سهيل والبراد الذي يأتي معه، وبانتهاء موسم الرطب، كل ذلك من أجل قرب بدء موسم القنص:

متى يقال عقب الغبا شيف
وعاض بسموم القيض حلو البرادي
اقفا ثمر حدب الجريد المهاديف
والبدو تطري شدةٍ للمنادي
واقبل هداد مشقلب الخرب يا سيف
اللي على كيفي وغاية مرادي

ويسعد الشاعر محمد الخس بظهور نجم سهيل، وينادي على أبي طلال قائلاً:

يا بو طلال الحبارى حت ليا ليها
وسهيل بين يشوفونه بالاعياني
وطيورك اليوم كاملةٍ مواميها
متكاملٍ ريشها يا طير حوراني

وطول الانتظار والشوق للقنص جعل الشاعر مرشد البذال يخاطب طيوره المشتاقة بدورها للقنص وتتعجله رغم عدم نمو ريشها بعد تساقطه في فصل القيظ، ويعلن لها أنه رغم شوقه للقنص إلا أنه يعذرها في مقيظها لأن نجم سهيل لم يظهر بعد، ولم يقترب موسم القنص حتى وقوفه معها.. وهو يعتذر بدوره لطيوره على طول الانتظار.. فهي مثله على أحر من جمر النار قائلاً: لا يمنعنا عن القنص إلا الشديد القوي:

يالطيور اللي تحري سامحنّي
لين نجم سهيل يظهر من مغيبه
قبل يكمل ريشكن ما تنقلّني
سامحٍ عنكن وصدّتنا غصيبه

إلا أن السعادة بظهور سهيل وقرب موسم القنص جعلت الشاعر فهد بن جبريل يتحدث مع طيوره قائلاً:

اقبل هددكن يا لحرار القرانيس
وسهيل شافوه العرب بالبطيني
من عقب ما انتن بالمرابط محابيس
لابد من يومٍ بكن قانصين

## مجبور اتجاهلك

وفتشت في عدة دواوين أخرى لعلي أجد فيها (طاريا) لنجم سهيل فلم أجد، وقد يكون لبعض الشعراء عذرهم، إلا أن شاعرنا عتيج سيف القبيسي ضمن ديوانه (سراب الأماني) ٧٠ قصيدة تتميز بالحداثة في المعاني والتراكيب والأسلوب واللفظ والبناء، ومع هذا لم يأت بسيرة لنجم سهيل، ووجدت بيتاً بين أشعاره يقول فيه:

يا خوي مجبور اتجاهلك واتصنع
(ما ودي) إلا ان وقتي بالخوي قاسي

فقلت: لنعتبر أن الرجل بهذا البيت يوجه اعتذاراً لنجم سهيل.. لأنه لم «يسوي له سالفه».




■ سالم الزمر
salzomr@hotmail.com

هذه الصفحات تقف على الشعر النبطي ثم تغوص في أعماقه لالتقاط كلمات يظنها البعض عامية غير عربية لكثرة ما وجدوها في الشعر النبطي غير الفصيح أو لبعدهم وبعدنا عن الفصاحة وأساليبها وألفاظها، أو لأن بعض تلك الألفاظ مع فصاحتها ما عادت مستخدمة في الفصحى لكنها بقيت مما بقي من الفصاحة في لغتنا اليومية وأشعارنا غير الفصيحة.

ونحن هنا نقتفي آثار تلك الألفاظ في الشعر النبطي ونردها إلى أصلها الفصيح ولنا من ذلك فوائد عدة:

الأولى قراءة الكثير من الشعر النبطي ومعاودة مطالعته.

والثانية الغوص في قواميس العربية للبحث عن أصول تلك الألفاظ المتناثرة في الشعر النبطي.

والثالثة مطالعة الشعر العربي للبحث عن تلك الألفاظ في أدبنا العربي.

والرابعة إثبات أن العامية والشعر النبطي عربي لا ينفك عن أصله العربي.

والخامسة إعادة الفرع إلى أصله برد الألفاظ النبطية إلى أصلها العربي.

والسادسة تحقيق أمنية بعودتنا إلى لغتنا الفصحى وأدبنا العربي عن طريق البحث في الشعر النبطي عن الفصحى من ألفاظه.

والسابعة العمل على دراسة شعرنا النبطي دراسة لغوية مفيدة.

والثامنة ربط الأجيال القادمة بتراثنا الشعري النبطي بطريق بحث أدبي يحمل الطرافة والجهد العلمي معاً لإيصال ذلك التراث إلى الأجيال القادمة بجهد موثق موثوق به.

وأخيراً أقول لو شئنا أن نعدد الفوائد من ذلك لما انتهينا، لكنني أقف هنا للبحث وراء النبطي الفصيح في شعرنا النبطي.

## «وحا»

يقول الناس من أهل الإمارات إن فلاناً ما واحاله أن يفعل كذا من الأمور أي أن الوقت لم يسعفه لينجز ما يريد من أمر، وجاء في قصيدة لسالم الجمري قوله:

سميت بالرحمن يوم أبديها
مثايلٍ للعارفين أسديها
يطرب لها السامع ايلي من قلتها
وامثّل الدنيا وبمّا فيها
أيام تغلبنا ومر أنغلبها
دنيا دنيه متعبه راعيها
لو هي تزخرف لك بلذاة الصفا
ياما وياما كدرّت صافيها
لا تأمن أبها ان عطتك اللذه
تعطي وتأخذ حقها بيديها
ترويك بالاما وعنك أبعيده
وتصد بك لو كان بتلاميها
تجبل وتجفي ما تدوم الْصَاحب
غدارةٍ مكاره أبراعيها
يطمع بها من لا يعرف أحوالها
خسران من يطمع وبيخاويها
لو ذقت من صافي شراب أزلالها
لازم أتذوق المر في تاليها
الانسان فيها طول عمره شاجي
يبغي يعمّرها ولا يُواحيها

وجاء في البيت الأخير مما أوردنا قوله «ولا يواحيها» أي لا يمكنه ذلك، ومعنى البيت أن الإنسان شاجي أي شقي طول عمره يريد أن يعمر الدنيا ولا يواحيها أي لا يجد فرصة لذلك.

وكلمة (يواحي) لها أصل فصيح، فقد جاء في لسان العرب:

والوَحى: العَجَلَة، يقولون: الوَحى الوَحى، والوَحاء الوَحاء، يعني البدارَ البدارَ، والوَحاء الوَحاء يعني الإسراع، فيمدّونهما ويَقصرونهما إذا جمعوا بينهما، فإذا أفردوه مدّوه ولم يَقصروه؛ قال أبو النجم:

**يَفِيضُ عَنْهُ الرَّبْوُ من وَحائه**

التهذيب: الوَحاء ممدود، السُّرعة، وفي الصحاح: يمدّ ويقصر، وربما أدخلوا الكاف مع الألف واللازم فقالوا الوَحاك الوَحاك، قال: والعرب تقول: النَّجاء النَّجاء والنَّجى النَّجى والنَّجاك النَّجاك والنَّجاءك النَّجاءك.

وتَوحَ يا هذا في شأنك أي أسرع. ووحَّاد تَوْحِيَة أي عَجَّله. وفي الحديث: «إذا أردتَ أمراً فتدبَّر عاقبته، فإن كانت شراً فانْتَهِ، وإن كانت خيراً فَتَوَحَّه» أي أسرع إليه، والهاء للسكت.

ووَحَّى فلان ذبيحته إذا ذبحها ذبحاً سريعاً وحيّاً؛ وقال الجعدي:

**أسِيرانِ مَكْبُولانِ عندَ ابنِ جعْفَرٍ**
**وآخرُ قد وحَّيْتُمُوه مُشاغِبُ**

والوَحِيُّ، على فعيل: السَّريعُ. يقال: مَوْتٌ وَحِيٌّ. وفي حديث أبي بكر: الوَحا الوَحا أي السُّرعة السُّرعة، يمدّ ويقصر. يقال: تَوحَّيْتُ تَوَحِّياً إذا أسرعت، وهو منصوب على الإغراء بفعل مضمر.

وهكذا نجد أن المعنى الفصيح لكلمة وحا قريب إلى العامي، فكلاهما يعني «التعجل».

*****

# «اصمخ»

جاء في قصيدة لمحين الشامسي قوله:

**يا مشيمٍ فوق شملالٍ حذير**
**من عصا الركاب ما هوبٍ هدان**
**يستغيض من المثار وهو نذير**
**عيدهي العنس من ربوة اعمان**
**كلّع البيطان كظّام الهدير**
**مستجب الزور من زر البطان**
**مضمرٍ خمص اليوايا مستدير**
**عن هزيز العكف يكفيه اللسان**
**حني منه العنق كالقوس الوتير**
**من خزامه كن محني اثعبان**
**يصلي الراكب إلى طفّ المسير**
**لو يكون الزقر في صمخ الأذان**

وقوله في البيت الأخير صمخ الأذان يعني لا يسمع أي أصم، وهي كلمة فصيحة، جاء في اللسان قوله:

الصِّماخُ من الأذن، الخرقُ الباطن الذي يُفضي إلى الرأس، تميمية، والسماخ لغة فيه. ويقال: إن الصماخ هو الأذن نفسها؛ قال العجاج:

**حتى إذا صرَّ الصماخَ الأصمعَا**

وفي حديث الوضوء: فأخذ ماءً فأدخل أصابعه في صماخ أذنيه؛ قال: الصماخ ثقب الأذن؛ وقول [illegible]:

**أمّ الصَّدى عن الصَّدى وأصْمُخُ**

أصْمُخُ: أصُكُّ الصماخ، وهو ثقب الأذن الماضي إلى داخل الرأس.

وأُمُّ الصدى: الهامة. وأُمُّها: الجلدة [illegible] تجمع الدماغ، والجمع أصمخة وصُمُخ، وهو الأصموخ، وبالسين لغة.

ومن هنا نعرف أن قولهم في العامية الإماراتية فلان أصمخ أي أصم.

جاءت من أن العرب تسمّي ثقب الأذن [illegible] إلى الرأس الصماخ.

*****

# «عـــال»

يقول أهل الإمارات: فلان عال على فلان، أي تعدّى عليه أو اعتدى عليه.

وفي ذلك قال الشيخ سهيل بن بطي آل مكتوم:

يا سامعٍ لدعاي زح ذي الغلاسه
النور نورك ما تشا انت فعّال
هذي سبب ناسٍ تكن النحاسه
جهّال ما تملك من العقل مثقال
لو هم تربّوا بالأدب والسياسيه
ما شفت منهم واحدٍ عال أو مال
كلٍ يرى انه يستحق الرياسه
اتعرف ما يحتاي نشرح لك الحال
والرجل مثلك حاضراتٍ حواسه
والعتب حقٍ لي إذا كنت أنا زال
أوحشتنا يا خلّ عقب الأناسه
بليّا سبب الاّ خراريف جهّال

وقوله في البيت الثالث: ما شفت منهم واحدٍ عال أو مال، يعني لم أرض منهم أحداً تعدّى، وهي فصيحة، جاء في اللسان:

والعِيلُ جمع العائل وهو المُتَكَبِّر والمتبختر، وربما جاء المعنى العامي من هذا المعنى الفصيح لأن المعتدي غالباً ما يخالطه الكبر.

وكذلك جاء في اللسان وعالَ في مشيه يَعِيل عَيْلاً، وهو عَيَّال، وتعَيَّل: تبختر وتمايل واختال، وتَعَيَّلَ يَتَعَيَّل إذا فعل ذلك. وفلان عَيَّالٌ: متعيِّل أي متبختر.

وجاء كذلك: وعالَ الميزانُ يَعِيل: جار، وقيل: زاد؛ قال أبو طالب ابن عبد المطلب:

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْد شَمْسٍ ونَوْفَلا
عُقُوبةَ شَرٍّ عاجلٍ غيرِ آجِلِ
بميزانِ صِدْقٍ لا يُغِلُّ شَعِيرةً
له شاهِدٌ من نَفْسِه غيرُ عائِلِ

ومكيال عائلٌ: زائد على غيره. وهكذا يوافق المعنى العامي بعض المعاني الفصيحة لكلمة عال.

*****

# «ربعـــة»

قال شاعر الإمارات الكبير سعيد بن عتيج الهاملي في قصيدة له شهيرة:

حيّ الهَير حيّا به
وايامه لي لفت
والسعد دنّ اركابه
والفرقا مرّحت
من يوم غِلَجْ بابه
يا ريلي ما وطت
ليو هو ما ينسخا به
يا غزّر له تحت

إلى أن قال:

روحي في اللي تبابه
ترخص في اللي بغت
يوم ابتدأ يمّا به
واتغيّر وانتوت
ما نقبل له متابه
ربعه واتبدلت

وقوله في البيت الأخير: ربعة وتبدلت، أي صداقة وعشرة تحوّلت. وتغيّرت. والربيع في العامية الصديق والزميل والرفيق، والربع الجماعة الأصحاب، والربعة الصداقة، وقريب من هذا المعنى جاء في لسان العرب:

والرَّبْع: المنزل والدار بعينها، والوَطَنُ متى كان وبأيّ مكان كان، وهو مشتق من ذلك، وجمعه أَرْبُعٌ ورِباعٌ ورُبُوعٌ وأَرْباعٌ. وفي حديث أسامة، قال له عليه السلام: «وهل تَرَكَ لنا عَقيل من رَبْع؟». وفي رواية: «من رباع»؛ الرَّبْعُ: المَنْزِلُ ودارُ الإقامة. ورَبْعُ القوم: مَحَلَّتهم. وفي حديث عائشة، أرادت بيع رباعها أي مَنازلها. وفي الحديث: الشُّفعَة في كل رَبْعة أو حائط أو أرض؛ الرَّبْعة: أخصُّ من الرَّبع، والرَّبْعُ المَحلَّة. يقال: ما أوسع رَبْعَ بني فلان، والرَّبّاعُ: الرجل الكثير شراء الرِّباع، وهي المنازل. ورَبَعَ بالمكان رَبْعاً: أقام. والرَّبْعُ: جماعة الناس. قال شمر: والرُّبُوع أهل المَنازل أيضاً؛ قال الشَّمّاخ:

تُـصِـيْـبُـهُـم وتُـخْـطِـئُـنـي الـمَـنـايـا
وأَخْـلُـفُ فـي رُبُـوع عـن رُبُـوع

أي في قَوْم بعد قوم؛ وقال الأصمعي: يريد في رَبْع من أهلي أي في مَسْكنهم، بعد رَبْع. وقال أبو مالك: الرَّبْعُ مثل السَّكن وهما أهل البيت؛ وأنشد:

فـإِنْ يَـكُ رَبْـعٌ مـن رجـالٍ، أصـابَـهـمْ
مـن الـلـه والـحَـتْـمِ الـمُـطِـلِّ، شَـعُـوبُ

وقال شمر: الرَّبْعُ يكون المنزلَ وأهل المنزل، قال ابن بري: والرَّبْعُ أيضاً العدد الكثير؛ قال الأحوص:

وفِـعْـلُـكَ مـرضِـيٌّ، وفِـعْـلُـكَ جَـحْـفَـلٌ
ولا عَـيْـبَ فـي فـعـلٍ ولا فـي مُـركَّـبِ

قال وأما قول الراعي:

فَـعُـجْـنـا عـلـى رَبْـعٍ بـرَبْـعٍ، تَـعُـودُه
مـن الـصَّـيْـفِ، جُـشـاءُ الـحَـنِـيْـنِ تُـوَرِّجُ

وهكذا نجد أن كلمة ربعة أي صداقة آتية من المعنى الفصيح الذي أصله المكان والناس الذين لا محالة باجتماعهم ومساكنتهم لبعضهم البعض تكون ربعتهم أي صداقتهم.

* * * * *

# «مرتضم»

فـزّيت فـزّة غـافـي
لـي فـي نـومـه دهـم
صـاب الـقـلـب اخـتـلافـي
أمـرٍ مـا يـنـكـتـم
سـرت انشـد الـعـرّافـي
عـن مـوفـيـن الـذمـم
قـال الـيَـنـاب الـدافـي
هـو راس الـمـحـتشـم
قـلت اوصـول الـخـطـافـي
ومـلاقـاة الـنسـم
يـبـري حشـيـد ارضـافـي
وهـايـوسٍ مـرتضـم

تلك أبيات من قصيدة شهيرة للشاعر الإماراتي الكبير سعيد بن عتيج المولود نحو ١٨٧٥.

وقد ورد في آخر بيت مما اخترنا منها قوله: هايوس مرتضم، والهايوس هو الهاجوس أي الهاجس بعد قلب الجيم ياءً حسب اللهجة، وقوله: مرتضم أي هاجس متراكم لشدته وتكاثره على نفس الشاعر، وهي كلمة لها أصل فصيح قريب من ذلك المعنى الذي أراده الشاعر، فلقد جاء في اللسان:

والرَّضْمةُ والرَّضَمةُ: الصخرة العظيمة مثل الجزور وليست بناتئة، والجمع رَضْمٌ ورضام؛ وقال ثعلب: الرَّضَمُ والرِّضامُ: صخور عظام يُرْضَم بعضها فوق بعض في الأبنية، الواحدة رَضْمة، قال ابن بري: والجمع رَضَمات؛ وأنشد ابن السكيت لذي الرمة:

مـن الـرَّضَـمـاتِ الـبِـيض، غَـيَّـرَ لَـوْنَـهـا
بَـنـاتُ فِـراضِ الـمَـرْخِ، والـذَّابـلُ الـجَـزْلُ

يعني بالرَّضَماتِ الأثافي، وبَناتُ فِراض المَرْخ: النيرانُ التي تخرج من الزّناد، والذّبلُ: الحَطب، والفراض جمع فرْض وهو الحَزُّ.

وفي الحديث: لما نزل ﴿وأَنْذِرْ عَشيرتك الأقربين﴾؛ أتى رَضْمَة جبل فعلا أعْلاها؛ هي واحدة الرَّضْم والرِّضام، وهي دون الهضاب، وقيل: صُخورٌ بعضها على بعض. وفي حديث أنس في المُرْتد نصرانياً: فألقوه بين حجرين ورَضَموا عليه الحجارة. وفي حديث أبي الطُّفَيْل: لما أرادت قريش بناء البيت بالخَشَب وكان البناء الأوّلُ رَضْماً. ويقال: رَضَمَ عليه الصَّخْرَ يَرْضِم، بالكسر، رَضْماً، ورَضَمَ فلان [illegible] بالحجارة. وقال ثعلب: الرَّضْم الحجارة [illegible] وأنشد:

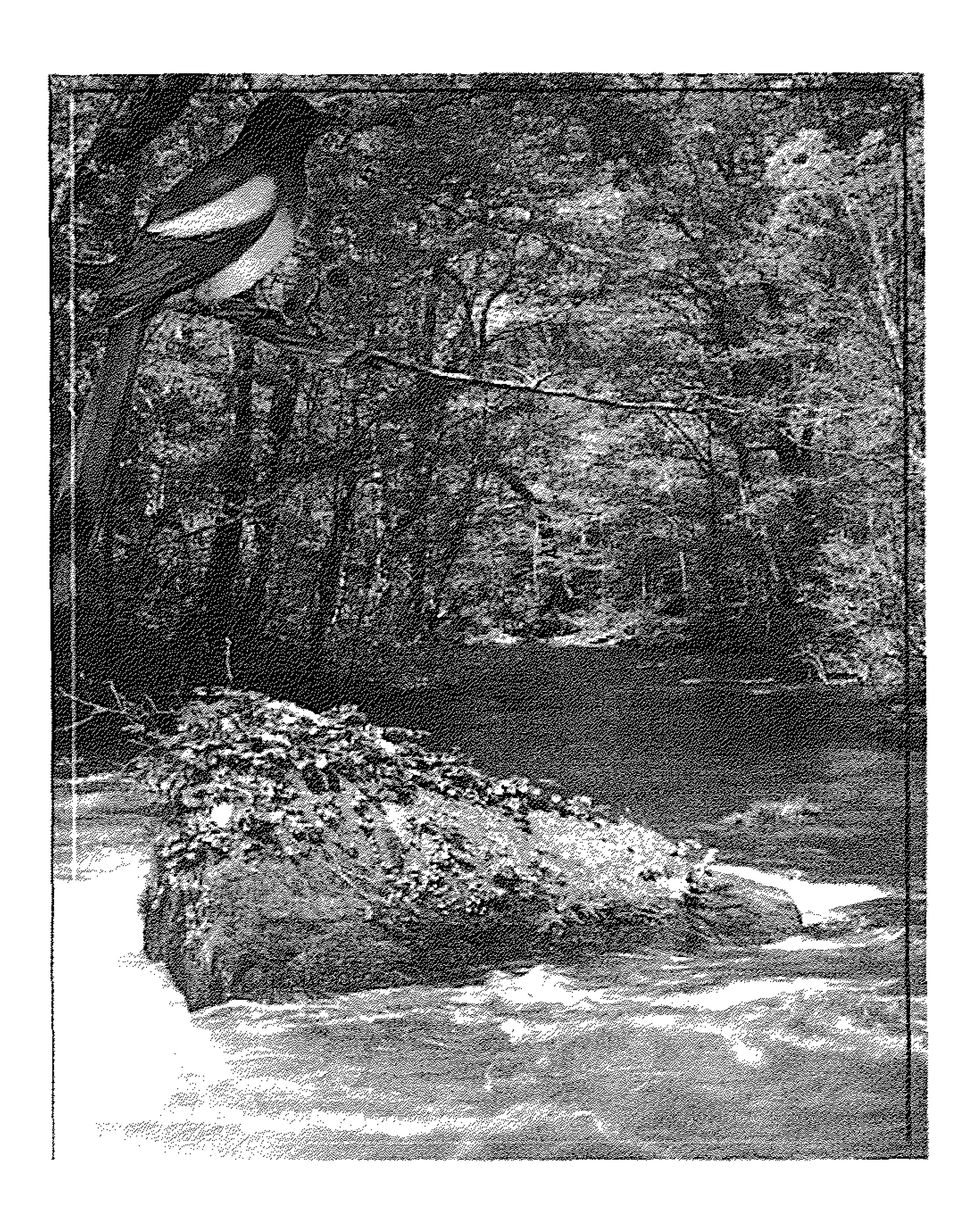
إنَّ صُـبَـيْـحَ ابـن الـزّنـا قـد فـارا
فـي الـرَّضْـم، لا يَـتْـرُك مـنـه [illegible]

ورَضَمَ الحجارةَ رَضْماً: جعل بعضها [illegible] وكلُّ بناء بُني بصَخْر رَضيمٌ. ورَضَدْت [illegible] ورَضَمْتُه فارْتَضَمَ إذا نَضَدتَّه. ورَضَمْتُ الشيءَ فارْتَضَمَ إذا كسرته فانكسر. ويقال: بنى فلان داره فرَضَمَ فيها الحجارة رَضْماً؛ وقال لبيد:

حُـفِـزَتْ وزايَـلَـهـا الـسـرابُ، كـأنـهـا
أَجْـزاعُ بِـيْـشَـةَ أَثْـلُـهـا [illegible]

وهكذا يتبين لنا فصاحة كلمة مرتضم [illegible] أتى بها شاعرنا مستفيداً من المعنى الفصيح للكلمة.





# رَوْضَــــةُ الأجْــدَاد

**«الرَّوضة» اسم شائع يصعب إحصاء المواضع التي صارت تضاف إليه على امتداد الأقطار العربية غرباً وشرقاً. والكلمة تجيء مفردة هكذا (روضة) وتجيء مجموعة (رياض) وإذا عُرّفت صارت علماً على مدينة الرّياض المشهورة.**

وكتب الجغرافية العربية قديماً وحديثاً تسجّل من أسماء المواضع المعروفة بـ (روضة كذا)، ومنها عدد كبير مذكور عند البكري في (معجم ما استعجم)، وياقوت في (معجم البلدان) إضافة إلى ما ورد في التواريخ وكتب الثقافة العامة والموسوعات وغيرها. وقد أحصى ياقوت في بلاد العرب مائة وستاً وثلاثين روضة، ثم قال: والرّياض المجهولة كثيرة جداً. ومن هذه الرّياض: روضة بُصرى بأطراف الشام من جهة الجزيرة. وروضة الخزرج بنواحي المدينة.

## الروضة والحديقة

سُمّيت الروضة روضة لاستراضة الماء فيها (لاجتماعه فيها واستنقاعه)، ومنه قالوا: أراضَ الحوض أي: اجتمع الماء فيه.

والروضة تكون واسعة كبيرة حتى تُقَدَّر بميل في ميل. فإذا زادت عن ذلك وعَرُضَتْ جداً سُمّيت: قاعاً، ومن هذا قول شوقي:

ريمٌ علــى القــاع بينَ البــان والعَــلَمِ
أحــلّ ســفكَ دمــي في الأشــهـرِ الحُرُمِ

– أما حدائق الروض فهو ما أعْشَب منه. يقال: أحْدَقت الروضة عُشباً، فإذا لم يكن فيها عُشب ملتفّ (كثيف) فهي روضة؛ وإذا كان فيها عُشب ملتفّ فهي حديقة. قال اللغويون: وإنما سَمَّوْها حديقة من الأرض لأنّ النبت في غير الروضة متفرّق وهو في الرّوضة ملتفّ فالروضة حينئذ حديقة الأرض.

## الرّوضة والشعر

أكثر الشعراء من ذِكر الروضة، وتفنّنوا في وصفها والاستفادة من كونها بيئة جميلة معجبة جداً. ونسبت بعض الرّياض (التي وردت في الشعر) إلى شعراء وصفوها، ومنها روضة أبي بصير، وهو الأعشى صاحب المعلّقة. فقد قال في معلقته:

مــا روضةٌ مــن رياض الحَزْنِ مُـعْـشِـبَـةٌ
خضــراءُ جــاد عــليـهــا مُـسْـبِـلٌ هَـطِـلُ
يضــاحك الشــوقَ مــنـهــا كــوكبٌ شَـرِقٌ
مــؤزّرٌ بــعــمــيــم الــنّــبت مــكــتـهِـلُ

## روضة الأجداد

من الرياض التي لها ذِكر في الحياة العربية القديمة: روضة الأجداد.

وأما الأجداد وهي جمع (جُدّ) بضمّ الجيم. والجُدّ: البئر الجيدة في الموضع الكلأ. وقال ابن الأعرابي في

شرحها: الأجداد: حدائق تكون فيها المياه، أو تكون فيها آبار ممّا حوت عاد (أي آبار قديمة جداً) قال مرداس التغلبي:

إنّ الـــدّيـــار بــــروضـــــة الأجْـــداد
عَـــفـت سَــوار رَسْـــمَـــهـــا وغَـــوادِ
مـــن كـــل ســـاريـــةٍ وغـــادٍ مُـــدْجِـــنٍ
حـــنـــق الـــبَـــوارق مـــونـــق الـــرُّوّادِ

يقول الشاعر إنّ ديار الحبيبة التي وقف على أطلالها بروضة الأجداد كانت خالية من ساكنيها، وقد سُقيت بأمطار مختلفة من السحائب الغوادي (في الصباح) والسّواري (في الليل) وهي أمطار أسهمت في عفاء آثار الديّار.

## قصّة وخبر

الخبر عن عادة كان يقوم بها العرب في الجاهليّة. أصلها أكذوبة أو أسطورة. شاعت في ما بينهم، وأفسدت عليهم صواب الرأي. يقول الخبر إنه شاع فيهم أنهم إذا أرادوا دخول مدينة موبوءة (فيها وباء، مَرَضٌ من الأمراض السارية) عَشّروا، لأنّه قد قيل لهم قديماً إنهم إذا فعلوا فعل الحمير من النّهاق عشراً لم يضرّهم ذلك الوباء. ومن الغريب أن يصدّق بعضهم أو كثير منهم هذا الكلام، وأن ينساق وراء الأكذوبة ويمتثل لها!

فما أصلُ الخبر؟ كان العرب وأكثرهم أهل بادية مضطرين إلى دخول المدن للبيع والشراء ولو مرة أو مرّتين في العام. ويذكر من هذه المدن يثرب وخيبر وغيرها.

ونقرأ في لسان العرب لابن منظور أنهم يزعمون أن الرجل إذا وَرَدَ أرض وباء وضع يده خلف أُذُنه فنهق عشر نهقات نهيق الحمار ثم دخلها أَمِنَ الوباء، ومصدر هذه الإشاعة التي اتبعوها، كما فسّرها في نشر الطيوب: أن سكان خيبر وكانت قبل الإسلام بزمان قد آوت عدداً من اليهود (مع قرى أخرى قليلة) ومثلها يثرب، وكان هؤلاء، وما يزالون، يعانون من حمّى تصيبهم من مرض من الأمراض السارية، فاخترعوا هذا الادّعاء ليضمّنوا دخول الناس تلك المواضع وينتفعوا بتجارتهم وسائر أحوالهم!

وأما القصة فموصولة بين روضة الأجداد التي تحدّثنا عنها وبين خيبر. وهي قصة روتها كتب البلدان والأدب، وهي ثابتة في نصّها الشعري وخبرها في ديوان الشاعر عروة بن الورد العبسي المعروف بعروة الصعاليك.

فقد خرج عروة مع أصحاب له إلى خيبر يمتارون منها (يشترون ما يحتاجون إليه من بضاعة) فلما اقتربوا من البلدة عشر أصْحابُه عند باب المدينة ظانين كما روّج أهلها أن من عشر تعشير الحمير نجا من وبائها (معجم البلدان ٣: ٨٤-٨٥). وأبى عروة بن الورد أن يُعَشّر. وحكّم في ذلك أمرين: العقل الذي لا يقبل أسطورة كهذه، ولا دعاية ظاهرة الفساد، وحكّم الأنفة والعنجهية العربية، فكيف يقبل لنفسه أن تنزل إلى منزلة الحمير؟

واستثار الموقف عروة فأنشد في ذلك شعراً، وقال (ديوانه – طبعة صادر: ٤٦):

وقـــالـــوا احْـــبُ وانْـــهَـــقْ لا تضـــرّك خـــيـــبرٌ
وذلك مـــن ديـــن الـــيـــهـــود ولـــوعُ
لـعـمـري لـئـن عشـرت مـن خشـيـة الرّدى
نـــهـــاق الحمير إنـــنـــي لجزوعُ
فـــلا وألت تـــلـــك الـــنـــفـــوسُ ولا أتَـــتْ
عـــلـــى روضـــة الأجـــداد وهـــي جـــمـــيـــعُ
فـكـيـف وقـد ذكّـيـتُ واشـتـدّ جـانـبـي
سُـلـيـمـى وعـنـدي سـامِـعٌ ومـطـيـعُ
لســـانٌ وســـيـــف صـــارم وحـــفـــيـــظـــةٌ
ورأيٌ لآراء الـــرّجـــال صَـــرُوعُ؟
تـــخـــوّفـــنـــي ريب المنـون وقـــد مـضـــى
لـــنـــا ســـلـــفٌ قـــيـــسٌ مـــعـــاً وربـــيـــعُ

## تعقيب على القصة

قال الخبر والقصة إن عَدِياً وجماعته دخلوا خيبر فامتاروا ومكثوا مدة ذلك ورجعوا، فلما صاروا في روضة الأجداد مات صَحْبُه جميعاً ونجا بنفسه دونهم!

ولمّا جاء الإسلام صحّح عقول العرب، واستفادوا مما في القرآن الكريم، والحديث النبوي والسُّنّة المطهّرة، وعرفوا الحَجْر الصحيّ (عدم دخول المكان الذي تأكّد وجود الوباء فيه، وعدم الخروج منه حتى يصحّ) وأُمِروا بتعاطي العلاج المناسب (تداوو)، «ما أنزل الله من داءٍ وإلا وأنزل معه الدواء».

وفي مادة (الجحفة) من ياقوت الحموي: «لمّا قَدِمَ صلى الله عليه وسلم المدينة استوبأها (وجدها ذات وباء) وحُمّ أصحابه فقال: اللهم حَبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكة أو أشدّ وصَحِّحْها وبارك لنا في صاعها ومُدّها وانقل حُمّاها إلى الجحفة..» الخبر.. مما يدل على أن المدينة (يثرب القديمة) كان فيها وباء كخيبر وبعض الأماكن الأخرى.■

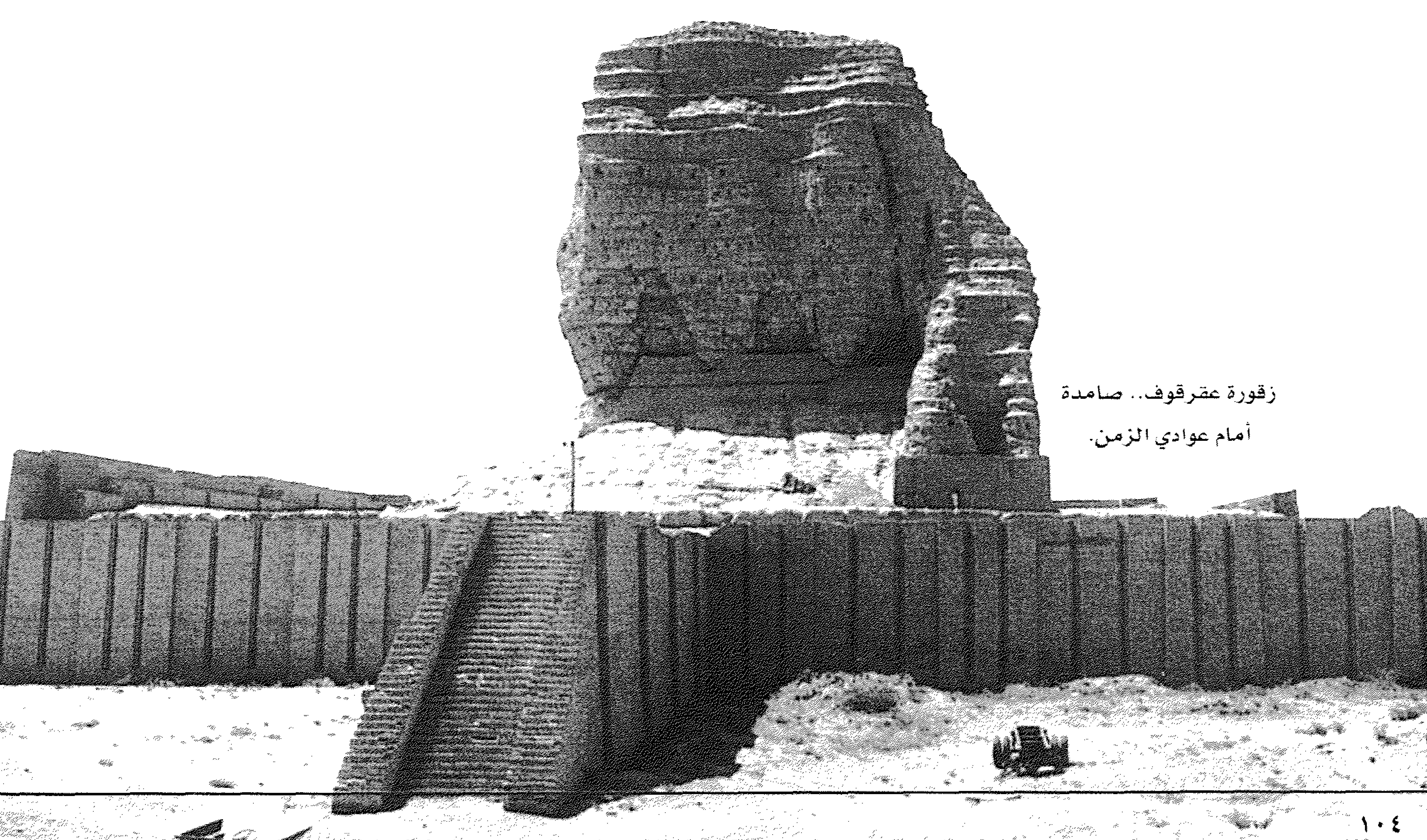
# عقرقوف.. وأقدم زقورة في العالم

■ عامر جابر النجفي

عقر قوف.. أو عكر كوف كما اعتاد البعض تسميتها هي عاصمة العراق لمدة ثلاثة قرون في العصر الكيشي (١٥٣٠ - ١١٥٧) بعد الميلاد، وقد شيدت في عهد الملك الكيشي كوري كازو.

والكيشيون، أقوام جبليون نزحوا إلى العراق قادمين من الجبال الشمالية الشرقية من منطقة لورستان. بعضهم استوطن بابل في عهد سلالتها الأولى (١٨٩٤ - ١٥٩٤ق.م) ثم تمردوا عليها بعد أن تعلموا فنون البناء والعمارة من أهلها، وأصبحوا فيما بعد من أفضل البنائين والمهندسين، متأثرين بنتائج الحضارة البابلية والأشورية في مراحل لاحقة، وأعجبوا أيما إعجاب بنظام الزقورات السومرية.

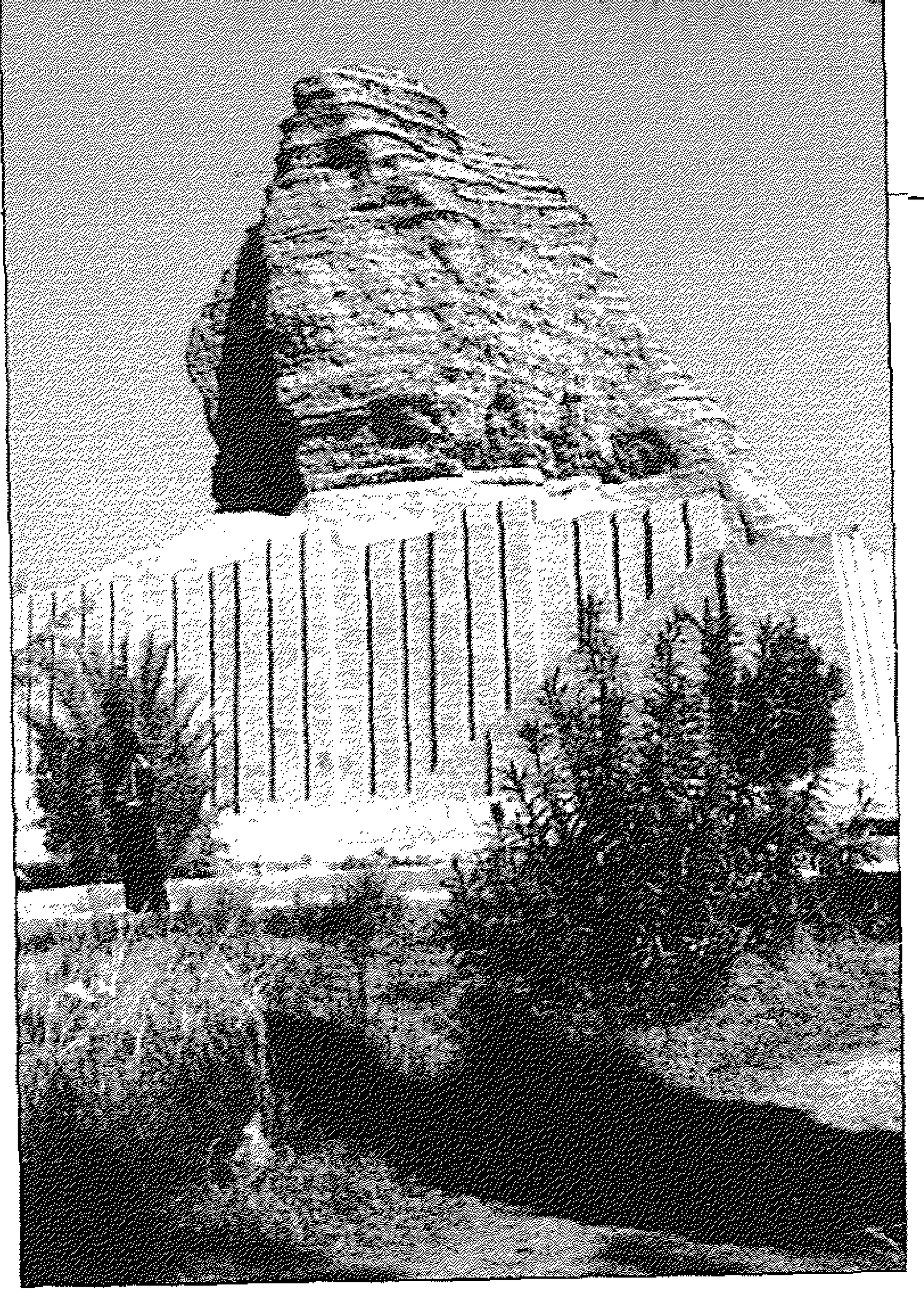
وقد ذكرت ثبوت الملوك ٣٦ ملكاً من هذه السلالة الكيشية، وحكم هؤلاء الملوك زهاء ٥٧٦ سنة.



زقورة عقرقوف.. صامدة أمام عوادي الزمن.

عقر قوف ظلت قابعة ما يزيد عن ٣٥٠٠ عام، في مكان قصي منزو عن أضواء العاصمة بغداد بـ ٢٥ كيلو متراً إلى الشمال الغربي، وعبر طريق ملتو تحف به الحشائش وأشجار النخيل حيث تبدو من بعيد زقورتها الشهيرة. والمدينة غير منتظمة الشكل وتمتد لمسافة كيلو مترين.

وأطلق عليها اسم عقر قوف لاسمها القديم الذي يعود إلى العصر العباسي ويعني (الأرض كلها)، أو ربما سميت باسم الشخص الذي بناها، وهناك احتمال أن تكون آرامية، وهي تعني نوعاً من أشجار الحور (القوغ) الذي نشأت في المنطقة نفسها. وبعد سقوط الدولة الكيشية، ونشوء دويلات صغيرة يقع معظمها بالقرب من مدينة بابل، أهملت عقر قوف واندثرت بمرور الأيام، ونشأت قرية على أنقاض المدينة نفسها في أدوار متأخرة.



الزقورة.. عمرها (٣٥٠٠) سنة.

## زقورة عقرقوف

كشفت الدراسات الآثارية التي أجريت على المدينة منذ التنقيبات الأولى عام ١٩٤١م من قبل مديرية الآثار العراقية عن اختيار الملك (كوريكالزو الثالث) لموقع المدينة وتخطيطه لمبانيها، حيث تتألف هذه المباني من قسمين من الوحدات البنائية.. المعابد والقصور.. فمعابد المدينة تتكون من ستة معابد كبيرة، وعدة معابد صغيرة. أما المعبد الكبير (الزقورة) فإنه يرتفع ٧٧ متراً تقريباً، في حين أن القصور التي أنشئت شمال غرب الزقورة، هي قصور المدينة التي أسفرت الاكتشافات فيها عن معالم معمارية تعدّ من مرافق قصور الملوك القدماء المهمة لطبيعة تعددية الوظائف فيها.

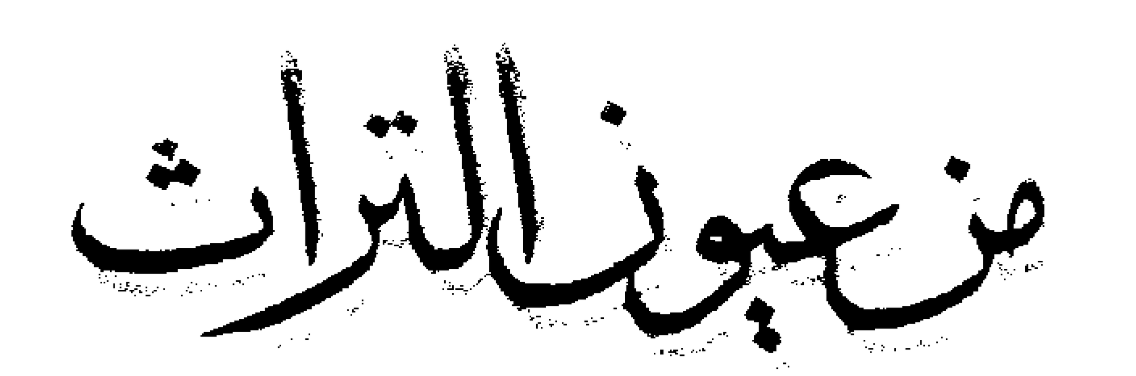
من منطقة الزقورة المرتفعة لأكثر من ٥٧ متراً ترى المدينة مستطيلة الشكل، وقد تحدد شكلها هذا نتيجة الموقع الذي أنشئت فيه، فهي تقع على حافة المنخفض المعروف بـ (هور عقرقوف)، في حين أسست المدينة على قسم مرتفع على هيئة شبه جزيرة من حجر الكلس الطبيعي، ولعل مياه نهر الفرات التي أحاطت بأضلاع ثلاثة من المدينة وفرت ما يضمن مهمة الدفاع والحماية، كما يرى الآثاريون.

ومن الحقائق المعروفة التي أثبتها الآثاريون العراقيون أن معبد الصرح المدرج -الزقورة- تآكل على مدى ٣٥٠٠ عام لينقص ارتفاعه ما يقرب من العشرين متراً، ولإيقاف هذا التآكل وإبقاء هيكل الزقورة، تمت صيانته وإعادة هيكله، وسد الثغرات، ومنع التساقط فيها للحيلولة دون انهيارها، فيلاحظ الآن أن ما تبقى منها (لبها) المشيد من اللبن وقاعدتها السفلى.

## لقى آثرية نفيسة

على قمة البرج، كان ثمة معبد صغير، وهو مقر الإله (ابنليل) الذي كان يعد من أكبر الآلهة القديمة، ويحمل بيده ألواح الأقدار، فهو مقرر مصير جميع المخلوقات من أحياء وجمود، وكان الإله بعد أن يستقر في هذا المعبد على قمة البرج ينزل إلى المعبد الكبير المجاور للبرج الذي هو قريب منه. ويتكون المعبد من عدة قاعات، في مدخل كل واحدة منها سنارة تحمل اسم باني المعبد إلى جانب مجموعة من الكتابات واللقى الأثرية التي تعود للعصر الكيشي.

ساحات من اللبن، وطبقات من حصير القصب موضوعة في البناء بين كل (٨-٩) طبقات من اللبن، تتخللها ثقوب مربعة كثيرة تنفذ داخل الزقورة الهدف منها هو التخلص من الرطوبة بتيار من الهواء، ومن المياه التي تتعرض إليها بين آونة وأخرى، ولعل هذه الهندسة المعمارية هي التي تسببت في بقاء الزقورة صامدة كل هذه القرون الـ (٣٥). ولكن هل يمكن أن تنهار هذه الزقورة التي تعتبر أقدم زقورة في العالم (٣٥٠٠) سنة؟ وهي التي بدأت شاخصاً يباري الزمن من مكوثه هنا كل هذه القرون بمكونات بسيطة.■



## قراءة في مخطوطة

# رحلـــة ابـــن فضـــلان

## تأليف: أحمد بن فضلان

■ عرض وتلخيص: عبد الحميد منصور

مؤلف هذا الكتاب (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سلمان) كان عضواً في البعثة العلمية، التي أرسلها من بغداد الخليفة العباسي المقتدر بالله، إلى الملك الحسن بن بلطور، ملك بلغار الفولجا، بناءً على طلبه، لتقوم هذه البعثة بتعليم الناس أمور العقيدة، وشريعة الإسلام، وكيفية تطبيق أحكامه وتعاليمه وتوجيهاته في الحياة العملية،ولتقوم ببناء مسجد لأداء الصلاة، وحصن للملك، ليتحصن به من الملوك المخالفين له. وخرجت البعثة من بغداد في شهر صفر سنة (٣٠٩ هـ موافق يونيو / حزيران ٩٢١م) متجهة إلى بلغار الفولجا. مروراً بهمدان والري ونهر جيحون وبخارى، ووصلت إليها في شهر محرم (٣١٠ هـ موافق مايو / أيار ٩٢٢م).

كتب ابن فضلان قصة هذه الرحلة، وما شاهده فيها، من أخبار الفولجا، والصقالبة، وقد حظيت قصة هذه الرحلة باهتمام وعناية كثير من العلماء المستعربين أو المستشرقين، لما فيها من أخبار هامة، تعد وثيقة تشهد على أحوال البلاد والعباد آنذاك، لذلك قام الروسي (فرين) في العشرينات من القرن الماضي، وأجرى عليها دراسات، كما ترجمها إلى الروسية (لكوفالسكي) ونشر نصها باللغة الألمانية زكي وليدي طوغان (١٩٥٩ م).

بدأ ابن فضلان كتابة مشاهداته فقال منذ خروجه وحتى وصلت البعثة وأدت المهمة وعادت: فقال: لما وصل كتاب الحسن بن بلطور ملك الصقالبة، إلى أمير المؤمنين المقتدر، أجيب إلى ما سأل من ذلك، وكان السفير فيه نذير الحرمي، فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه، وتسليم ما أهدى إليه، والإشراف على الفقهاء والمعلمين، ورحلنا من بغداد (مدينة السلام)يوم ١١ / ٢ / ٣٠٩م. فأقمنا بالنهروان يوماً واحداً، ثم رحلنا مجدين حتى وافينا الدسكرة، فأقمنا بها ثلاثة أيام، ثم قصدنا حلوان، ومنها إلى قرميسين، ثم رجعنا إلى خوار الري وسرنا حتى قدمنا نيسابور، ثم خوارزم، وكنا نسير بعض النهار، ولا يستوي لنا سير كله، من شدة البرد، وكانت دراهم خوارزم مربعة، ورصاصاً وزيوفاً وصفراً، ويسمون الدرهم طازجة، ووزنه أربع دوانيق ونصف، وهم أوحش الناس كلاماً وطبعاً، ثم خرجنا إلى الجرجانية، ومنها إلى قرية قريبة منها، يقال لها، أردكوا، أهلها يقال لهم الكردلية، كلامهم أشبه بنقيق الضفادع، فأقمنا في الجرجانية أياماً، وجمد نهر جيحون، حتى أصبحت الخيل والبغال والحمر تجتاز عليه، كما تجتاز على الطريق، وأقام على ذلك ثلاثة أشهر، وفي هذه الحال يعز الأمر على الناس، ويدعو بعضهم بعضاً إلى نار طيبة، ليحتموا بها من خطر البرد، وقد تخلو الأسواق والشوارع من شدة البرد، والله لطف بهم، ورخص لهم الحطب، فلما انحل نهر جيحون، تزودنا للسفر، ثم رحلنا فنزلنا خبب، وأصابنا ثلج، حتى مشت الجمال فيه إلى ركبها، ولقينا من الضرِّ والجهد الكثير، حتى أشرفنا على تلف الأنفس من شدة البرد، ثم رحلنا فما زلنا نسير في كل ليلة من نصف الليل، لما وقت العصر، بأشد ما يكون السير، فلما سرنا خمس عشرة ليلة، وصلنا إلى جبل عظيم كثير الحجارة، وفيه عيون ماء، وقضينا إلى قبيلة من الأتراك لا يعبدون شيئاً، ويعيشون عيشة البداوة، ولا يتطهرون من بول، ولا غائط، ولا جنابة، ولا تستتر نساؤهم عن الرجال الأجانب، ولا تستر شيئاً من جسدها، ولا وجود للزنا

بينهم، ومن فعله شقوه نصفين، وملك الترك الغزية يقال له: يبغو وهو اسم الأمير، وكل من ملك هذه القبيلة فبهذا الاسم يسمى، ويقال لخليفته كوذركين، وكذا كل من خلف رئيساً منهم. ثم نزلنا على اترك بن اليقطان، فضرب لنا قباباً تركية، وأنزلنا فيها، وقاد لنا دواباً لنركبها، وغنماً لنذبحها، ونحن خمسة آلاف رجل. ودعا جماعة من أهل بيته وحاشيته فقتل لهم غنماً، وقد أهدينا له، هدية من ثياب وزبيب وجوز وفلفل وجاورس، فرأيت امرأته. وقد كانت امرأة أبيه. وقد أخذت لحماً ولبناً، وخرجت من البيوت إلى الصحراء، فحفرت حفيرة، ودفنت الذي كان معها فيها، وتكلمت بكلام، فقلت للترجمان ما تقول: قال: تقول: هذه هدية للقطعان أبو اترك أهداها له العرب.

فلما كان الليل دخلت أنا والترجمان إليه، وهو في قبة جالس، ومعنا كتاب نذير الحرمين إليه، يأمره فيه بالإسلام، ويحضه عليه، ووجه إليه خمسين ديناراً، وثلاثة مثاقيل مسك، وجلود أديم وثوبين مرويه وقطعنا له منهما قرطين وخف أديم، وثوب ديباج، وخمسة اثواب حرير، فدفعنا إليه هديته، ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتماً، وقرأت عليه الكتاب، فقال للترجمان: لست أقول لكم هيا حتى ترجعون، واكتب إلى السلطان، بما أنا عازم عليه، ونزع الديباجة التي كانت عليه، ليلبس الخلع، التي ذكرنا، فرأيت القرطق الذي تحتها، وتقطع وسخاً، لأن رسومهم، أن لا ينزع الواحد منهم الثوب، الذي يلي جسده حتى ينتثر قطعاً.

ثم سرنا من بلد هؤلاء فعبرنا نهر جرمسان، ثم نهر اورن، ثم نهر أورم، ثم بانتاج، وغيرهم، ولما كنا على مسيرة يوم وليلة من ملك الصقالبة الذي قصدناه، وجه لاستقبالنا الملوك الأربعة، الذين تحت يده وإخوانه وأولاده. فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاورس، وساروا معنا، فلما صرنا على فرسخين، تلقانا هو بنفسه، فلما رآنا نزل فخر ساجداً، شكراً لله عزوجل. وكان في كمه دراهم، فنثرها علينا، ونصب لنا قباباً، فنزلناها، وكان وصولنا إليه يوم الأحد لاثنتي عشر ليلة خلت من المحرم، سنة عشر وثلاثماية، فكانت المسافة من الجرجانية إلى بلده مسيرة سبعين يوماً، وبعد أن استرحنا أياماً، جمع الملوك والقواد وأهل بلده، ليسمعوا قراءة الكتاب، وقرأت الكتاب، فلما بلغت منه سلام عليك، رد على أمير المؤمنين السلام. فلما استتممنا قراءته،كبروا تكبيرة ارتجت لها الأرض. ■

٣٩٠

## بطاقة المخطوطة

**العنوان**: رحلة ابن فضلان.

**المؤلف**: (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سلمان).

**.عدد الصفحات المصورة**: (٣٠)من القطع الكبير

**الناشر بالتصوير**: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت - ألمانيا.

**إصدار**: فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث (ج) المجلد (٤٣).

**مصدر الصورة**: المكتبة الرضوية في مشهد - إيران، برقم ٥٢٢٩.

**مكان وجود صورة المخطوطة في دولة الإمارات**: المجمع الثقافي بأبوظبي برقم ٩١٠ / ف ق م ج.



# أهمية التراث في تشكيل شخصية الأمة

■ د. مشتاق عباس معن

**الثنائية.. نمط تعاملي حيّ، تجده حاضراً في سياقات التداول الإنساني، فضلاً على مكونات الذات البشرية من جهتي السمات والسلوك.**

**فالخير والشر، الليل والنهار، الظلم والعدل، الذكر والأنثى، الموت والحياة، الليل والنهار... وغيرها، كلها ثنائيات معيشة في المكان والمكين.**

وعليه، لم يكن تعايش (القدامة والحداثة)، (التراث والمعاصرة)، أو لنقل: التراث والحداثة، لم يكن تعايشهما في أنساق بنية عقلية مجتمعية واحدة أمراً غريباً أو مخالفاً لسيرورة التعامل الحياتي السوي، بل هو جارٍ مجرى السبيل المثالي / القاعدي للحياة. فالثنائية -كما قلنا- تعامل حيّ ومشروع في تداولاتنا المختلفة.

لكن هذا لا يمنع من أن التراث والحداثة قائمان على وجهين متضادين، وهو أمر معروف وملموس من خلال مفهومهما وآلياتهما المعرفية، لكن بعض المفكرين أقاموهما مقام النقيض: أي أن وجود أحدهما ينفي وجود الآخر، وهو إجراء يتنافى وسياق أعرافنا وثقافتنا؛ لأننا لا نعدم وجود الحداثة في التراث، وكذلك حضور التراث في هيكل الحداثة.

ولعل هذا المشهد يربك المتلقي، إن نظر إلى الأمر من الوجهة الغربية التي تعامله معاملة النقيض، فنحن -المسلمين- ننطلق من صميم تركتنا الثقافية القائلة: بتعاملنا مع هذين المفهومين تعاملاً تضادياً قابلاً

للاجتماع.

فالقطيعة مع التراث فكرة مستوردة طارئة على عقلنا الجمعي الثقافي؛ لأن سبيلنا المعرفي الموروث والمركوز في ذواتنا علّمنا ضرورة الاتكاء على التراث لا على أنه النهج الوحيد الفريد والمعصوم من الزلل، بل على أنه قاعدة عريضة لتطوير أدواتنا وتوسيع مداركنا الساعية لفهم الواقع وإشكالاته المتسارعة المتسعة على مدى تعاقب الأجيال والزمن.

فالتراث في أعرافنا الثقافية جذر لعقلنا الجمعي، وغيابه يعني انقطاعنا عن الجذور، ومن لا جذر له، لا حياة له.

ووفقاً لهذا المنظور، علينا أن نفرّق بين آلية تعامل الغربيين مع ماضيهم، وتعاملنا مع ماضينا.

فهم يفتقدون إلى الكثير من سمات الإيجاب في تاريخهم، ويعدّون تراثهم نقطة سوداء في مسيرة نموهم الجسدي والفكري؛ لأن قدماءهم سعوا إلى تثبيت ركائز الانتهاك والاستلاب في حقوق المواطنين، فضلاً على سياسة التجهيل وتصدير نواة العقل لديهم، وتاريخ الكنسية وإساءتها في التعامل مع الرعية ما زال حاضراً للعيان وغير غائب عن الأنظار وذاكرة التاريخ.

لذا جاءت حداثتهم ثورة على ماضيهم، ومن باب أولى أن يقولوا بالقطيعة وإيقاعهما موقع النقيض؛ لأن الحداثة تعني ثورة الإنسان من أجل حياته وخدمته وحقوقه، وهي طريقة تضاد سبيل تراثهم الطامح إلى قتل الإنسان وإنسانيته في آن، وعليه من المحال أن يجتمع تراثهم مع حداثتهم.

أما نحن فنختلف تماماً مع هذا التقابل، فحاضرنا يحتفي بماضينا، ولولا غزارة إنسانية التراث وعالميته لما استطعنا أن نشغل حيزاً في خريطة الحضارة الإنسانية العالمية.

لذا نعدّ -نحن- تخلفنا صورة من صور الانقطاع عن الماضي، ولا يمكننا أن نستعيد المجد والسؤدد إلاّ بإعادة وصل المقطوع، فنحن -والحال كذلك- نوقع التراث والحداثة موقع التكميل، وإن تضادا؛ لأنهما يكملان عقلنا الثقافي، ويسهمان بمجموعهما في تشكيل شخصيتنا الحضارية والمعرفية، فضلاً على هويتنا الثقافية.

يمكن تعريف التراث وفقاً لهذا المنظور الأخير على أنه: «موروث في مجتمع معين عن الأجيال الغابرة: العادات، الأخلاق، الآداب، التنظيمات.. وهذا المعنى هو بالضبط ما تؤديه كلمة تراث، شريطة أن لا نحصره فيما هو مكتوب أو مروي»[1].

أي إنه «يمثل... مجموعة النماذج الثقافية التي يكتسبها الفرد من الجماعات المختلفة التي هو عضو فيها، ويمثل هذا التراث كل شيء بالنسبة إليه.

ولولا التراث ما استطاع أي فرد أن يبدع ويأتي بالجديد، ولما تقدمت المجتمعات خطوة واحدة إلى الأمام، فالتراث عنصر مهم جداً في تطور المجتمعات والأفراد ولا يمكن لأي كان أن ينطلق من العدم. فنحن مثقلون بدين كبير لأجيالنا السابقة؛ فهي التي أورثتنا تراكماً ثقافياً من عادات وتقاليد وقيم وأخلاق ومُثُل نستند إليها في مختلف إبداعاتنا واكتشافاتنا وإنجازاتنا الجديدة»[2]، و«إن أهمّ مسؤولية ملقاة على عاتقنا في مسألة التراث هي أن نقرأه بوعي، فلا نجعله على طبق من ذهب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا نلغيه أو ننفي منه ما يتماشى مع بعض أغراضنا وأهدافنا حتى إن كانت هامشية»[3].

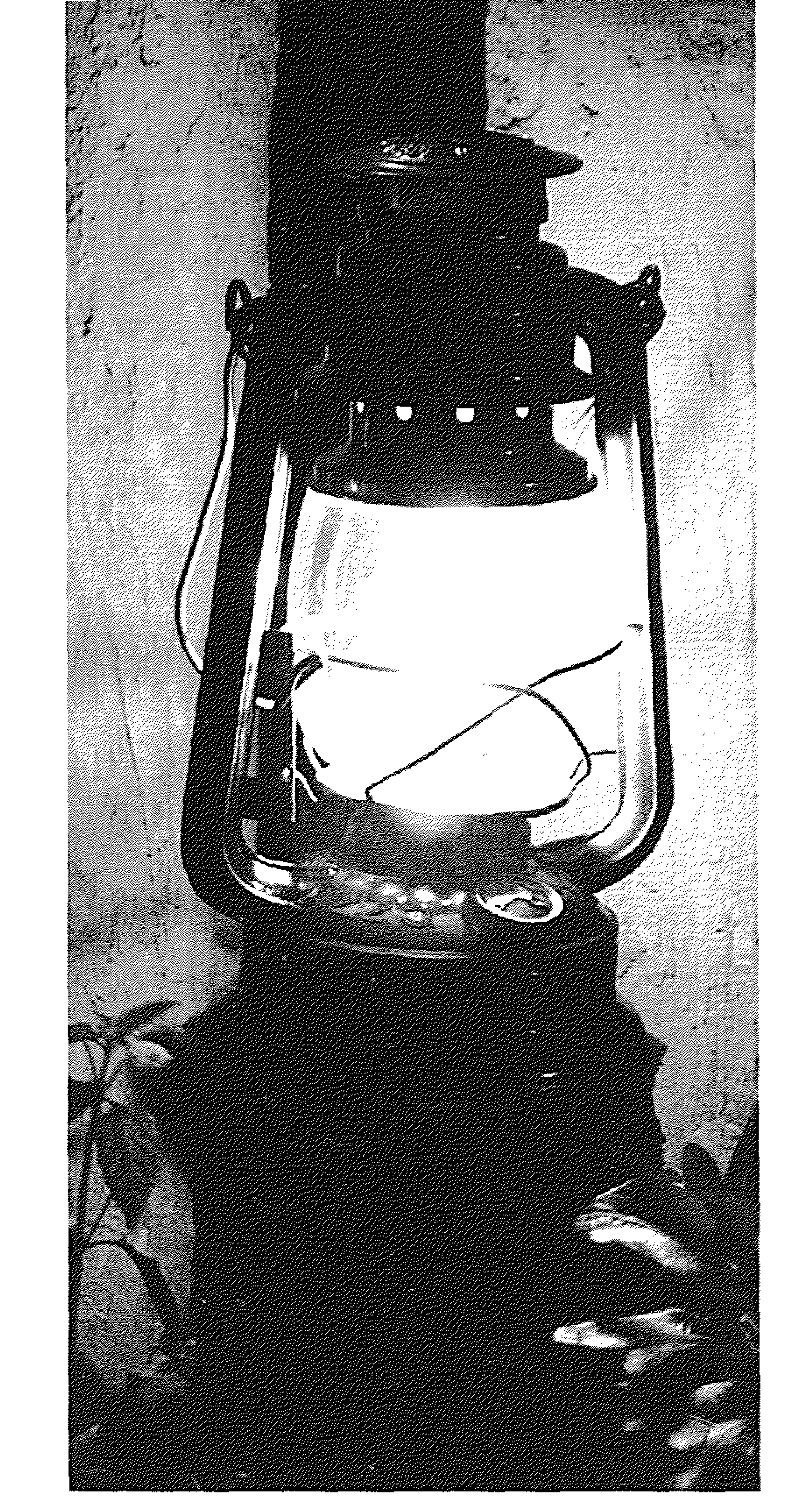
في حين «تتجلى الحداثة في جملة من المظاهر، هي: المظهر الاقتصادي والمظهر الاجتماعي والمظهر السياسي والمظهر الثقافي / ويمكن أن نختزل الحداثة في عنصرين رئيسين هما:

– المظهر المادي / أو الحداثة المادية: وتعني التطورات المختلفة التي تتعلق بالإطار الخارجي للوجود الإنساني.

– المظهر الفكري / أو الحداثة الفكرية: وتعني الرؤية والمناهج والمواقف الذهنية التي تهيئ تعقلاً يزداد تطابقه بالتدريج مع الواقع. ولعل الخطاب اللساني يدخل ضمن هذا النوع من الحداثة بوصفه يعبر عن رؤى ويتوسل مناهج في التطبيق ويتبنى مواقف خاصة به بحسب ما يسمح به مجاله وخصوصياته المميزة له عن غيره من الخطابات»[4].

وعليه فـ«الحداثة أمر جوهري وليست فكرة أو نظرية. الحداثة تعيشها المجتمعات وتفرض علينا مثل غيرنا، لأنها نوع من زحف الفاعلية... إننا نفكر دائماً أن الغرب هكذا ونحن هكذا... ولكن في الحقيقة اخترقنا وأصبحنا حداثيين، لكننا لا نفكر في ممارستنا التحديثية وفي حداثتنا. لقد ظلت حداثتنا خارجة عن سيطرتنا وخارجة عن فهمنا. فقد استلبنا لها، وأصبحنا عبيداً لحداثة نرفضها أيديولوجيا وهي تتحكم بنا عملياً»[5].

تأسيساً على ما مرّ، نجد أن قطيعة العرب والمسلمين



مع التراث كانت غير إرادية، ولاختلاف سبيل القطع، اختلفت النتائج.

فالغرب افتقدوا الجذور في حداثتهم، لذا ارتبكوا في تقييمها، وأعلن أغلبهم (موت الحداثة)، في حين أعلن بعضهم بداية عصر (ما بعد الحداثة) بوصفه هروباً دبلوماسياً من مأزق التقويم ذاك. فكانت القطيعة سلاحاً ذا حدين عند الغربيين، فهي آذنت ببداية عهد نوراني جديد -وفقاً لمعتقدهم-، وكانت في الوقت نفسه بداية عهد ظلامي جديد، بسبب غياب التأصيل للفكرة، وانطلاقها من أرض لا ركائز جذرية فيها، فكانت النتيجة الحيرة والدعوة للخلاص من المأزق الجديد.

وكان من بين نتائج التخبط الغربي، أن أصدر مفكروهم جملة مقولات تردّدت بين النية في العودة أو التهجم عليها، فكانت نظرية (التناص) صورة لنية العودة، وكذا الحال بنظرية (التاريخيين الجدد)[٦]، في حين جاءت نظريتا (نهاية التاريخ) و(صراع الحضارات) صورة لآلية التهجم على نية العودة.

أما نحن فلم نكن كذلك، بل وسنتنا المؤامرة حيناً، وارتبكنا، لكننا صحونا مؤخراً، ووجدنا الحل الناجع بالعودة إلى مقام التراث، ووصل ما انقطع؛ لأن مسيرة المعرفة لدينا ليست فجائية، آنية -كما هو الحال في الغرب المثقف بثقافة الطفرة-، بل مسيرتنا تكاملية تواصلية تمتد على فرشة زمنية معرفية طويلة مغروزة في التعاقب الأول لنشأة الأجيال.

لذا كانت نتيجة قطيعتنا غير الإرادية، بفعل تقليدنا الأعمى للغرب، أن سعينا للعودة لا لتوسيع القطيعة.

وكذلك اعترفنا بقيمة التراث وثقافته منذ العصور الأولى لتشكل المعرفة الإسلامية، ووضعنا النظريات والمقولات المحترمة للتراث، مثل نظرية (عمود الشعر) وقيمة (القدامة) في الأصالة الإبداعية داخل النصّ.

ولم يتخذ المسلمون جانب الصمت حيال آليات التهجم الغربي على سبيل العودة، وإن كان في أدبياتهم، بل سعوا إلى وضع النظريات المضادة لها، فكانت مقولة (حوار الحضارات) المنهجية الكافّة لمخاطر مقولة (صراع الحضارات).

وبعد هذا كلّه، يتضح أن علينا الإسهام بتثبيت بوادر الصحوة في عقلنا الثقافي تجاه العلاقة بالتراث، عبر وسائل التوعية المتنوعة التي تحتاج إلى وقفة أخرى، نأمل أن نقوم بها في الأمد القريب -بعون من الله وقوة. ■

## الهوامش والمصادر:

(١) ثقافتنا في ضوء التاريخ: عبد الله العروي: ١٩١- ١٩٢: المركز الثقافي العربي - بيروت، ط٦، ٢٠٠٢م.

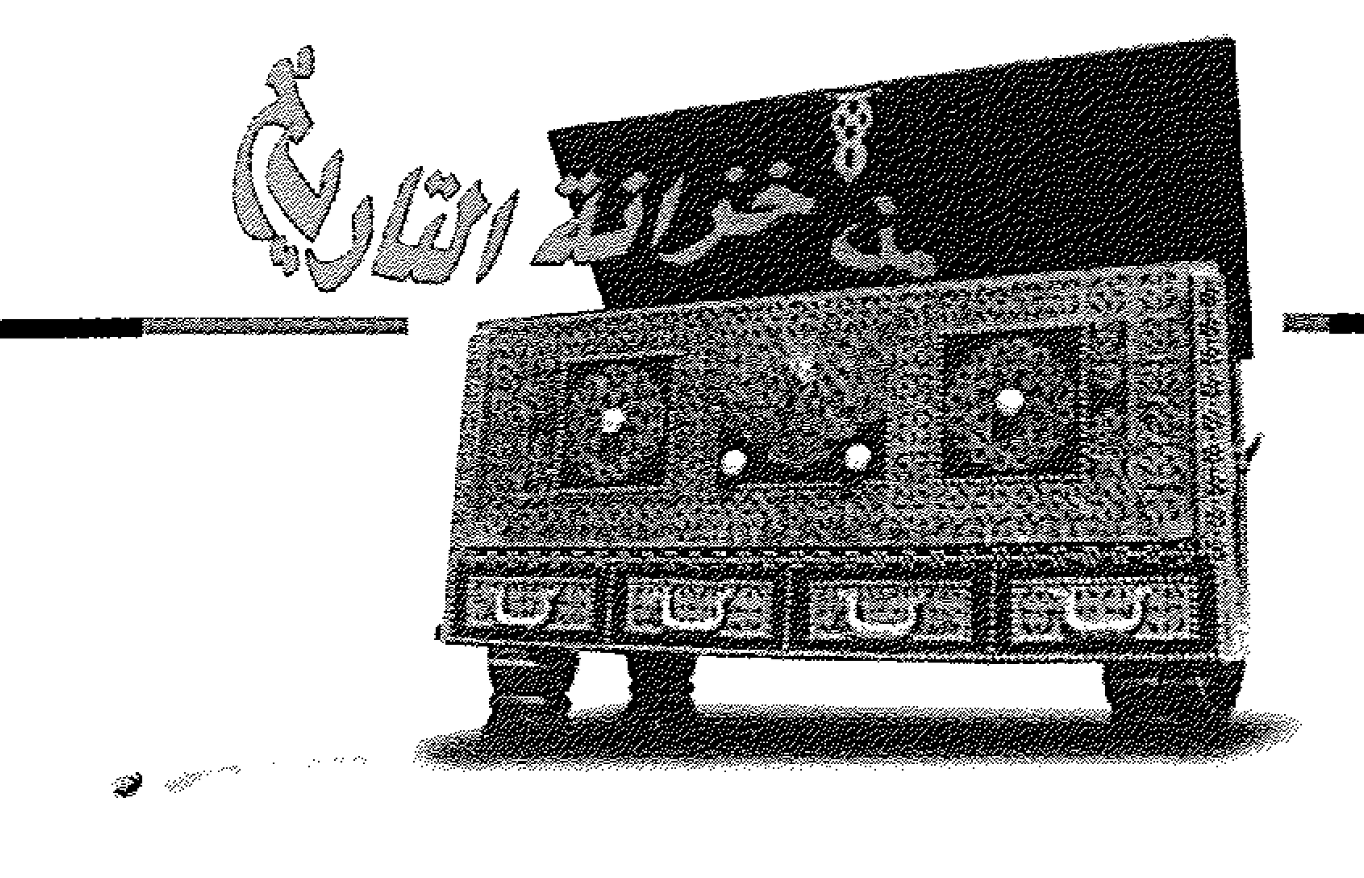
(٢) الخطاب اللساني بين التراث والحداثة: بشير ابرير: ٨٦: مجلة الرافد (ع٤٧) يونيو ٢٠٠١م، وينظر: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته: د. عبد السلام المسدي: ٢٢٣ وما بعدها: المؤسسة للكتاب - الجزائر - الدار التونسية للنشر - تونس، ط١، ١٩٩١م.

(٣) الخطاب اللساني بين التراث والحداثة: ٨٦.

(٤) م. ن: ٨٦.

(٥) إشكالية الإسلام والحداثة: عادل عبد المهدي: ٤٤: دار الهادي / سلسلة (قضايا إسلامية معاصرة) - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، والفكرة منقولة عن برهان غليون في كتابه: إشكاليات: ١٦١، بحسب إشارة الأستاذ عادل عبد المهدي.

(٦) للتوسع في معرفة مفهوم هذه النظريات، ينظر: تأصيل النصّ: قراءة في أيديولوجيا النصّ: د. مشتاق عباس معن: ١٥ وما بعدها، و١٤٨ وما بعدها: مركز عبادي للدراسات والنشر - صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م.



# عِزّةُ العلمِ بأهلِه

■ أ.د. عبد الرحمن الحجي

قدمت حضارتنا في بلدانها كافة، ومنها الأندلس، أعلاماً عالية من الرجال والنساء، الذين أسهموا فيها، ونجد في ذلك كتباً جعلت هذا موضوعاً لها، وهي كثيرة، من مثل كتاب: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لعالم الأندلس والغرب الإسلامي: أبو عمر يوسف بن عبد البَر (٤٦٣هـ). وهذا الكتاب من جزئين، كان جواباً على سؤال سائل[١]. بجانب ما يُذكر من تلك المواصفات حين الحديث عن الأعلام كافة، لدى ترجمتها في كتب الأعلام الأندلسية، وهي بالعشرات. فمواقفهم الكريمة واعتزازهم بعلمهم وبأنفسهم ومكانتهم رائعة مضيئة رفيعة. فقد عرفت الأندلس -مثل غيرها من بقاع هذه الحضارة- منه الكثير.

والأمثلة في ذلك متنوعة في كل العصور، حتى في العصور الصعبة من مثل عصر الطوائف في الأندلس (القرن الخامس الهجري). فمن مأثور الأمثلة في هذا ما ترويه كتب التاريخ عن العالم اللغوي المذكور بالديانة والفقه والورع، أبي غالب تَمّام بن غالب المعروف بابن التَّيّاني[٢]، القرطبي الأصل (المَريَّة، ٤٣٦هـ)، أنه صنف كتاباً جليلاً، وكان يومها يسكن مدينة مُرْسِيَة[٣] (Murcia) شرقي الأندلس على البحر المتوسط. ولما وقف على هذا الكتاب أبو الجيش، مجاهد بن عبد الله العامري، أرسل إلى ابن التياني ألفاً من الدنانير الأندلسية مع كسوةٍ، كي يزيد التياني في ترجمة الكتاب عبارة: مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد، لكن التياني رد عليه هديته، قائلاً: كتابٌ صنفته لله ولطلبة العلم، أصرفه إليه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً. فكان أن زاد التياني في عين مجاهد وعظم في صدور الناس. كما يُذكر أن التياني قال أيضاً بهذه المناسبة: والله لو بُذلت لي الدنيا على ذلك، ما فعلت ولا استجزت الكذب، فإني لم أكتبه له خاصة، لكن لكل طالب عامة. فاعجب لهمة مجاهد وعلوها، واعجب لنفس هذا العالم وعزتها.

وبهذه الدوافع والبناء والقواعد، نجد ظواهر كثيرة جداً، غريبة وعجيبة، وهي عامة، مألوفة، دعتهم إلى التوسع في هذه الظواهر، إحدى ثمار ذلك البناء، الذي ملأت ظواهرُه العلمية الفاضلة جوانبَ المجتمع، وسادت وأصبح لها الاهتمام والمكانة والامتياز، حتى جرى التنافس فيها. وهذا وغيره ينبئ بوضوح كامل وإضاءة قوية وتعبير مسموع عن حقيقة هذا المجتمع وبنائه الرصين ومتانة مقوماته الأصيلة، وهو لا يتأتى إلا بالبناء على هذا المنهج الرباني الكريم السليم. ■

---

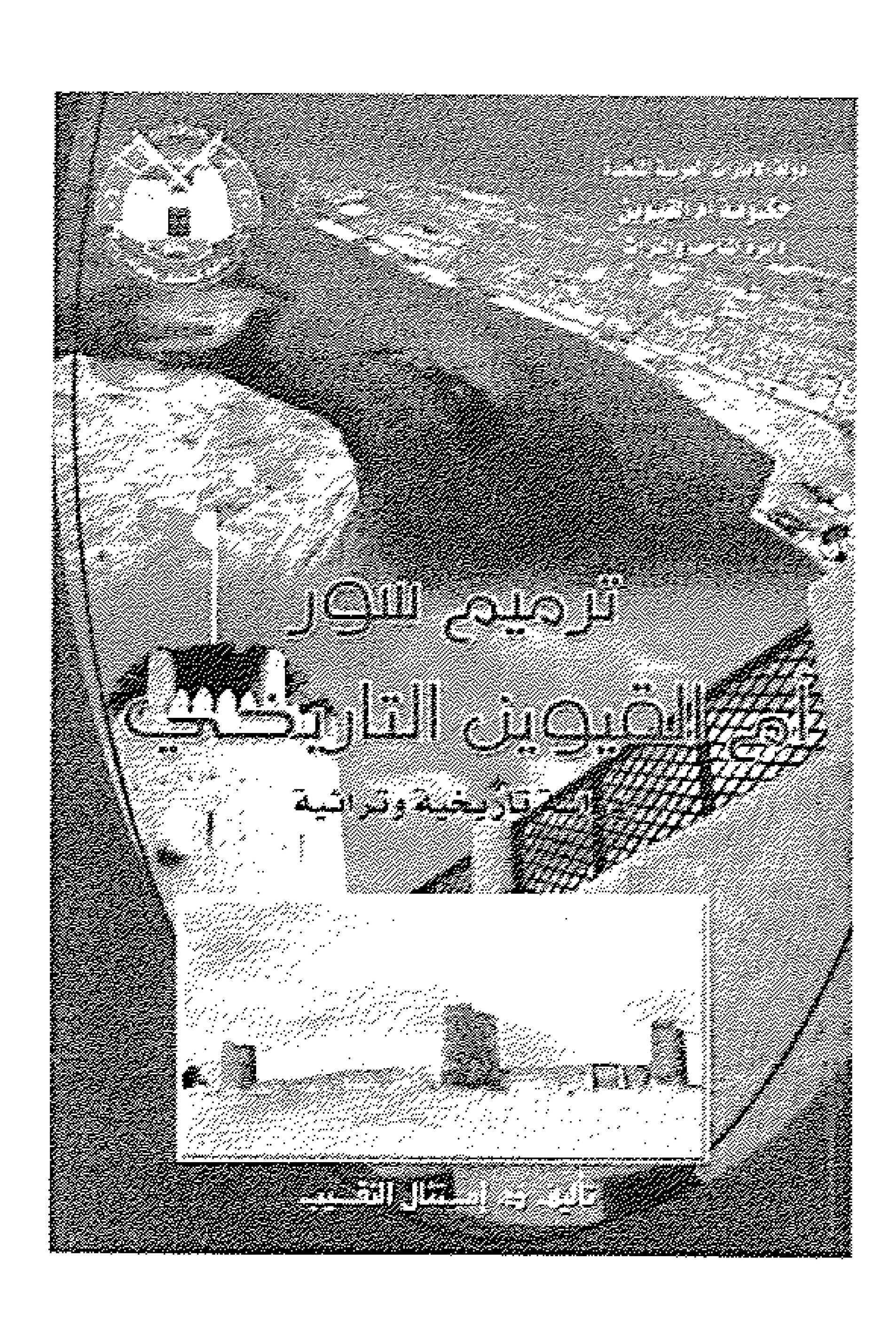
**الهوامش**

١) لدينا كتب وكتابات ورسائل أخرى وبعضها مطول كانت جواباً لسؤال من أحد قد لا يكون بينه وبين الكاتب والمؤلف والعالم أي معرفة، من مثل: ما جرى لابن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ) في كتابه طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف (طوق الحمامة، ١٤ وبعدها)، وكذلك في جوابه على فضائل الأندلس التي وردت في نفح الطيب، ٣ / ١٥٦ - ١٧٩. بعنوان رسالة ابن حزم في فضل الأندلس. وهذه ظاهرة مهمة تلفت الانتباه في العناية باستيفاء الجواب. كل ذلك بدافع الإيمان بالله تعالى وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو دليل على البناء الإسلامي القوي على منهج الله تعالى وتحري الالتزام به بتقوى وحرص وبذل.

٢) انظر: المُغرب في حُلى المَغرب، ١ / ١٦٦. نفح الطيب، ٣ / ١٧٢. الكتب والمكتبات في الأندلس، ٣٢.

٣) وهي مدينة بناها المسلمون، واشتقوا اسمها من وظيفتها، حيث كانت ميناءً ومرسى للسفن.

# ترميم سور أم القيوين التاريخي



صدر عن دائرة المتاحف والتراث في حكومة أم القيوين كتاب: (ترميم سور أم القيوين التاريخي) دراسة تاريخية وتراثية لمؤلفته الدكتورة امتثال النقيب مدير عام دائرة المتاحف والتراث في أم القيوين. وقد توزعت مواد الكتاب على التقديم، والمقدمة واللمحة التاريخية، وتاريخ الإنشاء والموقع، وأهميته واستعمالاته، ثم وصف السور، والتنقيب الأثري الذي أجري فيه.

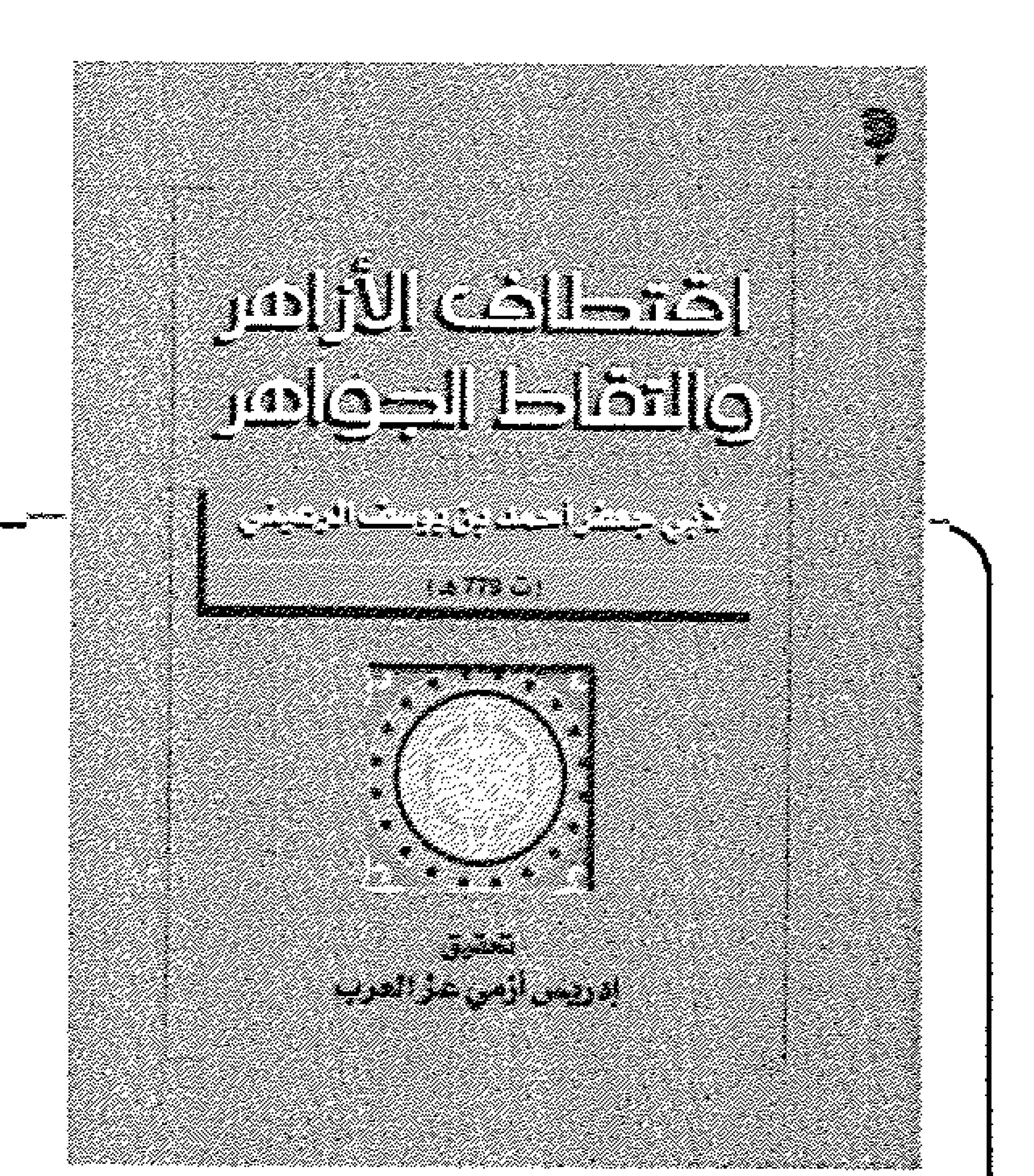
ثم عرفتنا النقيب بالمباني الملحقة بالمبنى التاريخي، وجدول الخطوات الأساسية للأعمال التنفيذية، والشكل والمقاييس، وبوابة السور، وأبراج: الليوارة، والوسطاني والبحر. بعدها تناولت مؤلفة الكتاب خطة الترميم ومدة التنفيذ، والخاتمة. كما ازدان كتاب (ترميم سور أم القيوين التاريخي) بملخص باللغة الإنجليزية وفهرس للصور ضم ٤٤ صورة من مراحل ترميم السور التاريخي، وفهرس آخر للأشكال.■

اسم الكتاب: **(ترميم سور أم القيوين التاريخي)**
المؤلف: **د.ة. امتثال النقيب**
الناشر وسنة الطبع: **دائرة المتاحف والتراث في حكومة أم القيوين، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥م.**
الصفحات: **١٤٤ صفحة من القطع الكبير**
العنوان: **ص.ب: ١٥٠٠، أم القيوين، دولة الإمارات العربية المتحدة.**

# اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر للرعيني

أصدر المجمع الثقافي في أبوظبي تحقيقاً لكتاب (اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر) لمؤلفه أبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني (ت ٧٧٩هـ) وقام بتحقيق هذا الكتاب التراثي الباحث إدريس أزمي عز العرب بواقع ٤٥٦ صفحة من القطع الاعتيادي.

واشتملت موضوعات الكتاب على ٢٦ باباً مرتبة وفقاً للترتيب الهجائي ولكل باب مجموعة فصول، ابتداءً من حرف الهمزة وانتهاءً بحرف الواو. وتصدرت الكتاب خطبة الكتاب للمؤلف ومقدمة في أحكام فعل المفتوح العين. ومما جاء في باب الهمزة أولاً فصلان هما: فصل الصحيح المتفق المعنى، وفصل في المعتل المتفق المعنى.■




اسم الكتاب: **(اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر)**
المؤلف: **أبو جعفر أحمد بن يوسف الرعيني**
المحقق: **إدريس أزمي عز العرب**
الناشر وسنة الطبع: **المجمع الثقافي، أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥م.**
**الصفحات: ٤٥٦ صفحة من القطع الاعتيادي.**
العنوان: **ص.ب: ٢٣٨٠، أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.**

# تجارة الجزيرة العربية

ضمن سلسلة الرسائل الجامعية (١٢) التي تصدرها دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، صدرت عن الدارة رسالة الدكتور سعيد بن عبدالله بن بنية القحطاني والموسومة بـ (تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، التاسع والعاشر للميلاد). وتقع الرسالة -الكتاب- في ثلاثة فصول موزعة على عدّة موضوعات. فبعد التقديم والتقريظ ومقدمة المؤلف، جاء التمهيد ليتناول: الأحوال السياسية في الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، موضحاً فيه: الكيانات السياسية: الحجاز واليمن، وعُمان والبحرين واليمامة.

بينما قدم الفصل الأول: للعوامل المؤثرة في التجارة: الإيجابية والسلبية. في حين عرض سعيد القحطاني في الفصل الثاني: للتجارة الداخلية متناولاً فيها الأسواق والطرق التجارية الداخلية البرية والبحرية... وختم الكتاب بالفصل الأخير (الثالث) للحديث عن: التجارة الخارجية والتي تشمل: مناطق التبادل التجاري، وطرق التجارة الخارجية، والسلع المتبادلة، ووسائل التعامل التجاري. ■

اسم الكتاب: **تجارة الجزيرة العربية**

المؤلف: **د. سعيد بن عبدالله القحطاني**

الناشر وسنة الطبع: **دارة الملك عبدالعزيز، سلسلة الرسائل الجامعية ١٢، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٤٢هـ**

الصفحات: **٤٨٨ صفحة من القطع الاعتيادي.**

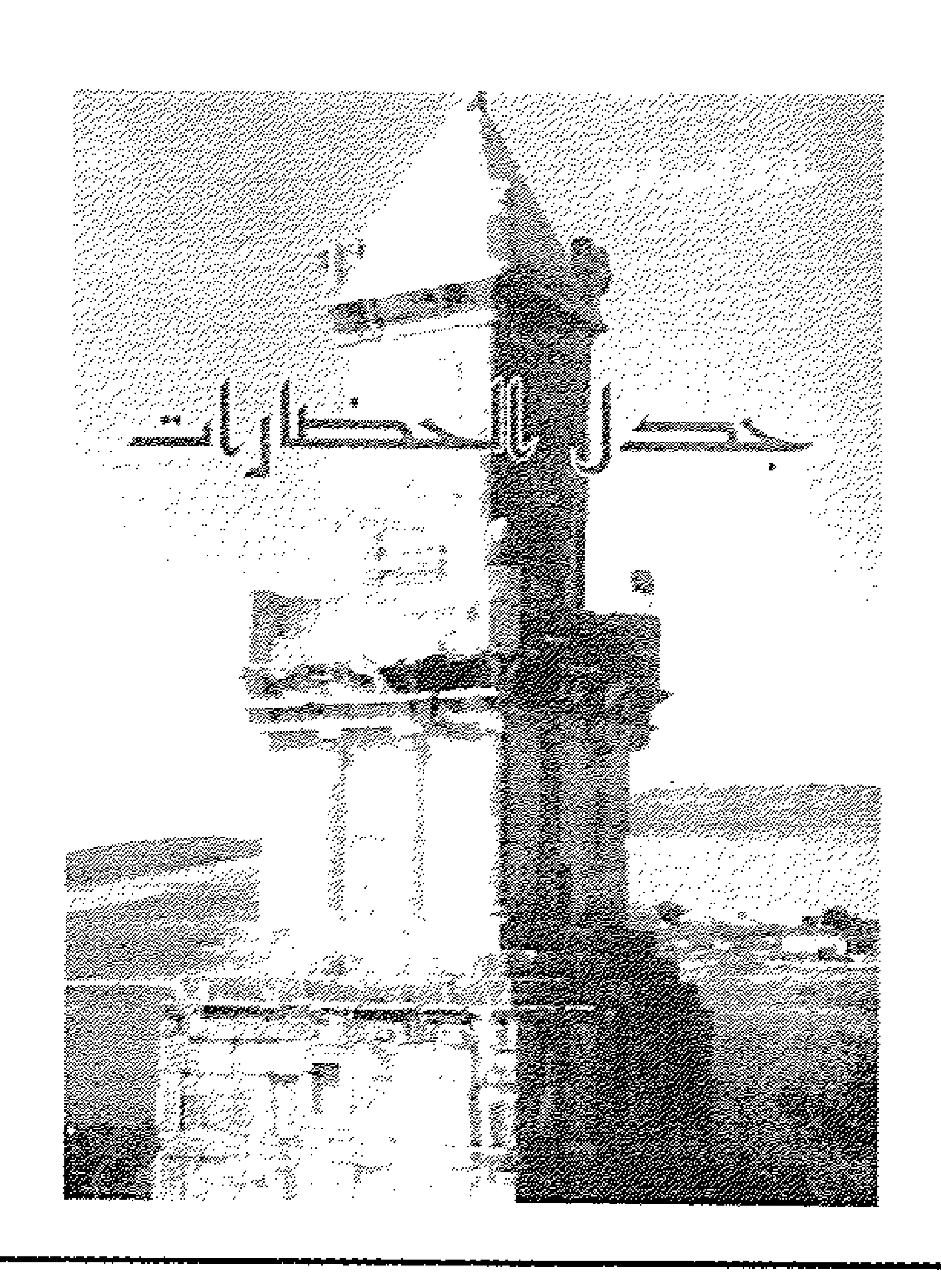
العنوان: **ص.ب: ٢٩٤٥ - الرياض- ١١٤٦١، المملكة العربية السعودية.**

---

# جدل الحضارات

عبر خمسة فصول توزعت مفردات كتاب طارق العمراوي (جدل الحضارات) الصادر مؤخراً في تونس. وقد تناول الفصل الأول: تونس الحضارة... تونس الأعماق، ثمانية مواضيع عن تاريخ المدينة العاصمة، ثم جاء الفصل الثاني: في الحضارة الفرعونية ليتحدث عبر ثمانية مواضيع عن زهرة اللوتس، وقراءة لاهوتية، والكهان في المعابد، وفن التمثيل، والكتابة الهيروغليفية، وصورة المرأة، والحلي وأدوات الزينة والطب والأطباء وكل ذلك أيام حكم الفراعنة لمصر.

أما الفصل الثالث من كتاب العمراوي فخصصه تحت عنوان آثاريات وعقده من خمسة مواضيع، أعقبه بالفصل الرابع وهو: معالم.. مواقع ومدن، عرض فيه المؤلف لأربعة عشر موقعاً ومدينة أولها مقابر الحيوانات المقدسة في مصر الفرعونية، وآخرها الصين في كتاب (المسالك والممالك) للبكري. ■




اسم الكتاب: **جدل الحضارات**

المؤلف: **طارق العمراوي**

الناشر وسنة الطبع: **دار الإتحاف للنشر، تونس، (د.ت).**

الصفحات: **٢٤٨ صفحة من القطع الاعتيادي.**

العنوان: **المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، هاتف: ٧١٧١٨٢٧١**




# سالفة خان

حكايات واقعية من الحياة يرويها:

■ خميس بن زعل الرميثي

في منطقة الضبعية بأبوظبي.. كانت هناك فرضة (ميناء صغير) تستخدمها إحدى شركات التنقيب عن البترول في تنزيل معداتها.. وقد عينت سالم بن خلفان القمزي حارساً على الفرضة.. وكنا مع أهل بوكشيشة وأحمد بن بيات وغانم بن بيات وعتيق وبيات بن أحمد نسعى معاً في صيد السمك بتلك المنطقة بطريقة السكار.. وبطبيعة الحال كانت الظروف صعبة وقاسية وكان ماء الشرب شحيحاً للغاية.. فكنا نذهب لحارس الفرضة سالم بعد انصراف العمال والموظفين لنأخذ من عنده قربة أو قربتين من الماء كل يومين أو ثلاثة نسد بها حاجتنا من مياه الشرب.. وكان (مراقب العمال) الفورمان واسمه خان قاسياً متسلطاً لا يرحم ولا يتسامح.

وفي يوم من أيام سنة ١٩٥٢م.. ذهبت وعتيق بن أحمد وكان أكبر مني سناً لنأخذ الماء كالعادة.. وتركت (عتيق) مع الحارس يملأ القربتين وذهبت أتجول في المنطقة لأتعرف على وجود السمك حتى نسعى لصيده مساء.. أتم عتيق والحارس ملء قربة وتركاها على الأرض.. والثانية أوشكت على الامتلاء.. وإذا بخان هذا على رأسيهما كأنه والعياذ بالله جنّي أو عفريت انشقت الأرض عنه.. طبعاً ثار وهاج.. ورفس القربة التي على الأرض برجله فشقها نصفين وانساح الماء على الأرض.. وأخذ الثانية منهما عنوة وصب الماء على الأرض فضاع الماء وبقيت الأسر والأطفال بلا ماء لعدة أيام.. طبعاً كل المنتفعين من الماء كانوا في غاية الحزن لأن الموقف صعب .. فمن أين سيدبرون الماء لأولادهم وعائلاتهم.. المهم.. ذهبت مجموعة منهم إلى الشاعر دياب بن عبيد بن حاضر وكان موصوفاً بأنه قصاب في الشعر.. إذا وضع القصابة على شخص شتته تشتيتاً.. وطلبوا منه أن يهجو خان لفعلته الشنيعة.. فقال لهم: ما يسوا إني أتصدى لخان.. خلوني لشيء كبير.. عندكم خميس بن زعل يكفيه.. وكنت لتوي قد بدأت في كتابة الشعر.. فكتبت كلمات أذكر منها:

أذم لي خـــان مـــن الخصـــمـــان ... حـــرّبٍ قـــابض في الســـيـــبـــه

بـــارســـلـــه عـــفـــريت وشـــيـــطـــان ... وبـــعـــزة ربـــي لاجـــيـــبـــه

بـــاذيـــره فـــي صـــنـــقـــل واســـنـــان ... فـــي خـــورٍ تـــلـــفـــيـــه الـــذيـــبـــه

اتـــمـــسع جَـــبْـــدَه والمصـــران ... تـــبـــات الـــلـــيـــل تـــوامـــيـــبـــه

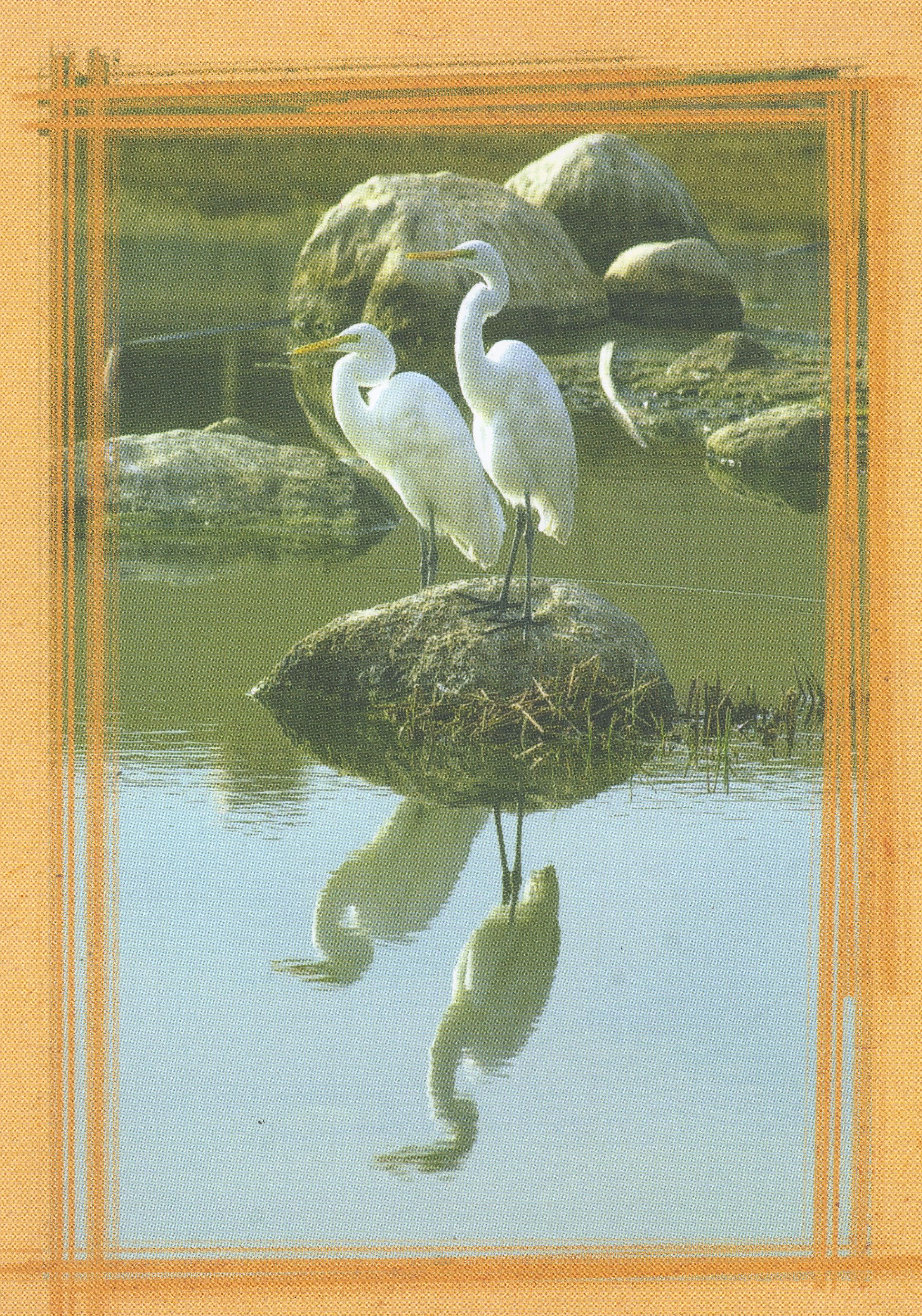
بـــجـــاهْ الـــمُـــولـــى عـــالـــي الشـــان ... يـــنـــفـــد مـــا حَـــدٍ يـــدريـــبـــه

وبعد أسبوع سافر خان إلى بلاده.. وكان السفر أيامها بالبحر على المراكب.. وكانت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يغرق المركب بمن فيه في المحيط.. ويروح خان.. وللأسف راح معه ١٨ شخصاً كانوا معه على المركب.. وقد منعني عمي محمد رحمة الله عليه من أن [illegible] هذا الشعر مرة أخرى.. ومن يومها.. تركت قصابة الشعر نهائياً.■

## ألعاب شعبية من الإمارات

# خيل يريد

لعبة يمارسها الأطفال في فصل الصيف، حيث يكثر الجري والتسابق في موسم الرطب، وفيها يقوم الأطفال بقطع جريدة النخل وينزعون سعفها، ويتركون مجموعة من السعف في نهاية الجريدة، ثم يضعها اللاعب بين فخذيه وهو يمسك بها وكأنه يركب حصاناً ويشد رأس الحصان بيده، ويمسك عصاً باليد الأخرى ليضرب بها حصانه كي يسرع أكثر، ويركض مخلفاً وراءه الغبار المتناثر كأنه الفارس الذي يمتطي الحصان، وغالباً ما تكون هناك سباقات في هذه اللعبة بين أطفال الفريج الواحد.



«انتظـــار» ..

(تصوير: يوسف العدان)

تراث